الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

٥

رِحلةُ تَدَبُّر

في رِحابِ القُرآن



مِنْ سُورَةِ يُونُسَ إِلَى سُورَةِ الكَهفِ




رحلة تدبر
في رحاب القرآن
٣



الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

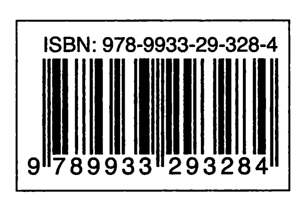
تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

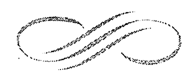


رحلة تدبر

في رحاب القرآن



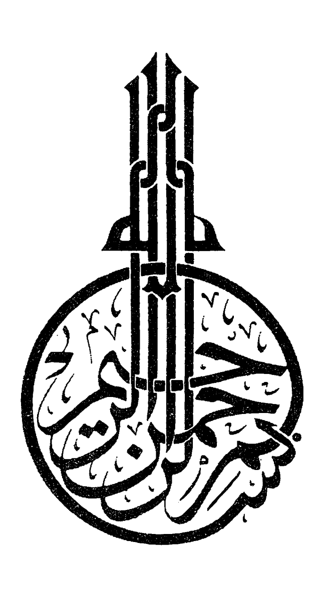
من سورة يونس إلى سورة الكهف



الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي



دمشق





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿الٓر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾ هذه الآيات في هذه السورة هي آيات ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ المحكم من الله تعالى.

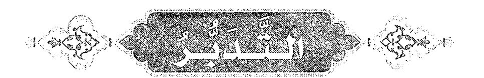
- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ أكان نزول القرآن عليك يا رسول الله مثار تعجُّب الناس ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ فاختصّيناه بذلك دون غيره ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ خوِّفهم عذابَ الله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أجراً حسناً بما قدموا من الصالحات ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: رسول الله ﷺ ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ بيِّنٌ واضحٌ أنه ساحرٌ لا لبس في ذلك.

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بجلاله ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقضي ويقدّر ما يريد في الكون ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ لا أحد يقدر أن يشفعَ في أحد إلّا من بعد إذنه تعالى ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ أطيعوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ عظمة الله تعالى فتعتبرون بذلك

- ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ لا بد من حصوله وتمامه ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أول مرة حين يخلق من عدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يحييه بعد موته ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ بسبب كفرهم بالله تعالى.

• ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ ذات ضــوء ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ ذا نور ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ جعل للقمر منازل ينزل فيها كل ليلة، وهي المسافة التي يقطعها كل يــوم وليلــة ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ لتعرفوا عدد الســنين والحساب بالأيام والأشهر ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ الشمس والقمر ونحوها من الآيات ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لحكمة عظيمــة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يبيِّنها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ أنه الحق فيعبدونه على بصيرة.

• ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهمــا ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيــات البيّنة الدالة علــى قدرته ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لدلائــل وعبر ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ يقومون لله تعالى بحقّه من العبادة.



١ ـ الحقائق الكبرى ومورد الإيمان العذب في رحاب هذا القرآن الكريم ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ هذا وصــف الله تعالى لكتابه، وبيانه عن ما فيه من آيات وحكم.

٢ ـ كل ما ورد في كتاب الله تعالى حقيق بالإجلال والاحتفاء ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ لأن الله تعالــى وصفه بالحكمة، ومــا كان كذلك كان حقيقاً بالإجلال.

٣ ـ إنذار الناس وتوعيتهم وبيان وظيفتهم في الحياة واجب الرسل والدعاة من بعدهم إلى يوم الدين ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ لو فقهنا هذه المهمة لكان لها رايات!

٤ ـ تأهيلُ الدعاة والمصلحين وحملة الرايات ضرورةٌ لقيام الدعوة بواجبها في الأوساط التي تعيش فيها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ وإذا قرأت في كتاب الله تعالى أدركت أن هذا الوحي لم يأت إلَّا بعد اختيار وإعداد.

٥ ـ الاعتراض على أحكام الله تعالى وشريعته سفه في العقل وضعف في العلم ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ ليتهم عجبوا من هذا الكون الذي لا يديره سواه.

٦ ـ أبسط مواجهة الحقائق أن نلقي عليها تهماً عارية ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾.

٧ ـ يستحق أهل الإيمان هذه البشائر التي تلقاهم في الطريق ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ ما أمتع العمل!

٨ ـ حاجة النفوس إلى التحفيز ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ لولا ذلك لما دعا الله تعالى نبيه ﷺ إلى ذلك.

٩ ـ من فقه الوالد في بيته، والإمام في مسجده، وصاحب الراية في مشروعه، والمعلم في مدرسته، والمربي في محضنه؛ عنايته بلغة التحفيز وبث الأمل في قلوب أصحابه من خلال هذا المعنى الكبير ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

١٠ ـ أسوأ شيء حين تكون الرحمة بالإنسان هي النقمة التي ينقمها على ربه تعالى ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾

بعث إليهم منهم مَنْ يفهمهم، ويعـرف حاجتهم، ويعينهم، ويكون رحيماً بهم فكان ذاته الاعتراض.

١١ ـ هذا هو الله تعالى، وهذه بعض ملامح قدرته التي يجريها في الكون ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.

١٢ ـ لا تنتظر مخلوقاً يدبّر أمرك، أو ينهي معاملتك، أو يقضي دينك. توجَّه إلى ربك واسأله، وسيفتح لك العالم أبوابه كلها ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾.

١٣ ـ لا تتسوّل أحداً! فالله تعالى يدير الكون كله، ويدبر أمره، ويتصرف في شأن العالمين كما شاء؛ فلا تبتئس لمشكلتك وظرفك ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾.

١٤ ـ من حق الله تعالى عليك أن تتوجه إليه بقلبك ومشاعرك ووجدانك ووقتك وكل شـيء من عمـرك ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

١٥ ـ العبادة التي يدعوك الله تعالى إليها ليست هذه الصور التي تقيمها ببدنك، أو ترددها بلسـانك، بل هي اسـم جامع لـكل ما يحبه الله تعالـى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾.

١٦ ـ وظيفتك التي تدير شأنها كل صباح، ومعاملتك التي تتعامل بها مع زوجك وولدك، وصديقك وزميل العمل وتجارتك، كلُّها عبادات تحتاج منك إلى فقهٍ في أدائها ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾.

١٧ ـ من أعظم الخذلان أن تكون النهاية مكشوفة، والعملُ إليها وفيها ضعيف ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾.

١٨ ـ إلى كل الذين طال عليهم الطريق فَشَكُّوا في وعد الله تعالى ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾.

١٩ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾.

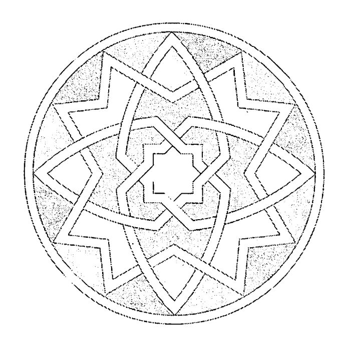
٢٠ ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أصل في أثر الرؤية في بلوغ الإنسان لغاياته في الدارين.

٢١ ـ حين اختلت هذه الرؤية ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ اختل كل شيء في حياة الإنسان.

٢٢ ـ لله تعالى حِكَمٌ فيما يجريه في هذا الكون ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ ولو لم يكن من ذلك إلَّا ضبط التاريخ والأيام والسنين لكان كافياً.

٢٣ ـ في مرات كثيرة لا تحتاج إلَّا أن تمعن في كلام الله تعالى، أو تخرج للكون ترى ملامح الإبداع فيه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

التفسير

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بدلاً من الآخرة ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ ركنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ فلا ينتفعون بما فيها من عبر وعظات.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مَنْ كان هـذا وصفـه ﴿مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مقرّهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ من الكفر والمعاصي.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى وبرسوله ﷺ ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ التي تقربهم إلى الله تعالى ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ يهديهم بسبب ما معهم من الإيمان ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ دعاؤهـم ونداؤهم في الجنـة ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ تقديس الله تعالـى وتنزيهه عما لا يليق بـه ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ يحيِّي بعضهم بعضاً بالسلام ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ خاتمة دعائهم ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ حمد الله تعالى على ما أعطاهم، وأنعم به عليهم.

• ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ لـو يعجّـل الله تعالى للناس العقاب كمـا يتعجّلون الخيـر ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ لحل بهم العذاب وماتوا وانتهوا ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يؤمنون بالآخرة ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ باطلهم ﴿يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ يتردَّدون حائرين.

• ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ من فقر أو مرض ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ لدعا الله تعالى وهو مضطجع ﴿أَوۡ قَاعِدًا﴾ أو لدعاه وهو قاعد ﴿أَوۡ قَآئِمًا﴾ أو لدعاه وهو قائم ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ﴾ أزلنا ما به من مرض وفقر ﴿مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ نسيَ كل ما أصابه ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المتجاوزين للحد ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ فيرون أنهم على الحق وهم على غير هدى.

• ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ من الأمم الماضية ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالحجج الواضحة ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ﴾ حتى مع قيام الحجة عليهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ بمثل هذا نجزي كل مجرم.

• ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ استخلفناكم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد تلك الأمم الماضية ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ هل تقومون بأمر الله تعالى أم تسيرون على ما مضى عليه مَنْ قبلكم.

التَّدَبُّرُ

١ ـ إذا غابت الرؤية غاب من حياة الإنسان كل شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢ ـ إذا أمعنتَ في هذه الصفات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ أدركتَ كيف يصنع الإنسان نهايته البئيسة بإرادته وهواه.

٣ ـ لا تتصوّر هذا المعنى إلّا حين ترى بعض الخلق غارقاً في الدنيا إلى حدِّ الثمالة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾.

٤ ـ إذا رأيت ما يجري في واقعه من المعاملات الربويّة، والتخلّف عن الطاعة، والإقبال على ملاهي الحياة: عادت هذه الصورة إلى ذهنك من جديد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾.

٥ ـ هذه نهايات التوفيق يصنعها أصحابها كما يشاؤون ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٦ ـ الرؤية تصنع فارق الأحداث ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ إنما بلغوا آمالهم لوضوح الرؤية لديهم، ولولا ذلك لما برحوا هذه الدنيا في شيء.

٧ ـ كم نحن بحاجة إلى قراءة هذا المعنى قراءة وجدانية شعورية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم ﴾ تحتاج ذهباً لتغمس فيه قلمك وتعيد كتابتها من جديد!

٨ ـ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ دعوة لترى ما يصنع الإيمان في واقع أصحابه في الحياة.

٩ ـ على قدر إقبالك على ربك تصنع طريقك الطويل وآمالك الكبيرة ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ فقصة حياتك وقف على قصة إيمانك.

١٠ ـ إذا شعرت بقلق يداهم قلبك، أو فراغ يسيطر على روحك، أو إجهاد من أثر مشروعك فاقرأ هذا الحادي على مشاعرك مرات ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

١١ ـ ما أرحم الله تعالى بعباده! ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٢ ـ ماذا لو عاجل الله تعالى عباده بما يدعون؟! ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٣ ـ إذا أردت أن تعرف ضعف هذا الإنسان؛ فتأمله لحظة مرض أو عارض من ألم ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٤ ـ تلزمه الأمراض والمحن والبلايا فيعود من أكثر عباد الله تعالى في الأرض تضرعاً وإنابة، وتعود العافية إليه، فيعود من أقسى وأعتى عباد الله تعالى في الحياة ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٥ ـ صورة متكررة لا تكاد تخطئها عين ناظر ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٦ ـ الإعجاب بالعافية ومواطن القوة لدى الإنسان من الزينة التي ينفخ فيها الشيطان عند ورود حقوق الله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٧ ـ ما أقلّهم وأضعفهم عند ورود عوارض الحياة! وما أكثرهم وأقواهم وأشد

جبروتهم في أيام العافية ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

١٨ ـ أكثر الطرق وضوحاً وعبرةً طريقُ الظالمين ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

١٩ ـ كل الأمم التي هلكت فتحوا على أنفسهم أبواب الظلم، فلقوا نائبات الدهر في عرض الطريق ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

٢٠ ـ كم من قارئ لهذا المعنى ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ وعاكف على بعض تطبيقاته في حياته!

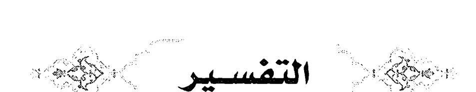
٢١ ـ مشكلة كثيرين أنهم يرون أعظم أسباب هلاك الأمم ثم يتقمصونه خُلقاً لهم في الحياة ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾.

٢٢ ـ ما لم يتحوّل القرآن إلى منهج نستقرئ منه أحوال السابقين، ونوظّفها في صالح واقعنا وإلّا كان بيننا وبين الصلاح مفاوز بعيدة ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

٢٣ ـ درس التاريخ أكثر الدروس أثراً في حياتنا إذا فقهناه ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾



التفسير

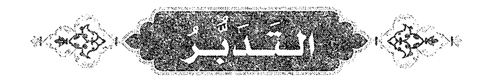
• ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ المنكرون للبعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ غير هذا الذي جئتنا به وفيه ذم آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ اجعل مكان كل آية فيها سبٌّ لآلهتنا مدحاً أو آية وعيدٍ رحمة ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾ فلا سبيل لي إلى ذلك ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فإنما عليَّ البلاغ فحسب ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ خالفت أمره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ شديد.

• ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ لو شاء الله تعالى ألَّا أتلوه عليكم ما تلوته ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أعلمكم به وبما فيه ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ زماناً طويلاً قبل أن يوحى إليَّ ما حدثتكم منه بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ مراد الله تعالى من خلقه.

• ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فلا أحد أشدُّ ظلماً ممَّن قال عليه زوراً وبهتاناً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ فلم يؤمن بها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ لا يصلون إلى شيء من مرادهم وبغيهم.

• ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فلا تملك لهم هذه الآلهة نفعاً ولا ضرَّاً ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله تعالى يوم القيامة ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ أتخبرون الله تعالى ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بما لم يصل إليه علمه أن هناك شفعاء يشفعون لديه يوم القيامة؟ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزَّه ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ وتعاظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ عن شركهم لله تعالى.

- ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ متفقين على الدين ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ فصار بعضهم كافراً وبعضهم مؤمناً ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير كل أمة إلى أجلها ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ لحكم فيهم حكماً عاجلاً.
- ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ المشركون ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ تصدّق خبره ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ أي أن نزول الآيات بيد الله تعالى لا سبيل إلى علمها ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ ما عند الله تعالى ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ لذلك الأمر.



١ ـ الجاهلية طويلة الأمد، لا يمكن أن يتعافى الإنسان منها في لحظة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ وما طَلَبُ كتابٍ غير القرآن أو تبديله إلَّا نتيجة لتلك الجاهلية التي عاشت زمناً طويلاً في الأرض.

٢ ـ آيات بينات محكمات وبلسان عربي مبين، ويأبون إلَّا منهجاً يصفّق بإعجاب للجاهلية الأولى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾.

٣ ـ العقول التي طال استعبادها بأفكار الجاهلية لا تقبل الحرية دفعة واحدة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ

غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ جاء القرآن ليحرِّرهم من مفاهيم الاستعباد فأبوا إلَّا كير تلك الأيام.

٤ ـ تحرَّر عبيد الأشخاص في كثير من الأحداث، ورَفَضَ عبيد الأفكار الحرية التي قُدّمت لهم على طبقٍ من ذهب ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾.

٥ ـ فساد التصورات أصلٌ في فساد الحياة كلها ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ يعرض عليهم الوحي وهم يقولون: غيّره أو بدِّله!

٦ ـ المُحَاجَّة العقلية تصلح في الحوار مع الطبقات التي لا تؤمن بالوحي ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ لو كنتم تعقلون لعرفتم أن هذا القرآن كلام الله تعالى؛ فقد بقيت معكم زمناً طويلاً لم أعرض عليكم منه شيئاً إلَّا حين جاء من عند الله تعالى.

٧ ـ الاعتداد بالعقول في مقابل الوحي مشكلة أزلية ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾.

٨ ـ استحسان شيء لم تأت به الشريعة تَعدٍّ على حقوق الله تعالى وجرأة على مقام الله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

٩ ـ هذا الخلاف العريض له يـوم تُبَيَّن فيه الحقائق ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ لولا أن لهم يوماً يجري فيه حسـابهم لأجرى الله تعالى عليهم تبعات هذا الخلاف في حينه!

١٠ ـ كم من مدَّعٍ لقول وصاحب مذهب وصانع حكاية لا يجد في تلك المواقف دليلاً يصلح للاعتـذار ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ إذا كان هؤلاء لخلافهم استحقوا الوعيد فكيف بمن تقوَّل على الله تعالى وادعى ما ليس له به برهان!

١١ ـ الإعراض عن الله تعالى يصنع هذه السفاهات ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ولا تنتظر من المعرضين إلَّا مثل هذه الطوامّ!

١٢ ـ الجرأة علـى الله تعالى فـرع عـن الجهـل بـه ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ لو عرفوا الله تعالى حقاً ما تجرؤوا عليه بهذه الصور.

١٣ ـ ثمة يوم يحتاج الناس فيه للاعتـذار عن كل ما صنعوه ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

التفسير

- ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾ من صحة وعافية وخير ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ من مرض أو فقر أو شر ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ إذا هم يسعون بالباطل، ويتعاونون على المنكر ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ أعجل عقوبة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾ فلا يخفى على الله تعالى من مكرهم شيء.
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ بما يسّر لكم من الأسباب المُعِيْنة لذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ في السفن ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ جرت السفن بمن فيها من الركّاب ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ هادئة تسوق سفنهم إلى حيث يريدون دون إزعاج ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بهذه الريح ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ شديدة الهبوب ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ﴾ موج البحر ﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أيقنوا أنهم هالكين لا محالة ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أقبلوا متضرعين إلى الله تعالى بالدعاء ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ مما نحن فيه من الشدة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢﴾ الطائعين لك.
- ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ مما هم فيه من الشدة ﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ يسعون فيها بالفساد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ عاقبة مكركم وباطلكم عليكم ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إنما تتمتعون أيام الدنيا فقط ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ فنخبركم بكل أعمالكم.
- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كماء الغيث النازل من السماء ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ نبت من أثر الماء نباتٌ في الأرض ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ نباتٌ يأكله الناس وتأكله الأنعام ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ

﴿ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها ونضارتها ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ وتزيَّنت وتزخرفت في منظرها ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ على حصادها والانتفاع بها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ في الليل أو النهار ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ محصودة مقطوعة ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ كأنها لم تكن قائمة بالأمس ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نبيِّنها ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ في أمر الله تعالى وقدره.

- **﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ إلى الجنة ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ إلى طريق مستقيم، وهو هذا الدين.**



١ ـ ما أشد نكران الإنسان لنعم الله تعالى ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ يعافيهم ويسبل عليهم النعم، ثم إذا هم يمكرون ويتمرَّدون.

٢ ـ من أعظم الأدلة على غفلة الإنسان فقدان الشعور بالنعمة ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ كم هم الذين يرفلون في نعم الله تعالى! كم هم الذين صحُّوا بعد المرض، وأقاموا بعد السفر، وأمنوا بعد الخوف ومع كل ذلك لم يدركوا ما هم فيه من النعيم!

٣ ـ كل حوادث الطغيان والإعراض التي تكتب على الإنسان في واقعه إنما يُسَطَّر بها في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾.

٤ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

صورة كاشفة لحال الإنسان مع ربه في مرات كثيرة.

٥ ـ حين تضيق بالإنسان حيل الحياة ترى رجاءً يملأ الكون خشية، وحين يجد سعة ونعمة ترى بغياً يكاد يملأ الكون فجوراً وطغياناً ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

٦ ـ لا تغرنّك الدنيا! هذه هي كما صوّرها الله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٧ ـ إلى المستمتعين بالحياة المشغولين بها عن تلك الغايات الكبرى التي خُلقوا من أجلها. دونكم وصفها من العليم الخبير ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٨ ـ رأيتُ هذا المشـــهد في صورة تاجر وهب للحياة كل شيء من عمره فرحل، وهو لم يرتوِ منها بعد ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وآخـــر أعطاهـــا كل شيء، فخرج منها لا يملك شيئاً، وثالث يركب سيارته من ربا، ويسكن من حرام، ويسافر ويلهو من أموال الضعفاء ثم يَدَعُها للجزاء، ولم يبق له منها شيء.

٩ ـ مشكلة الربيع أنه يغرقك في اللحظة، ويفوّت عليك حساب الغايات الكبرى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

١٠ ـ يا أيها القرّاء لكتاب الله تعالى! إنما هو دعوة لرؤية دار السلام ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ كل هذه الآيات التي تقرؤونها محاولة لإقناعكم بتلك الدار التي تنتظركم.

١١ ـ الهداية توفيق ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ فإذا منّ الله تعالى بها عليك فتلك من الغنائم التي تحتاج إلى شكر.

❀ ❀ ❀

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

التفسير

• ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ فيما بينهم وبين الله تعالى، وما بينهم وبين خلقه ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٞۖ﴾ وهي النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ﴾ لا يغشاها يوم القيامة ﴿قَتَرٞ﴾ غبار ﴿وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ هوان وصغار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أهلها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ مقيمون.

• ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عملوها في الدنيا ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ مقابل كل سيئة من العمل سيئة من الوزر ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ﴾ خزي وهوان ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ لا يعصمهم أحد من دون الله تعالى ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ﴾ أُلبست ﴿وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾ من شدة ما يعلوها من الذل والفضيحة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ أهلها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ مقيمون.

• ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ نجمعهم في يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ﴾ الزموا مكانكم، لا تتحركوا منه ﴿أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ﴾ أنتم ومن اتخذتموهم آلهة من دون الله تعالى ﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ فرَّقنا بينهم ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ آلهتهم ﴿مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ٢٨﴾ لم تعبدونا من دون الله تعالى.

• ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ فالله تعالى يتولى الفصل بيننا وبينكم ﴿إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩﴾ لم نكن نعرف أنكم تعبدوننا من دون الله تعالى، ولا طلبنا ذلك منكم.

• ﴿هُنَالِكَ﴾ يوم القيامة ﴿تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ تعاين وتتفقّد ﴿مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ﴾ ما عملت من عمل في الدنيا ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كل أمة عادت إلى ربها يوم

القيامة ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ الصدق ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ ضاع واضمحل ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ من الآلهة والمعبودات التي كانوا يعبدون.

- ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من يمدكم بأنواع الرزق النازلة من السماء أو النابتة من الأرض ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ ومن الذي خلق أسماعكم وأبصاركم وجعلها كذلك ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ فيحيي هذا ويميت هذا ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقدِّره ويقضيه ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ سيعترفون أنه الله تعالى، ويقرُّون له بذلك ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ إذا كان كذلك فلماذا لا تأتمرون بأمره وتقومون بحقه!

- ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي هذا الذي يملك كل ذلك هو ربكم الصدق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾ إذا ثبت هذا فليس بعد الله تعالى من معبود إلَّا الضلال والباطل ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ كيف تُصرفون عن عبادة الله تعالى؟!

- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إنما كان ذلك منهم ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ثبتت ووجبت ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾ خرجوا عن طاعة الله تعالى ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لا يتحقق منهم الإيمان بالله تعالى.



١ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢ ـ أثمن خطواتك على الإطلاق تلك الخطوات التي تُقبل بها على الحق ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ومن فقهك أن تستكثر من هذه الخطوات، وتقبل عليها جاداً بكل ما تملك.

٣ ـ إذا أعطى الله تعالى أدهش ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ إذا كانت الشجرة الواحدة في الجنة يسير الراكب الجواد المضمّر السريع مئة سنة ما يقطعها[1]؛ فكيف برؤية الله تعالى في ذلك اليوم!

٤ ـ إذا أمضّك الطريق، وازدلفت على بابك العقبات، وكثرت همومك، فارتقِ لتلك الآمال الموعودة هناك ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٥ ـ تخيّل مكافأتك بإمعان، وارصد للحظات الشوق فيها ما يعينك على بلوغ أمانيك ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٦ ـ نظرة واحدة لوجه ربك تكفي دواءً لأيامك البائسة، وحسرات طريقك، وجهاد العمر الطويل ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٧ ـ أيها المعذبون المطرودون من ساحات أوطانكم، والمقتولون في ساحات الجهاد! لو تأملتم هذه اللحظات لَأَشرقت لكم الحياة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) حديث رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب الجواد المضمّر السريع مئة سنة ما يقطعها».

٨ ـ أيتها الأم التي تعتني بتربية أبنائها، والفتاة التي تحافظ على قيمها، والزوجة التي تبني قيم بيتها، والمعلمة التي تجتهد في بناء طالباتها! قريباً سترون وعد الله تعالى الذي تنتظرون ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٩ ـ أحد مشاهد الحسرات التي تنتظر المفرِّطين في ذلك اليوم ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

١٠ ـ الأنفس المشؤومة لا حظَّ لها في الفلاح! ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ مع أن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلَّا أنهم أصرّوا على هذه النهايات.

١١ ـ الاجتماع رغم أثره الإيجابي على كثيرين إلَّا أنه تحوّل في حياة البعض إلى صناعة مستقبل الضياع ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

١٢ ـ كل اجتماع لا علاقة له بالآخرة فهو وبالٌ على صاحبه يومِ الحاجات ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

١٣ ـ ثمة فرص كثيرة جداً للاعتذار قبل الفوات يقتلها التأخير، ويبدِّد مساحاتها التسويف، حتى توقع صاحبها في الهلاك ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ كان يمكنهم ألا يسقطوا في وحل الخصام من أول مرة.

١٤ ـ من فقهك وكمال وعيك أن كل عمل يحتاج منك في ذلك اليوم إلى اعتذار فدعه ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

١٥ ـ حين تتحوّل المعرفة إلى صورة وشكل لا قيمة لها في واقع إنسان ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ يعرفون كل شيء، ولم تنفعهم تلك المعرفة في شيء.

١٦ ـ إذا لم تتحول المعرفة إلى تطبيق فلا مفروح بها في شيء ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾.

١٧ ـ كل معرفة لا تفتح لك باباً للحياة، ولا تمدُّ في خطوك لتلك الدار فليست من شأنك ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾.

١٨ ـ ضلال الرؤية ضياعٌ للهوية والطريق ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ إذا فُقدت البوصلة لم يصل الإنسان إلى شيء.

١٩ ـ المعصية موجبة للخذلان ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إنما حق عليهم الضلال والضياع لوقوعهم في الفسق ومخالفتهم لأوامر الله تعالى.

❀ ❀ ❀

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

- ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الذين تعبدونهم من دون الله تعالى ﴿مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ يخلق أول مرة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فهو تعالى القادر على ذلك ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤﴾ كيف تُصرفون عن الحق فتعبدون غير الله تعالى.

- ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الذين تعبدونهم من دون الله تعالى ﴿مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ يملك هدايتكم إلى الحق ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّ﴾ لا أحد سواه ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ أي الله تعالى ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ يُطاع ويُعبد ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ فلا يهتدي إلى الحق ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾ يهديه غيره ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥﴾ كيف تجعلون لله تعالى شريكاً وهم لا يقدرون على شيء.

- ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي الذين يدعون من دون الله تعالى لا يعبدون هذه الآلهة إلَّا على سبيل الظن أنها تنفع أو تضر ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ فلا يقوم مقام الحقائق في شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ لا يغيب عنه من عملهم شيء.

- ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لا يمكن أن يكون القرآن كلام أحد من الخلق ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ إنما هو مُصدّق لما سبقه من الكتب السماوية السابقة ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ تبيين أحكام الله تعالى من الحلال والحرام ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٧﴾ إنما هو كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله ﷺ.

• ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ المعاندون من أهل الكفر ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ إن كان كما تقولون فأتوا بسورةٍ واحدةٍ مثله ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ممَّن يعينكم على ذلك ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ أنه مفترى من رسول الله ﷺ.

• ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ كذّبوا بالقرآن قبل أن يفقهوه، ويعلموا ما فيه ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾ وكذّبوا به كذلك قبل أن يأتيهم تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب، فسار تكذيبهم به من جهتين، الأولى: من جهة إعجاز نظمه، فكذبوا ولم يتأملوه بعد. والثانية: من جهة إخباره بالغيوب فكذبوه ولم ينتظروا حتى يروا حقيقة ما فيه ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ فقد سبقهم إلى التكذيب آخرون ﴿فَٱنظُرۡ﴾ تأمل ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ كيف كان مصير الظالمين السابقين.

• ﴿وَمِنۡهُم﴾ من الكافرين ﴿مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤٠﴾ في الأرض.

• ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ إن كذَّبك هؤلاء المشركون ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ الذي أُسألُ عنه يوم القيامة ﴿وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡ﴾ الذي تُسألون عنه ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ﴾ فلا ينالكم منه شيء ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٤١﴾ فلا ينالني منه شيء.

• ﴿وَمِنۡهُم﴾ من المشركين ﴿مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ وقت قراءتك للقرآن استماع تكذيب لا استماع انتفاع ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ أي لا سبيل لك إلى إسماع الصم ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ٤٢﴾ وإذا كان لا يعقل مع عدم سماعه فلا وجه لانتفاعه.

التدبر

١ ـ كم نحن بحاجة إلى منح عقولنا حقها من التفكير ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لو منحوا عقولهم شيئاً من التفكير لَمَا صاروا إلى هذه النهايات. إنّ جزءاً كبيراً من حياتنا وقف على الأوهام والشبهات وأحوال الآخرين، وكم مرة أجّر فيها الإنسان عقله لغيره فضاع!

٢ ـ العلم بالمدعو نوع من فقه الدعوة ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فقد حاجَّهم القرآن بالعقل وبيّن لهم فساد تصوراتهم من خلاله.

٣ ـ الظنون مشكلة تطارد كثيرين في جملة من أحوالهم ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٤ ـ ترى هذا الخُلق في تعامل الإنسان مع زوجه، يأتي متأخراً في الليل بنية التجسس عليها، ويراقب جوالها، ويبحث عن الأرقام التي تواصلت معها، وأصل هذا مبنيٌّ على ظنٍّ طارئ لم تقم به حجج وبراهين ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٥ ـ وترى ذلك حتى في أمور دينه الكبار فيبني حكماً وفقهاً على الظنون ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٦ ـ ورأيت ثالثاً تلاحقه الأمراض النفسية، والمواقف السيئة، والأحداث الكثيرة بسبب تلك الظنون التي ليس عليها من سلطان ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٧ ـ ما أكثر ما خاصمتِ الشريعة الظنون والأوهام، وما زالت تسيطر ـ مع ذلك ـ على كثيرين ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٨ ـ مشكلات الوسواس، والخلافات، والطلاق فرعٌ عن الأوهام والظنون ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٩ ـ من إعجاز هذا القرآن أنه تحدى بلغاء العرب منذ فجر الرسالة إلى يومنا هذا أن يأتوا بمثله ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ وهـذا أحـد الأدلة التي يُستدَلُّ بها على كمال الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

١٠ ـ أراد بائع نصراني أن يجري اختباراً عن صحة القرآن والإنجيل فباع نسختين محرفتين، فعاد كل من اشتروا القرآن بحجة أن ما اشتروه محرف، ولم يعد أحدٌ ممن اشترى الإنجيل؛ فأعلن إسلامه ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

١١ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ رسـالة تحدٍّ لكل المناوئين لهذا الوحي منذ فجر الرسالة إلى يومنا هذا، وما زالت الدعوة متاحة للجميع.

١٢ ـ حين تبلغ وسعك مع المدعو ولا يستجيب؛ فدعه يخوض رحلة النهايات كما أراد ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ وهذا يجري مع الأشخاص والجماعات وكل إنسان بحسبه.

١٣ ـ البراءة بعد البلاغ جزء من تحميل صاحبها تبعات قراره ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ فإذا بُلّغ بالحق، وأصرَّ على التكذيب؛ فذلك شأنه الخاص.

١٤ ـ فرق كبير بين بيان الحق والإقناع به والحرص على التزامه وبين الإكراه عليه ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ فالأول من شأن الرسل والدعاة والمصلحين، والآخر لا مساحة له في دين الله تعالى.

١٥ ـ العبرة بالقلوب، وليس للأجساد من ذلك شيء ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يستمعون ولكن لا يعقلون! كم مرة بنينا على الصور والأشكال من أحكام، ولم يتحقق لنا منها شيء!

١٦ ـ يلزمك أن تحبّر موعظتك وتجتهد في إبلاغها قلوب المستمعين، وليس عليك بعد ذلك هدايتهم بها ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

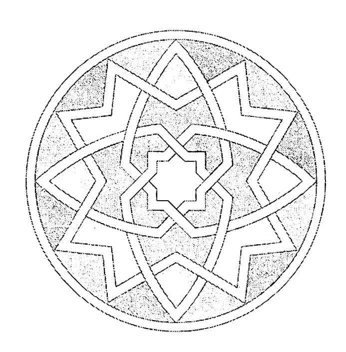
١٧ ـ إذا أدبرت القلوب لم يبق للجوارح أي شأن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ألا تراهم يستمعون بآذانهم ولكن لم يبلغ عقولهم منها شيءٌ!

١٨ ـ لا تفرح بأعداد السامعين لموعظتك، أو الجالسين لحديثك، أو الملتفّين في حلقتك. كم من عددٍ لا قيمة له عند رايات العمل والتطبيق ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ اعتـــنِ بموعظتك، وركّز على دوائر تأثيرها، ولا تنشغل بغيرها.

١٩ ـ فساد النية أصل في ضياع الأوقات والجهود والأعمال ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قضوا وقتاً طويلاً في الجلوس بين يدي الواعظ ولكنها ذهبت سدًى لفساد النيَّات.

٢٠ ـ من فقهك وكمال وعيك وأدبك أن تتحســس قلبك عند سماع كل موعظة؛ وتستدرك أمرك قبل الفوات ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فإذا وجدت روحاً وفرحاً واســتجابة فذاك؛ وإلَّا فمثلك أعلم بإدراك واقعك.





وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

التفسير

- ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَ﴾ ينظر إلى أحوالك نظراً مجرداً عن الاقتداء ﴿أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي لا سبيل لك إلى هداية عميان القلوب.

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ فلا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ بمخالفة أوامر الله تعالى.

- ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ يجمعهم يوم القيامة ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ كأن مقامهم في الدنيا ساعة واحدة في يوم من أيام الدنيا ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ مدة ضيقة لا تتسع إلَّا للتعارف بينهم ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ فضاع كل أمل لهم في الآخرة ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ إلى الطريق الحق.

- ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ دون أن ترى ما يحل بهم ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ حفيظ ﴿عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فيجازيهم به يوم القيامة.

- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞ﴾ يبلّغها أمر الله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ﴾ فبين لهم أمر الله تعالى فكذبوا به وعصوه ﴿قُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ يوم القيامة ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم.

- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المشركون ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ يوم القيامة ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ؟!

- ﴿قُل﴾ لهم يا رسول الله: ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا﴾ فلا أملك أن أنفع نفسي ولا أضرها بشيء ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلَّا شيئاً من النفع أو الضر شاءه

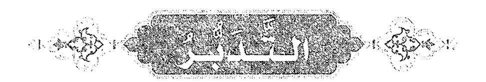
الله تعالى وأراده ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقت محدد ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وقت موتهم ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ عن ذلك الأجل ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ عنه.

• ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ لو أتاكم عذاب الله تعالى في الليل أو في النهار ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ما الذي جعلهم يستعجلونه وهو عذاب.

• ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ أبعدما وقع ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ حصل منكم الإيمان ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمنون به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ تودون حصوله قبل ذلك مستنكرين مستبعدين.

• ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ على وجه الاستهزاء والسخرية: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ العذاب الباقي الدائم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ بكسبكم للمعاصي ومخالفتكم لأوامر الله تعالى.

• ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي يوم القيامة ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ حاصل واقع لا محالة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ الله تعالى أن يعذبكم في ذلك اليوم.



التدبر

١ ـ لا تسل لِمَ لا يتعظ الذين يحضرون مشاهد الجنائز وحوادث الموت! لأنها إذا خربت القلوب لا يكاد ينفع فيها واعظ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٢ ـ يحضرون ويشاهدون كل شيء، ولا يستطيعون أن يتقدموا خطوة نحو مستقبلهم الكبير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٣ ـ أعطاهم الله تعالى البصر النافذ، وحُرموا آثاره بسبب أعمالهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٤ ـ حين لا نحتفل بنعم الله تعالى ونوظفها التوظيف الأمثل لا يبقى لها قيمة في واقعنا مع الأيام ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٥ ـ كم من نعمةٍ تراها في جسد إنسان لا قيمة لها في واقعه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وما يُصْنَعُ ببصرٍ لا تُرَى من خلاله الحقائق! أو بسمعٍ لا يدل على الخيرات! أو جسدٍ معافى يركض به في مساحات الباطل!

٦ ـ كل ما تراه حلّ بهؤلاء إنما هو من سعي أنفسهم، وجهد عقولهم وقلوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٧ ـ إذا رأيته يعيش سعادة وألقاً وراحة وطمأنينة؛ فاعلم أن ذلك من كسبه وسعي عمله وجهده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ وإذا رأيت نعيم الله تعالى عليه بصلاح ولده، ونماء ماله، وسعادة بيته، واجتماع شمله، ونجاحه في الحياة؛ فذلك جزء من نَصَبِهِ في طريق الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٨ ـ وإذا بلغك شتاته، وضياع أمره، وكثرة ديونه، ونزاع بيته وواقعه، وإخفاق عمله، فذلك بعض إصراره على طريق الخذلان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٩ ـ ثمة موعد ينسى فيه الإنسان سنين الحياة الطويلة ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

١٠ ـ غابت عنهم الرؤية والحلم الكبير؛ فعادوا في النهاية يتحسّـرون على فوات الأحلام ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١١ ـ هذا هو جزاء الغافلين عن نهايات الدار الآخرة ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٢ ـ يمكنك أن تقلب النهاية التي تقرؤها الآن وتجعلها أيام ربيع ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٣ ـ لا تحرص على مشاهد الخزي التي تنتظر العدو، سيأتي يومهم ولو طال ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

١٤ ـ لكل مجرم في الأرض مشهد ختام سـيلقاه ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

١٥ ـ لو كانت نهاية كل عدو عاجلة لفقد مشهد الابتلاء عند كثيرين ثمرته ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

١٦ ـ من الابتلاء أن ترى عدوك يعبث في الأرض ولم تطله يد الله تعالى بعد! ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

١٧ ـ رأينا بأعيننا صنيع الله تعالى في الظالمين، وأكثر المشاهد المثيرة في المشهد لم تأت بعد ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

١٨ ـ إذا رأيتم ظالماً يثير مساحات الفساد في الواقع ولم يتوقف بعد؛ فاقرؤوا هذه التسلية الماتعة لنبي الله ﷺ ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

١٩ ـ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ حتى لا يأتي أحد يلوك الأعذار وينتحل الحيل في مواقف الحساب!

٢٠ ـ كل هالك إنما صنع نهايته بنفسه ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

٢١ ـ إذا أردت أن تعرف استحقاق الظالمين للحساب؛ فانظر للمسافة التي عاشها الرسول بينهم دون جدوى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

٢٢ ـ البلاغ يقطع أعذار المعتذرين، ويوقف زحف الحجج الواهية في ذلك اليوم ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

٢٣ ـ بعض الأسئلة تستحق أن يرمى بها في النفايات ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

٢٤ ـ من مشكلاتنا الأزلية الانشغال بالسؤال على حساب العمل ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

٢٥ ـ لو اسْتُثْمِرَتْ أوقات الأسئلة في العمل لتحوّلت حياتنا إلى أملٍ ونجاح ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

٢٦ ـ كم من أجل بلغ موعده وصاحبه سادرٌ في الظلام ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

٢٧ ـ حتى الرسل ـ على مقامهم ـ لا يملكون جواباً شافياً على موعد سؤال الرحيل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

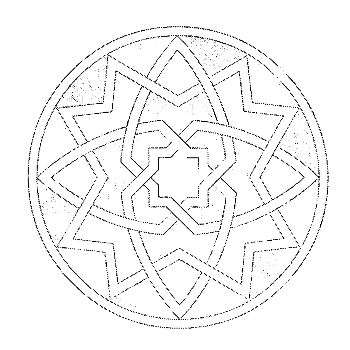
٢٨ ـ الغفلة تصنع مثل هذا الواقـع البئيس ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ يستعجلون عذاب الله تعالى، ولا يملكون من العمل شيئاً.

٢٩ ـ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يالبَلادة هؤلاء! يسألون عن شيء به سِرُّ الحياة!

٣٠ ـ كم هي الأسئلة التي أخذت من أوقاتنا كل شيء ولم تعطنا في النهاية شيئاً ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٣١ ـ ليس البعـث والجزاء هو الحق فحسـب، بل حتى التمكـن من جزائكم وعذابكم حـق كذلـك ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.





وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

التفسير

• ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي لو كانت تملك كل ما في الأرض ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لدفعته مقابل الفكاك من عذاب الله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أخفوها في نفوسهم ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ شاهدوه عياناً ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤)﴾ لا يبخسون.

• ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو مالكها والمتصرّف فيها ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)﴾ ما ينفعهم يوم القيامة.

• ﴿هُوَ﴾ أي الله تعالى ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ المتصرّف بالإحياء والإماتة ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)﴾ يوم القيامة.

• ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ القرآن الكريم يعظكم ويذكركم أمر الله تعالى ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من أمراض الشهوات والشبهات ﴿وَهُدًى﴾ يهدي به أهل الإيمان إلى الحق ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ بما يدلهم عليه من الخيرات.

• ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الذي تفضل به على عباده وهو هذا القرآن ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ من الإيمان بهذا الدين ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ حقيقة الفرح ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.

• ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ من الحيوانات التي أباحها الله تعالى لكم ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ تقسمونه إلى حلال وحرام بعقولكم ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ سمح لكم بهذا التقسيم ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)﴾ تكذبون.

- ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي ماذا يظن أن يفعل الله تعالى بهم يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ في خلقهم ورزقهم وبيان الحق لهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ لا يقومون لله تعالى بحقه من الشكر مقابل هذه النعم.
- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ في حال من الأحــوال ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ وما تقرأ من كتــاب الله تعالى ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ صغيــراً أو كبيراً ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ حين تشرعون في عمله ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ ما يغيب عنــه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وزن نملة صغيرة ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ حتى ما هو أصغر من الذرة ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾ من الذرة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ واضح بيّن.

التَّدَبُّر

١ ـ إذا أردت أن تعرف مرارة النهايات فتأمل هذه الصور من التأســفات ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

٢ ـ ليست مالاً فتمسكه، ولا جاهاً فتبخل به، ولا جهداً فتضنَّ به، ولكنها النجاة التي تتمنى أن تفتدي من أجلها كل شيء ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

٣ ـ قد دُعِيتَ وما زلت تُدْعى لأقل من هذا، فإياك والفوات! ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

٤ ـ الحياة التي عاشوا لها يتمنون أن تكون فداءً للنجاة ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

٥ ـ كل جهد غير موصول بهذا المعنى ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فلا قيمة له.

٦ ـ كثير من الجهود لم تعِ هذه الحقائق بعد ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٧ ـ تتمنى في مرات أن تلفت انتباه كثير من اللاهين إلى هذا المعنى ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٨ ـ جـزء كبير من العالم يجتهـد وتغيب عنه معالم الطريـق ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ هنا تُناخُ مطايا الصالحين!

١٠ ـ كم مرة وعظك رجل صالح فأثار مشـاعرك! وهذه موعظـة الله تعالى لك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١١ ـ في كتاب الله تعالى شفاء لآلام النفوس، ودواء لجراحاتهم، وهدى لقلوبهم، ورحمة بهم ولهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٢ ـ ماذا لو أعطينا القرآنَ أوقاتنا وأحلامنا ومشاعرنا وكل شيء؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٣ ـ له ورد يومي يقرؤه كل يوم، ويراجع محفوظه في اليوم نفسه، ولديه برنامج تدبر، ويستشفي به عند الأمراض والأسقام، فماذا بقي من النعيم لم يدركه صاحبه بعد؟! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٤ ـ إن كان ثمة شيء يستحق الفرح فهو الفرح بالقرآن الكريم تلاوة وتدبراً وعملاً وتطبيقاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٥ ـ تخيّل أن هذا القرآن يعدل دنياك بكل ما فيها ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ومن كمال وعيك وفقهك أن تهب له وقتك وقلبك ومشاعرك وكل شيء.

١٦ ـ الفتوى في الشريعة ليست كلأً مباحاً لكل إنسان ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ

تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٧ ـ إذا رأيته يسارع في الفتوى في شريعة الله تعالى فذكّره بهذه الموعظة ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٍ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٨ ـ من الافتراء على الله تعالى أن تقول في دينه ما ليس لك به علم أو ليس عندك فيه من الله تعالى برهان واضح ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٍ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٩ ـ كثيرة هي نعم الله تعالى على عبيده لو كانوا يعقلون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾.

٢٠ ـ كم من نعم لله تعالى على عبيده تستحق شكراً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾.

٢١ ـ من فضله عليك أن شرح صدرك للإسلام، وأراك الكفر ضلالاً، وأعانك على الطاعة، وفتح لك موارد الخيرات، وألبسك حلل النعيم، وجمع شمل بيتك، وأصلح لك أهلك، وأعانك على موارد التوفيق، وجنبك طرق الحرمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾.

٢٢ ـ ومن فضله عليك أن وهب لك ولداً صالحاً، وأقنعك بمشروع وقضية عمر، وأعانك على بلوغ أحلامك في كل شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾.

٢٣ ـ ومن فضله عليك أن أبقى والديك على قيد الحياة لتستمتع بِبِرِّهما ما بقي من العمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

٢٤ ـ ومن فضل الله عليك أن فتح قلبك للصدقة والبر والمعروف، وجعلك عوناً لكل محتاج ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

٢٥ ـ ومن فضل الله تعالى عليك أن يسر لك رزقاً، وأمدك بالعافية، وفتح لك آفاق التوفيق، ولم يحرمك من شـيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

٢٦ ـ ومن فضل الله عليك أن متعك بالعافية، وجنبك الأمراض، ورزقك التوفيق، ولم يتخلَّ عنك في موقفٍ كنت بحاجةٍ إلى عونه وسداده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

٢٧ ـ ماذا لو قرأنا هذا المعنى بإمعان؟! ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾.

٢٨ ـ أياً كان العمل الـذي تخـوض فيـه هـذه اللحظـة؛ فالله تعالى يراك، ويرقب جهدك، ويرى عملك، لا يغيب عليه منه شيء ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾.

٢٩ ـ حتى عرقك الذي تبذله فـي دينه، وجهدك الذي تصرفه في منهجه، وسـاعاتك التي تقضيها في رسـالته هي كذلك تُرى فـي كل تفاصيلها

وأحداثها ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾.

٣٠ ـ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ حتى لو كنت مسافراً، ونزلت ديار غربة دون رفيق؛ فالله تعالى يرقب سيرك، ويعرف تفاصيل رحلتك، ويرى أين ذهبت وماذا صنعت!

٣١ ـ في وظيفتك تجري عليك القضية نفسها فيرى الله تعالى دوامك، ويعرف انضباطك، ويرى تفاصيل عملك وخروجك ودخولك، ويرصد كل ذلك، لا يفوت عليه منه شيء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ وفي تجارتك، وسوقك، وتعاملك في مالك تجري عليك المراقبة نفسها ويُكتب عنك ولك كل شيء.

٣٢ ـ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ حتى جوالك، وشاشتك الفضائية، وغرفتك التي تسكنها، ودفتر الذكريات الذي تكتبه محفوظ لا يغيب منه شيءٌ.

❀ ❀ ❀

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير

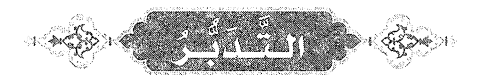
- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ وهم كل مؤمن تقـي ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيما يستقبلون ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ على ما يتركون.
- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بـالله تعالى وبرسـوله ﷺ ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ يجعلون بينهم وبين عذاب الله وقاية.
- ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي المحبـة في قلوب الخلـق، والثناء الحسـن على ألسـنتهم ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وهي كل رحمة تلقاهم من لحظة الموت إلى لقاء الله تعالى يـوم القيامة ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ ما يلقاه المؤمن من خير في دنياه وآخرته.
- ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ﴾ قول المعارضين ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ القهر والغلبـة لله تعالى ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ فـلا يفوته من حديث الناس شـيء ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾ بكل شيء.
- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ له الملك والتدبير في كل المخلوقـات ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ كل ما يتخذه ويتبعه المشـركون من دون الله تعالى ليسـوا شركاء في الحقيقة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إن هـو إلَّا ظنهم، وليس لله تعالى شريك ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦﴾ يكذبون.
- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ تخلدون وتستقرون فيه للراحة ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ مضيئاً لشـغلكم ومعاشكم ﴿إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ ﴾ دلائل ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ كلام الله تعالى سمع تدبر وقبول.

• ﴿قَالُواْ﴾ أي المشركون: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ جعل له ولداً من الخلق ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزّه عن ذلك ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن كل شيء ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾ حجة ودليل على ذلك ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ من نَسْبِ الولد إليه.

• ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ لا يبلغون مقصودهم.

• ﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ إنما نهايتهم الدنيا يتمتعون فيها ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بسبب كفرهم.



١ ـ الذين يجلّون شعائر الله تعالى، ويعظّمون أمره، يستحقون هذه المعاني التي وعدهم الله تعالى بها ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ من كان مؤمناً تقيّاً كان لله تعالى وليّاً.

٢ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

٣ ـ شـــهادة الآخرين لك، وثناء المؤمنين عليك، أول عتبات طريق ذلك النعيم المنتظر ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

٤ ـ من حق قلبك ألا يلتفت لنعيق المعارضين ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾.

٥ ـ تفوّق على مشاهد الباطل، ولا ترهق نفسك بمشاعر اليأس والإحباط ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾.

٦ ـ من مقتضيات هــذه العزة ألا تجهد قلبك ومشــاعرك لأذى الآخرين ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾.

٧ ـ كل ما في هذا الكون لربك، ليس للخلق منه شيء ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

٨ ـ خلل البدايات مؤذن بسوء النهايات ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

٩ ـ الظنون والأوهام لا تبني لأصحابهــا مجداً، ولا تهديهم في الأصل إلى الطريق ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

١٠ ـ المؤلم أن تتحوّل آيات الله تعالى إلى مساحات من العبث والفوضى ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١١ ـ كم من مستعين بهما على الباطل! وكم من خالق في مساحاتهما من التحديات ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١٢ ـ من حديثه تعرف عقله أو ضلاله ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٣ ـ أي فكرة عارية عن البراهين لا تستحق أن تلقي إليها بالاً، بل مكانها الإهمال دون اعتبار ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

١٤ ـ ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ تصلح سوطاً يضرب به على أفواه المتحدثين بلا براهين.

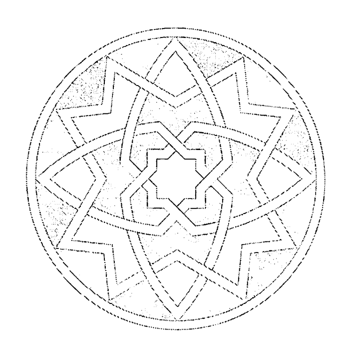
١٥ ـ إذا رأيته يتحدث في أمر؛ فاطلب منه دليلاً على صدق دعواه ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾.

١٦ ـ هذه عواقب المفترين على الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

١٧ ـ رأيتهم يتصدرون الفتوى، ويقولون بلا دليل، ويخاصمون في الشريعة بلا برهان، وفي النهاية إلى هاوية الخذلان ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

١٨ ـ عاش زعيماً للضلالة، يدافع عنها وينافح، ثم اكتشف في النهاية أنه آيلٌ إلى الضلال ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

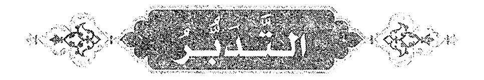


۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

التفسير

- ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبر رسول الله نوح عليه السلام ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إن شقّ عليكم مقامي بين أظهركم وتذكيري لكم في كل مرة ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ فوّضت أمري إليه ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ اجتمعوا كلكم ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ ادعوهم لاتخاذ قراركم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾ مشتبهاً خفياً، بل ليكن ظاهراً معلناً ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ بالعقوبة التي تودون ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ لا تمهلوني ساعة.
- ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن ما قلت لكم ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ من مال على دعوتكم ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ فثوابي وجزائي على رب العالمين ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾ المنقادين المستسلمين لله تعالى المتبعين لأمره.
- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في كل ما قال ودعاهم إليه ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ في السفينة التي حملته وقت الغرق ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ نوح ومن آمن معه ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأرض بعد هلاك المكذبين ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في الماء ﴿فَٱنظُرۡ﴾ تأمل ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾ ما أسوأ عاقبتهم ومآلهم الذي صاروا إليه!
- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد نوح عليه السلام ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾ أي كل أمة لها رسول ﴿فَجَآءُوهُم﴾ أي الرسل ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والدلائل البينة الواضحة ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾ هؤلاء الأقوام ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾ استمروا على كفرهم قبل إرسال الرسل ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤﴾ المتجاوزين لحدود الله تعالى

- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ من بعد الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ خاصته وأشراف مملكته ﴿بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ فأعرضوا ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ متجاوزين لحدود الله تعالى.
- ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ سحر بيّن واضح.
- ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ أتصفونه بذلك ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ لا يصلون إلى شيء.
- ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾ لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ من الأفعال ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تكونوا رؤساءً وكباراً علينا ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ بمصدِّقين ولا مُتَّبعين.



١ ـ التوكل على الله تعالى عقيدة صلبة في قلوب المتقين ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ يتحداهم للوقوف أمامه بكل ما يملكون، وهو يعلم أنهم لا يفعلون شيئاً إلَّا بقضاء الله تعالى وقدره.

٢ ـ في مرات كثيرة لا تقوى العقائد في قلوب الآخرين إلَّا من خلال القدوات ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾.

٣ ـ العقيدة أصل في أي بناء، وهذا المعنى الذي يصرح به نبي الله تعالى ورسوله نوح عليه السلام هو نوع من التربية على مواجهة الطغيان من خلال العقائد ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾.

٤ ـ حسب الأنبياء والدعاة والمصلحين أنهم أجراء عند الله تعالى فحسب ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٥ ـ الرسالة لا تقوم على استجداء الآخرين قوتاً أو مالاً أو شيئاً من متاع الحياة العاجل ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ العزة شرط من شروطها، وقد رعى نبيك ﷺ الغنم في مقتبل عمره.

٦ ـ ليس من مسؤولية الأنبياء أو الدعاة والمصلحين هداية الخلق، وإنما يكفي الرسالة التعريف بالله تعالى، ودعوتهم إلى امتثال أوامره وهم يخوضون رحلة نهايتها كما يشاؤون ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٧ ـ بعد هذا الزمن الطويل الذي قضاه نبي الله تعالى نوح عليه السلام في رسالته تأتي هذه النهاية المُرَّة ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ وهي نتيجة طبيعية جداً فيمن جرّب مكابدة الدعوة، وعاش بعضاً من أحداثها ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

٨ ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ بعد تسع مئة وخمسين عاماً من الجهد والتعب والعناء، المشاريع ليست شيئاً فتاتاً في حياة أصحابها.

٩ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ ﴾ بعد أن بذل كل الوسائل المتاحة لنجاح مشروعه، واستفرغ كل طاقته في سبيل ذلك، يكفي منها العيش للمشروع حتى آخر رمق في الحياة.

١٠ ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ رسالة لكل الذين يشتكون في الطريق، وتأخرت عليهم الثمار، ولم يروا نتائج كبيرة لمشاريعهم، الثبات على الفكرة، وعدم الاستسلام لعقبات الطريق أعظم البراهين على النجاح.

١١ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ ﴾ الذين عاشوا قبلك عاشوا أطول زمناً من زمنك، وكابدوا أكبر من مكابدتك، ومع ذلك صبروا حتى النهاية؛ فلم الاستعجال على ثمار مشروعك!

١٢ ـ الذين يقيسون المشاريع بثمارها: عليهم أن يعيدوا هذه النتيجة في فجر كل يوم، وعند العودة إلى فرش النوم ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾.

١٣ ـ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ يخبرك الله تعالى أنه يحبه، ويريد أن يفرحه، وكتب له نهاية صالحة بالنجاة، الانتصار ليس حصراً على النتائج!

١٤ ـ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ رسالة في الرضا التام عنه؛ فنجاحك فرع عن تمسكك بمشروعك، وإصرارك على بلوغ أمانيك، وعدم التخلّف عن فكرتك لتخلّف نتائجها في واقعك.

١٥ ـ البقاء للحق؛ وإن كان عدد الأتباع قليلاً وبسيطاً ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾.

١٦ ـ ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ نتيجة طبيعية تتراءى أمام أعيننا كل مرة.

١٧ ـ ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ درس لكل المتخلفين في الطريق أفراداً كانوا أو جماعات.

١٨ ـ ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ دعوة لأصحاب الحق، ودعوة في الوقت نفسه للمتخلفين. النهايات رأي العين!

١٩ ـ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ (٧٤) ﴾ رسالة في أن الدعوة والبلاغ والبيان لا يجوز أن تتوقف لحال أو حدث من الأحداث.

٢٠ ـ سيرة التخلّف عن واجبات الدعوة ما زالت تأخذ حظها من الواقع ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ (٧٤) ﴾.

٢١ ـ إذا تكررت الفرص، ولم توظف لصالح أصحابها، حرموا آثارها، ولو بعد حين ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ (٧٤) ﴾.

٢٢ ـ ﴿ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ (٧٤) ﴾ نتيجة طبيعية للتخلّف عن أوامر الله تعالى، والإصرار على معاندة رسله ومنهجه.

٢٣ ـ الإعراض عن الحق فرع عن الاستكبار ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) ﴾.

٢٤ ـ إذا ظهرت الحقائق في الأرض جهِدَ الأعداء في تشويهها بكل ما يملكون ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) ﴾.

٢٥ ـ المسألة عندهم أكبر من كونها حق وباطل ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

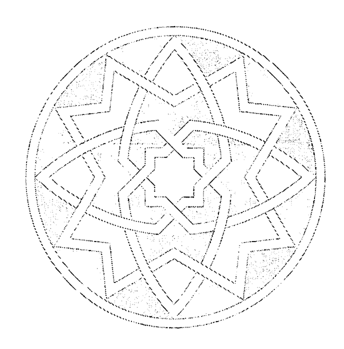
٢٦ ـ ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾ لا تزال إرثاً تتقاســمـه الأمم جيلاً بعـد جيل.

٢٧ ـ التصورات الخاطئة تبني طرق الضلال كما تشاء ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحق عندهم ما جاء من طريق آبائهم فحسب.

٢٨ ـ تأجير العقول مشــكلة أزليــة ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ لا يقبلون شيئاً إلَّا من خلال الآباء والأجداد.

٢٩ ـ ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أهم قضيــة ألا تنازعهم على مناصب المسؤولية وكراسي المقدمة، والألقاب الكبيرة، وغير ذلك لا حرج.





وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

التفسير

• ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ أي ماهر بالسحر متقن له.

• ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ حضروا أمام موسى ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾ اطرحوا أي شيء تريدون طرحه في الأرض.

• ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ رموا وطرحوا ما في أيديهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ سيجعله باطلاً مردوداً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ لا يجعله صالحاً بل ممحوقاً باطلاً.

• ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ يثبته ويمكن له ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ التي أنزلها في كتبه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ولو كانوا كارهين لنصرة الحق مؤيدين للباطل.

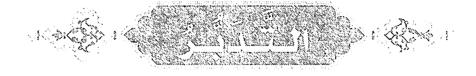
• ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ شباب من بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ آمنوا وهم خائفون من بطش فرعون وجنده ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ عن دينهم ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لجبار مستكبر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المتجاوزين الحد في الكفر والفساد.

• ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ فوِّضوا أموركم إليه ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ مستسلمين منقادين لله تعالى.

• ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فوضنا أمرنا إليه ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن ديننا ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ سلِّمنا من تسلطهم علينا.

• ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾ حين اشتد عليهما الأمر ﴿أَن تَبَوَّءَا ﴾ اتخذا ﴿ لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا ﴾ بيوتاً يستخفون فيها من الظالمين ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ مكاناً للصلاة حال الخوف ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ حافظوا عليها في أوقاتها ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بالنصر والتمكين.

• ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ ﴾ يتزينون بها من متاع الدنيا ﴿وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ استعملوها في الصدِّ عن الحق ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ أتلفها ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ اختم عليها ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ فلا يتمكنون من الإيمان حتى يلقوا العذاب عياناً.



١ ـ طاغية يعرف الحقائق، ويصر على إبقاء الجماهير في الأوهام ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾.

٢ ـ العبث بالعقول والأفكار جزء من الحرب التي يديرها العدو لإقناع الجماهير ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾.

٣ ـ يشترط رجلاً ماهراً بصنعته لإدراكه لضرورة القوة في رد المعارضين ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾.

٤ ـ القوة تفرض واقعها في كل حرب ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾.

٥ ـ المعرفة هي القوة العالمية بالأمس، وهي المعنى نفسه اليوم ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾.

٦ ـ من يتفوّق عليك في العلم يهزمك في ساحة الحرب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

٧ ـ من مؤهلات الكبار الثقة بالله تعالى وبنصره والتوكل عليه ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

٨ ـ في مواطن الأزمات تنبعث حقائق العقائد الكبرى ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

٩ ـ القناعات فرع عن العقائد ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

١٠ ـ وفي النهاية زال غبار الحقائق، وذهب زيف المبطلين ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

١١ ـ حتى الحقائق الكبرى لا تملك هداية القلوب العمياء ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ لم يؤمن من تلك الجماهير الغفيرة إلَّا قلة من شباب بني إسرائيل.

١٢ ـ هذا الرعب الذي يسري في قلوب المؤمنين اليوم جزءٌ من صنع الطغاة والمجرمين بالأمس ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وهي ذاتها اليوم لم تتغيّر فيها إلَّا الأسماء فحسب.

١٣ ـ التوكل على الله تعالى فرع عن الإيمان به ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

١٤ ـ لا قيمة للمعرفة المجردة التي لا تحظى بالتطبيق في واقع صاحبها ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

١٥ ـ شعورك بضعفك وابتهالك لربك دليل تجردك من حولك وقوتك وبابُ توفيق ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

١٦ ـ النصر موكول بتهيئة البيئة المُعِيْنة على تحقيقه ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

١٧ ـ كونوا شركاء في رؤية بناء الغد ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

١٨ ـ إعادة ضبط وتوجيه البوصلة ضرورة لاستقبال أيام النصر ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

١٩ ـ الصلاة ليست صورة يقيمها الإنسان ليتخلّص بها من التبعات، وإنما قضيّة تبعث فينا النصر، وتعيد لنا الحضارة المفقودة، وتكتب نصرنا على العالمين ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ أقم الصلاة كما يريد الله تعالى وانشر البشرى في أرجاء العالم ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٢١ ـ حين تقام الصلاة في نفوسنا وواقعنا تبدأ رحلة الفرح والانتصارات ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٢٢ ـ صلاح نفسك، ودعاؤك، وبذل الأسباب الكافية وسيلةٌ كافيةٌ لمحق الأعداء، وتبديد آمالهم وممتلكاتهم ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

٢٣ ـ لا تقف متفرجاً على مشاهد العالم الإسلامي وهو يحترق بنيران العدو، تنحّى جانباً، وارفع يديك للسماء وقل: يا رب ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ فلعل دعوةً تثور آثارها في ساحات العدو!

٢٤ ـ حين تكون أموالنا ومهاراتنا وقدراتنا وراء كل النكبات التي نعيشها في واقعنا ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

التفسير

- ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فما طلبتُما حاصل لكما ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على دينكما واستمرّا على دعوتكما ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ من الجهال والمفسدين.

- ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ قطعنا بهم البحر بعد إن شُقَّ لهم ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ لحقا بهما ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ ظلماً وعدواناً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ أوشك على الغرق ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي الله تعالى هو الحق ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ المستسلمين المنقادين.

- ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمن وتُقرُّ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ كنت عاصياً ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ في الأرض.

- ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ نُميْتُ روحك، ونبقي جسدك الميت ليراه الناس ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ معرضون غير متدبرين لها.

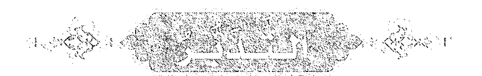
- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلاً صالحاً ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فتحنا عليهم أبواب خيرات عظيمة ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ لما جاءهم العلم اختلفوا فيما بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يحكم بينهم ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾. ليس أشأم على الإنسان من لحظة يكون فيها العلم هو سبب الخلاف والفوضى في حياته. العلم سبيل لاجتماع الكلمة، وصلاح النية وائتلاف القلوب، فإذا ما كان سبباً للخلاف صار شؤماً على صاحبه، وعلامة على خذلانه، وضياع آثاره.



• ﴿ فَإِن كُنتَ ﴾ أي يا رســول الله ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ فلست متيقناً منه ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ مَنْ أسلم منهم كعبد الله بن سلام ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ الذي لا يوجب شكاً ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ من الشاكين المترددين في ذلك.

• ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ فأعرضوا عنها ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الذين خسـروا كل شيء ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي وجبـت عليهـم ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي قضـاء الله تعالى وقـدره ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ أي لا سبيل لهم إلى الإيمان.

• ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ ولو رأوا كل الآيات الدالة على الحق ما آمنوا ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ وعند ذلك لا ينفع الإيمان.



١ ـ كم بين قول الله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ وقولـه تعالـى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ إذا اسـتكمَلَتْ أدوات النصر عَانَقَتَ الحقائق كما تشاء.

٢ ـ حتى الذين يؤمّنون على الدعاء شـركاء في سـهم الدعاء ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ لـم يكـن من هارون سوى التأمين، وسماه الله تعالى دعاءً.

٣ ـ الثبات على الدين عند الفرح والنصر والغلبة مطلب مهم في تحقيق النصر وكماله ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

٤ ـ مواقف الفرح بالنصر تؤدي أحياناً إلى الطغيان؛ ولذا جاءت الوصية بالاستقامة والثبات على الطريق ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

٥ ـ المعصية تصنع غطاءً كبيراً على الوعي حتى تُلقي بصاحبها في أسوأ النهايات ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

٦ ـ انفلاقُ البحر من مجرد عصا آيةٌ كانت كافية لرد فرعون عن اللحاق بموسى عليه السلام، لكن عمى الخذلان فوق التصورات ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

٧ ـ الطغيان لا يمكّن صاحبه من حساب العوائد في كثير من الأحيان ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

٨ ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مثال للاستجابات التي تأتي بعد فوات زمانها، ولا تنفع صاحبها في شيء.

٩ ـ الآن آمن أنه عبد، وله إلٰه ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

١٠ ـ كثيرة هي الفرص التي تعرض لصاحبها في الطريق، وكثير في المقابل رفضها وعدم الاستفادة منها وتوظيفها ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

١١ ـ بالأمس يتبجّح على رؤوس الأشهاد (أنا ربكم الأعلى، ما علمت لكم من إله غيري، أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) واليوم يتوسل ويتضرع ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ ما أقل شأن الظالمين إذا أراد الله تعالى بهم سوءاً!

١٢ ـ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ حتى لا تأتي الجماهير الضالّة فتقول بأنك حيٌّ موجود في مكان ما، وغداً ستبعث للأمة منهجاً، وتأتي زعيماً لها من جديد.

١٣ ـ كان آية في الفساد، واليوم صار آية في العبر والعظات! ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

١٤ ـ الجماهير المغرّر بها لا تؤمن بزوال أسطورتها حتى تركله الأقدام وهو لا يستطيع الحراك ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

١٥ ـ مؤلم أن يكون العلم هو سبب الفرقة والخلاف والنزاع والشقاق ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

١٦ ـ الأصل في العلم أنه يجمع الناس ولا يفرقهم، ويعينهم ولا يخذلهم، فكيف صنع به هؤلاء الفرقة والخلاف ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

١٧ ـ فساد القلوب والأحوال موجب لتحويل غايات العلم، وضياع مباهجه في حياة قوم ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

١٨ ـ من بدائع القرآن أنه يتعامل مع النفوس قبل كل شيء ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أعطى رسول الله ﷺ مساحة لاكتشاف الحقيقة من مصادرها، رغم أنها واضحة للعيان لا تحتاج إلى بحث.

١٩ ـ حتى الذين بعثهم الله تعالى بالحقائق يحذّرون من انتهاكها في النهاية ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

٢٠ ـ إذا رأيتهم صادين عن الطريق رغم كل ما بذل لهم فيها؛ فلا تستغرب شيئاً من ذلك، أولئك ممّن حق عليهم الضلال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

٢١ ـ رغم كل المشاهد التي حضروها، والمواعظ التي سمعوها، والأحداث التي عاصروها ما زالوا غير مستجيبين للحقائق التي عاشوها ورأوها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ رفضوا الاستجابة في البداية؛ فختم الله تعالى على قلوبهم فلا يؤمنون ولو جاءتهم كلُّ آية!

❀ ❀ ❀

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

التفسير

- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ هلَّا قرية واحدة من هذه القرى التي أهلكناها آمنت إيماناً معتبراً قبل معاينة العذاب ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ قبل أن ترى عذاب الله تعالى ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ إيماناً نافعاً ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ أي الذل والهوان ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ إلى زمن أجلهم.

- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ فلو أراد الله تعالى أن يؤمن كل الناس لآمنوا كلهم ولكن قضى وقدر أن يكون منهم المؤمن ومنهم الكافر ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ تجبرهم على الدين فيؤمنوا مكرهين.

- ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ متى شاء الله تعالى ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ عن الله تعالى أمره.

- ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ تأملوا ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من عظات وعبر ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ﴾ الدلائل والبراهين ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ الرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ بالله تعالى.

- ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ فهلَّا ينتظر هؤلاء ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أيام البؤس والعذاب ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ انتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ إني معكم سأنتظر وعد الله تعالى وأيامه.

- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من العذاب ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ واجباً ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ من العذاب.

• ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ﴾ لستم متيقنين له ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ فلا أشرك كما تشركون ﴿ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ الذي يملك أمر آجالكم ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) ﴾ بالله تعالى.

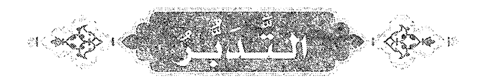
• ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ أقم نفسك على الإسلام مستقيماً عليه ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن كل ملة غير ملة الإسلام ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) ﴾ بالله تعالى.

• ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ لا يملك لك نفعاً ولا ضراً ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ دعوت هؤلاء من دون الله تعالى ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) ﴾ لنفسك بالشرك.

• ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ لا يملك أحدٌ دفعه عنك ﴿ يُصِيبُ بِهِ ﴾ بفضله ﴿ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ممن أراد تعالى له الخير ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ للمذنبين ﴿ الرَّحِيمُ (١٠٧) ﴾ بالمؤمنين.

• ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ واضحاً بيّناً ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ سلك طريقه ﴿ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ فإن مصلحة هدايته لنفسه ﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ أي عن طريق الحق ﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ على نفسه ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾ بحفيظ يحفظ أموركم وأعمالكم.

• ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ من ربك ﴿ وَاصْبِرْ ﴾ على كل ما تلقى ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ يقضي بحكمه ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩) ﴾ أوفاهم وأعدلهم.



١ ـ مشكلة الإعراض مشــكلة جماعية على مرِّ الأزمان ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾.

٢ ـ إذا غابت البوصلة الموجهة ضاع كل شيء ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾.

٣ ـ وما زالت المجتمعات سادرة في الأفكار والتصورات نفسها التي تسلك بهم طريق الشــقاء ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾.

٤ ـ لا تجهد نفسك على إعراض المعرضين، لو أراد الله تعالى لهم الإيمان لجاء بهم منقادين مستسلمين ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

٥ ـ دعك من القلق الذي تصرفه على مستقبل دعوتك وأثرها، ثمة أناس لا يمكن أن ينقــادوا لك، ولو ســلمتهم الدنيا كلهــا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

٦ ـ خفف همومك، وقَلِّل مــن الأعباء التي ينوء بها ظهرك، لــو أراد الله تعالى للعالم كله أن يأتي مؤمناً طائعاً لفعل ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

٧ ـ حسبك أن تلقي بدعوتك في أمتع أساليبها وأوقاتها، ثم دعك من حساب التبعات ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾.

٨ ـ حتى الذين يُسلمون في النهاية ليس باجتهادك، وإنما ألقى الله تعالى في قلوبهم الإيمان ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠)﴾.

٩ ـ اجهد، واتعب، وانصب، وحاول، وكرر، واستمر، ولا تتوقف، وفي النهاية آمن **«أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف شاء»**[1] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠)﴾.

١٠ ـ ليت الذين يجتهدون في الدعوة يصرفون جزءاً كبيراً من أوقاتهم في إصلاح نفوسهم، ودعاء ربهم تعالى، والتوسل والتضرع عليه، وحسن الإقبال إليه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠)﴾.

١١ ـ إذا رأيته مصروفاً عن مشاهد الخير؛ فذاك من الرجس الذي نزّه الله تعالى مجالس الخير عنه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠)﴾.

١٢ ـ مشاهد الكون كافية لإقبال النفوس على ربها لو تأملوا ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾.

١٣ ـ ماذا ينتظر الذين لم يؤمنوا بعد؟! حتى الذين لم يستقيموا على الطريق! ليتهم أدركوا نفوسهم قبل الفوات! ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو ﵄. ولفظه: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرّفه حيث يشاء».

مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ النهاية واحدة وهم في الطريق نفسه.

١٤ ـ المتأخرون والمترددون والقاعدون لو منحوا من أوقاتهم لرؤية المقبورين، أو الذين حلت بهم سوابق العذاب: لعادوا إلى ربهم مؤمنين طائعين ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٥ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ مشهد لجمال النهايات في ساحات الدنيا، فكيف بمشاهد الفوز في ساحات القيامة!

١٦ ـ أياً كانت المعركة التي تُدار بين أهل الإيمان وأهل الفسوق؛ فالغلبة في النهاية للمتقين ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٧ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ درس في النهايات المكشوفة!

١٨ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ في كل مكان وزمان وعصر ومصر وإلى النهاية.

١٩ ـ الذين يخوضون المعارك لا بد أن يستعرضوا هذا المعنى في كل حين ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

٢٠ ـ العزة بهذا الدين ضرورة يجب أن تأخذ حظها من قلوبنا بإمعان ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٢١ ـ لا شيء أضر على الإنسان من الانهزامية التي يعيشها في مواجهة الباطل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٢٢ ـ درس العقائد يجب أن يأخذ حظه من نفوس الكبار ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٢٣ ـ الاعتداء على حقوق الألوهية ظلم يستحق العقاب ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٢٤ ـ يجب أن ترتفع القلوب عن حضيض الشرك بالله تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٥ ـ حين تحل بك الضراء تعلّم أن تقول: يا الله! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٦ ـ في مرات كثيرة يكون المرض والبلوى والضراء هي الطريق الأوسع إلى فتح باب العبودية لله تعالى من جديد ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٧ ـ لا ترفع يدك وقت الضراء حتى يتخلّى قلبك عن كل الشركاء في الأرض ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٨ ـ يا لِلذَّة (يا رب) في أوقات الحاجة! جرّبها وسترى الفرق! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٩ ـ إذا أراد الله تعالى بك خيراً صنع لك ما لم يكن في الحسبان ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٣٠ ـ آمِنْ أن العالم كله في قبضة ربك، وإذا أذن لك بشيء فلا تسل كيف تجري الأقدار به! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٣١ ـ يتوسلون للمخلوقين، ويرجون ما عندهم، ويهبون لهم مشاعرهم وقلوبهم، ولو عادوا إلى الله تعالى لأبهجهم ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٣٢ ـ إذا أراد الله تعالى بك خيراً أدهشك! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٣٣ ـ حين يريد الله تعالى بك خيراً يتحوّل العالم كله لخدمتك ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٣٤ ـ إصابة فضل الله تعالى مبنيٌّ على تعرضك لفضله، وكدحك من أجله، والبذل في سبيل تحصيله، وغالباً ما يكون قاصد الخير الحريص على بلوغه أقرب إلى عناقه من أي وقت آخر، ويبقى الصدق والإخلاص روافد ذلك الفضل ﴿وَإِن

يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٧) ﴾.

٣٥ ـ أنت في النهاية صانع لقرارك بنفسك ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾.

٣٦ ـ حين تلوي رأسك وتعرض، وترفض الحق فلا تضرُّ إلَّا نفسك ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾.

٣٧ ـ لا تبرح هذا القرآن قيد شبر، وصابر طول طريقك، وإياك والنكوص على عقبيك ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ (١٠٩) ﴾.

٣٨ ـ لو أنك أعطيت هذا المعنى ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ لبقيت طول عمرك سعيداً مطمئناً منصوراً بهيجاً بما حولك.

٣٩ ـ هذا المعنى ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ من أعطاه قلبه ومشاعره وواقعه، وأقبل إليه صادقاً لقي ما لا يتصوره في حياته كلها.

٤٠ ـ لا أعلم قضية امتثال لله تعالى تورد صاحبها الخيرات مثل هذا المعنى ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ ولكنها شاقة ومكلفة، وتحتاج إلى هذا المعنى الكبير ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم

مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ
مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ
مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ
كَبِيرٞ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ
بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ
إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

التفسير

• ﴿الٓر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي القرآن الكريم ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أُتقنت وجُوِّدت ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بُيّنت ووضّحت ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ﴾ في أفعاله وأقواله ﴿خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ بظواهر الأمور وبواطنها.

- ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ من الله تعالى ﴿نَذِيرٌ﴾ للمعرضين عن عبادة الله تعالى ﴿وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ للمؤمنين الطائعين.

- ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ عن ذنوبكم التي وقعتم فيها ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ ارجعوا إليه نادمين، وأصلحوا ما بينكم وبينه في الحال والمآل ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ فيبدل خوفكم أمناً، وفقركم غنًى، وشقاءكم سعادة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت موتكم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ يعطي كل محسن أجره وثوابه ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فأعرضوا عن الله تعالى ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ يوم القيامة.

- ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد موتكم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ لا يعجزه عن حسابكم شيء.

- ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يضمرون في صدورهم الكفر ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ من الله تعالى ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتّغطون بها ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في أنفسهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ لا يخفى عليه شيء منها.

- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جميع ما على الأرض من دواب ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي أن الله تعالى تكفّل برزقها ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مكانها الذي تستقر فيه وتأوي إليه ﴿كُلٌّ﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ مثبّت في اللوح المحفوظ.

• ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ قبل خلق السموات والأرض ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أصوبه وأخلصه ﴿ وَلَئِن قُلْتَ ﴾ أي يا رسول الله: ﴿ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ ﴾ لو أخبرت الكفار بأنهم يبعثون بعد الموت ﴿ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ إنما خبرك سحر واضح لا لبس فيه.

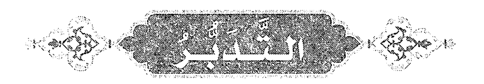
• ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ إلى وقت مقدر محدد ﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ ما الذي حبس العذاب عن النزول ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ بل واقع بهم ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ نزل بهم ﴿ مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ من العذاب.

• ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ كالصحة والرزق ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ ﴾ سلبناها منه ﴿ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ ﴾ يائس من رحمة الله تعالى ﴿ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ جَحود لنعم الله تعالى.

• ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ ﴾ صحة وعافية ورزقاً ﴿ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ مرض وفقر ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾ ذهب عني الضيق والشدة ﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ ﴾ بالنعم ﴿ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ متعالٍ بهذه النعم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ على ما يصيبهم ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ حرصوا عليها، وواظبوا على فعلها ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ تمسح ذنوبهم وتمحو خطاياهم ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ عظيم.

• ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ أيها الرسول لما واجهته من كفرهم وعنادهم واقتراحهم الآيات ﴿ تَارِكٌۢ بَعْضَ ﴾ تبليغ ﴿ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ ﴿ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ وضائق صدرك بتبليغه ﴿ أَن يَقُولُوا۟ ﴾ بسبب قولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾ هلّا أنزل

عليه مال كثير ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدقه، ويبين لنا أنه رسول ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ تبلّغهم ما أمرك الله تعالى، وتنذرهم ما ينتظرهم يوم القيامة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ حفيظ لأعمالهم، يجازيهم عليها يوم القيامة.



١ ـ كل هذا العالم الذي تراه تكفّل الله تعالى برزقه، وإدارة شأنه، وضمن له كل شيء! ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ فلِمَ القلق على وظيفتك ورزقك وما قدّر الله تعالى لك في الحياة؟!

٢ ـ لو اجتمع العالم كلّه ما استطاع ردَّ شيء من رزق الله تعالى الذي كتبه الله تعالى لك؛ فدعك من الأوهام ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾.

٣ ـ البناء أياً كانت صورته، والتغيير الذي تود أن تحدثه لا بد أن يأخذ زمنه الكافي من الوقت ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ستة أيام بيان للسنة الإلهية التي تجري في الكون كله.

٤ ـ حتى العادات الإيجابية التي تود تبنيها، أو العادات السلبية التي تود التخلُّص منها هي كذلك تحتاج إلى زمنٍ كافٍ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

٥ ـ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ رسالة في بيان أعظم المقاصد التي خلق من أجلها الإنسان.

٦ ـ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلصه وأصوبه، ما كان خالصاً لله تعالى وعلى سنة نبيه ﷺ.

٧ ـ إن أمكن الجمع بين كثرة العمل وحسنه؛ فذلك كمال على كمال وإلَّا فالانشغال بإحسان العمل أولى وأفضل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

٨ ـ غياب الرؤية سبب ضياع كثيرين ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

٩ ـ لا تستغرب هذا الضياع ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾ حتى العذاب يستبطؤونه ويسألون عنه ويبحثون عن وقته. الغفلة تصنع أكبر من هذا بكثير.

١٠ ـ مساكين لو دروا حين يغشاهم العذاب، وتحل بهم النكبات كيف يكونون! ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾.

١١ ـ هذا هو الأصل في الإنسان ما لم يغالب طبعه بدين ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

١٢ ـ ما تخلّق رجل صالح بخلق كالصبر، وما زانه شيء كما زانه الصبر ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

١٣ ـ للكلمة تأثير كبير على النفوس ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ حتى إن الرسول يهم بترك الدعوة أو يتخلى عن طريقها الكبير!

١٤ ـ اختر كلماتك بعناية تلج القلوب دون استئذان ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

١٥ ـ إذا رزقك الله تعالى فصاحةً وبياناً وقلماً؛ فاستوثق به من دينك، وشد وتره في مواجهة عدوه؛ فلعلك تصدّع صفاً بعد تمام ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

١٦ ـ ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ رسالة في ألا يلتفت أصحاب المشاريع لنعيق المنافقين، وصيحات العدو، وأن ينشغلوا بالعمل والبناء.

❀ ❀ ❀

أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ
وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣
فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا
وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا
صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ
بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ
ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ وَمَنۡ أَظۡلَمُ
مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ
أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩

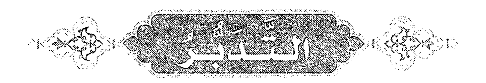
التفسير

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي القرآن اختلقه وقاله من عنده كذباً ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ إن كان كما قلتم فهاتوا عشر سور مثله؛ فإن قدرتم على ذلك، فإنكم صادقون فيما قلتم ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعينونكم على ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ فيما تتهمونه به.
- ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ إلى ذلك ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ من عند الله تعالى ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له في ملكه ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ مستسلمون منقادون لله تعالى.
- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ من النساء والبنين وكل ما فيها ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ نعطيهم ما طلبوه فيها من الرزق والصحة والأمن والملاذ ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ لا يُنقصون من ثوابها شيء.
- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ ويوم القيامة ليس لهم إلَّا النار ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ بطل وانتهى كل ما صنعوه في الدنيا ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فلا قيمة له ولا أثر صالح فيه.
- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ بالوحي الذي أنزله الله تعالى ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ويتلو هذه البينة والبرهان شاهد الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح حين شهد ما أوحاه الله تعالى وشرعه ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ شاهدٌ آخر وهو ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التوراة التي جعلها الله تعالى ﴿إِمَامًا﴾ للناس ﴿وَرَحْمَةً﴾ لهم، أفمن كان بهذا الوصف قد تواردت عليه شواهد الإيمان، وقامت عليه أدلة اليقين كمن هو في الجهالات ليس بخارج

منها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين وفقوا لقيام الأدلة عندهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ من طوائف الأرض المعارضة للحق ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ يوم القيامة ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ في شك ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ بأنه وحي الله تعالى.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ممن قال على الله تعالى كذباً وزوراً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ الملائكة والرسل والجوارح: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يشهدون عليهم بما فعلوا ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ تصيبهم فتهلكهم وتوردهم موارد العذاب.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فصدوا أنفسهم وغيرهم عن الإيمان ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ سبيل الله تعالى ﴿عِوَجًا﴾ غير مستقيمة بالشهوات والشبهات ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ غير مؤمنين.



١ ـ من العبث أن ترمي أوصافاً وألقاباً وأوهاماً على أشياء ليس لك منها الرصيد المعرفي الكافي ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٢ ـ نزال المعرفة أقوى في كثير من الأحيان من نزال السيوف ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٣ ـ إذا كنت تملك المعلومة فإنك تستطيع أن تملأ فم المعترض رماداً حاراً ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾.

٤ ـ يُعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلَّا من أحب ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

٥ ـ العاكفون على الدنيا، المبتغون لعاجلها يستحقون منها ما يملأ بطونهم وأفواههم، وليس لهم في الآخرة من نصيب ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

٦ ـ كم من عمل صالح كبير أُريد به متاع الحياة العاجل؛ فعاد صغيراً حقيراً ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

٧ ـ نحن في زمان لم تعد المسابقة على عرض الدنيا شيء خفي، بل باتت ميداناً كبيراً فسيحاً للناظرين ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

٨ ـ يبني بيته، ويشتري مركوبه، ويكاثر بماله، وكل ذلك من أجل تصفيقٍ عاجلٍ وحظٍّ رخيص ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا

لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

٩ ـ الحقائق تُرى بالعين المجردة ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

١٠ ـ توقّع من الجاهل كل شيء! لا أعني جاهل الحرف، وإنما أقصد الجاهل بربه ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

١١ ـ من أعظم الظلم أن ترى مَنْ وضع لنفسه موقعاً يتطاول منه على الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

١٢ ـ ألبسوه ثوباً وعباءةً وعمامة وزجُّوا به في عالم الفضائيات؛ فأخذ يفتري على الله تعالى الكذب، ويمد في ساحات الباطل ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

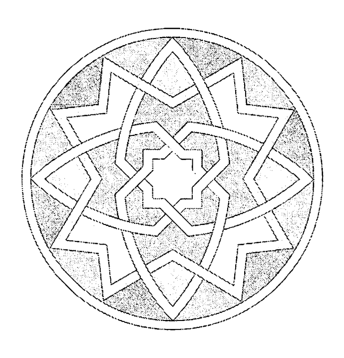
١٣ ـ كم من مغرّر به سيعرض على ربه للحساب ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

١٤ ـ ماذا يقول أولئك الذين يقفون في طريق الصالحين يصدونهم عن دين الله تعالى، ويخوّفونهم تبعات الطريق؟! ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

١٥ ـ كلما رأى رجلاً مستقيماً أطلق لحيته وقصّر ثوبه ما زال به حتى أعاده للظلام ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

١٦ ـ وكلما جلس مجلساً أرعد وأزبد، وقال ونقل تقاريراً، واختلق قصصاً وصوراً يريد بها صد المقبلين على دين الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀



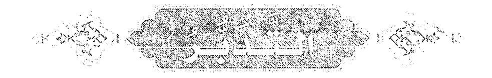
أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا
مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً
مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ما كانوا يفوتون على الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يزاد لهم فيه ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ من بغضهم للحق ونفورهم منه ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ۝٢٠﴾ ينظرون نظر تفكّر واعتبار.
- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بإيرادها موارد الهلاك ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي ذهب وضاع ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٢١﴾ ما كانوا يختلقونه من الشركاء والشفعاء.
- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٢٢﴾.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أنابوا إليه وخشعوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٣﴾ مستقرون.
- ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ فريق السعداء وفريق الأشقياء ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ فريق الأشقياء ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ فريق السعداء ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ لا يمكن أن يستويا في وصفهما ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ تتفكرون فيما ينفعكم فتنتفعون.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ يبلغهم دين الله تعالى ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ منذر من الله تعالى ﴿مُّبِينٌ ۝٢٥﴾ بيّن واضح فيما أقول.
- ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلا تشركوا به شيئاً ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عصيتم ربكم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ﴾ يوم القيامة ﴿أَلِيمٍ ۝٢٦﴾ شديد.

• ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ الكافرون من قوم نوح ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ لا فرق بيننا وبينك ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ﴾ على دينك ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ الضعفاء والفقراء ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ إنما اتبعوك هكذا كما بدا لهم دون تفكّر ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ ﴾ شيء زدتم به عنا ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ فيما تقولون.

• ﴿ قَالَ ﴾ نوح ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ حجة واضحة ﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ منَّ عليَّ بالرسالة ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ خفيت عليكم ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أنكرهكم على اعتناقها ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ مبغضون.



١ ـ من سوء توفيق الله تعالى لإنسان أن يهب وقته وجاهه وماله وفكره في الصد عن دين الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٢ ـ ترك الله تعالى الطريق للصادين عن دينه لمضاعفة العذاب عليهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٣ ـ إذا وهبك الله تعالى قوًى وطاقاتٍ وقدراتٍ وإمكانات؛ فانظر أين تصرفها ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا

كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ كم من قوًى وطاقات وقدرات أمدَّ الله تعالى بها هؤلاء؛ فذهبوا يحاربون بها دينه، ويصدون بها عن سبيله!

٤ ـ الذين عرفوا الطريق من بدايته عانقوا النهاية التي يريدون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٥ ـ الإيمان والعمل الصالح كفيلٌ بمباهج الحياة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٦ ـ إذا أردت أن تعرف الفارق الكبير بين حياة المؤمن وغيره؛ فانظر إلى هذا الوصف ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٧ ـ كيف يستويان: فريقٌ يشرب من عين صافية، وآخر يعبُّ من كدر الماء ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾؟!

٨ ـ كيف يستويان: فريقٌ ينهل من معين الوحي، وآخر يمدُّ في مساحات الظلام ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾؟!

٩ ـ الفرق بين صاحب الهدى وصاحب الضلال كالفرق بين الأعمى والأصم، والبصير والسميع ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

١٠ ـ التوحيد راية الرسل، وقاعدة الدعوة، وبداية الطريق الصحيح في كل مشروع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.

١١ ـ حين نحاكم الشريعة إلى موازين البشر ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ يختل كلُّ شيء.

١٢ ـ خلل التصورات يورث خلل الإيمان ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

١٣ ـ كم مرة كان الكِبْرُ حائلاً عن الهداية والتوفيق ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

١٤ ـ حماس الشباب، وعجلتهم أودت بهم لما هم فيه من الضلال. هذه حكايات المنافقين ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

١٥ ـ حتى حين تسارع لاعتناق دينك تتهم بأنك بادئ الرأي ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

١٦ ـ ما زالت مشكلة التصورات تطارد كثيرين ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أراذل، وبادئ الرأي، وما نرى لكم علينا من فضل، ونظنكم كاذبين...، منذ فجر التاريخ هي العبارة ذاتها التي تتكرر عن الأخيار والمقبلين على الحق.

١٧ ـ ليس بالضرورة أن يُقتاد الناس للهداية مرغمين ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ إما أن يأتوا إليها منقادين، وإلَّا لا قيمة لوجودهم فيها بعد ذلك.

❀ ❀ ❀

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

التفسير

• ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ تدفعونه مقابل دعوتكم ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ هو الذي يتولى جزائي ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ من الفقراء والضعفاء ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ فيجازيهم على إيمانهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ دين الله تعالى.

• ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ من يمنعني من عذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ أي الفقراء والضعفاء ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ تتأملون في دين الله تعالى وما جاء به.

• ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ خزائن رزقه ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ فلا أدَّعي قول ما لا أعرف ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ من الملائكة ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾ تنتقصونهم بالفقر والضعف ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ لفقرهم وضعفهم ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من سرائر الحق وطلب ما عند الله تعالى ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ إن طردتهم وأبعدتهم.

• ﴿قَالُواْ﴾ قومه: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ دفعتنا بالحجج والبينات ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾ أنك رسول الله.

• ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ إذا شاء أن يعجِّل لكم العذاب عجَّله ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣﴾ فائتين على الله تعالى.

• ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ دعوتي لكم إلى الحق ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾ أحببت أن أنصحكم ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ لا ينفعكم من ذلك شيء إن كان الله تعالى شاء لكم الغواية ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾ بعد موتكم.

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلَقَ القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ اختلقته ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ فأنا المسؤول عن ذلك وعاقبة جرمي عليَّ ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فإن جريمتكم على أنفسكم.

• ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فلن يؤمن بعد ذلك أحد ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ولا تبالِ بهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من الأعمال التي يصدون بها عن دين الله تعالى.

• ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ الذي علمناك إياه ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ لا تراجعني في إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ في ماء العذاب.



١ ـ لم تأخذ الدعوة يوماً مالاً من الناس على هدايتهم ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٢ ـ دعوة الباطل يمكنها أن تقيّم الناس على أشكالهم وأحوالهم، أما دعوة الحق فالمقبلين عليها هم أولى الناس بها، وأحق بمباهجها ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٣ ـ القلوب الرقيقة تلقي لله تعالى بالاً في كل أمر، وتخشاه وتحذره في كل شيء ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٤ ـ بئست تلك المجالس التي لا يرتادها إلَّا الكبار والمترفون، ويُذاد عن حياضها الفقراء والمعوزون ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠﴾.

٥ ـ الرسل لا يملكون شيئاً ولا يَعِدُون الناس بتحقيق ما لا يملكون ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١﴾ وكذلك الدعاة ومن سار على طريقهم إلى يوم الدين. حسبهم هداية الناس للطريق، والله يتولى شأنهم في كل شيء.

٦ ـ سوء الأدب بضعة من أخلاق الضالِّين من غابر الدهر ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾.

٧ ـ الهداية بيد الله تعالى ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤﴾.

٨ ـ ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ فالله تعالى أرحم بهم لولا أنهم يصرّون على دقّ باب سوء التوفيق بكلتا اليدين.

٩ ـ من لا يلقي لله تعالى بالاً يسهل عليه أن يقذف الآخرين بالأوهام ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۝٣٥﴾.

١٠ ـ أتواصوا به؟! بل هم قوم طاغون ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۝٣٥﴾.

١١ ـ متى جاء هذا الخطاب الخاتم لنبي الله تعالى نوح! حين قضى من عمره تسعمئة وخمسين عاماً في الطريق ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ يا لطول صبر هؤلاء!

١٢ ـ بعد تسعمئة وخمسين عاماً في الطريق، ولم يتوقف العدو لحظة عن الابتزاز ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

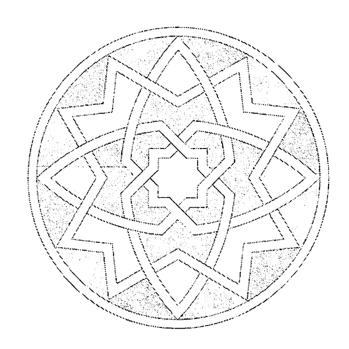
١٣ ـ يستحق الذين يصبرون على طول الطريق في مشاريعهم هذه العناية الربانية في الختام ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٤ ـ اصنع مشاهد الختام على مرأى منا، وبتعليمنا لك، وحين تختتم مشاهد تلك السفينة لا تأخذك في الظالمين رأفة ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٥ ـ هذه نهاية الظالمين ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

١٦ ـ هذه المرة في صورة ماء يعمُّهم، ومرات في صور مختلفة من العذاب ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.





وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾



التفسير

- ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي نوح ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ جماعة من قومه ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ استهزؤوا به كيف يصنع سفينة ولا ماء في الأرض ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا﴾ اليوم ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ وقت حلول العذاب بكم.

- ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهينه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ لا ينفك عنه.

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ بالماء، والمقصود تنّور الخبز الذي توقد فيه النار ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ في الفلك التي صنعتها ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من كل صنف من أصناف المخلوقات ذكر وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ من أهل الإيمان ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ من أهلك؛ فلا تحمله كزوجه وابنه ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ واحمل معك كل من آمن بك ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ فئة قليلة.

- ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا﴾ جريها ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

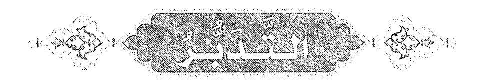
- ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ أي السفينة ﴿فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ من شدّته وقوّته ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ بعيداً عنهم ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ المخالفين لأمر الله تعالى.

- ﴿قَالَ﴾ الولد: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ سأرتقي جبلاً شاهقاً لا يصل إليه الماء ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾

لا جبل ولا غيره ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ إلّا من أراد الله تعالى عصمته ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ بين نوح وولده ﴿ٱلْمَوْجُ﴾ الماء ﴿فَكَانَ﴾ الولد ﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

• ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ لا تُبقي منه شيئاً ظاهراً ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ توقفي عن إنزال المطر ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ نقص حتى جف ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ بنجاة المؤمنين وهلاك المكذبين ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ توقفت على جبل من الجبال يقال له: الجودي ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ هلاكاً لكلِّ ظالم.

• ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ حيث قلت: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ فلا حكم كحكمك.



١ ـ لا نهاية للغي والضلال ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ حتى في قصة الختام، ونهايات الطريق، وبعد شقة المسافة، ما زالوا يستهزئون.

٢ ـ مشكلة الضلال أنه يحجب عن أصحابه رؤية نهايات السوء، ويقف دونهم ودون العبر والعظات ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٣ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له مشاهد الختام ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٤ ـ هذه قصة النهاية تطوي مراحلها، وتأتي على المعرضين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

٥ ـ كم بين المعرضين ومجيء أمر الله تعالى بالســوء من مراحل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

٦ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ ليس بالضرورة في صور عذاب عام كهذا، وإنما يأتي على كل إنسان بحسبه، قد يكون في صورة مرض، أو حادث، أو موت مفاجئ.

٧ ـ حين تصل الأمة إلى ذروة الفساد يتنزّل عقاب الله تعالى ولا يبالي بمخلوق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

٨ ـ ما أكثر اللاهين والعابثين والســادرين في الظلام قبــل مجيء أمر الله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾.

٩ ـ لا تسل كيف يأتي أمر الله تعالى! لقد تحول التنور الذي يخبزون فيه إلى ينبوع يجري بالماء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

١٠ ـ نجاح الداعية ليس مرهوناً بكثرة الجماهير المستوعبة لرسالته، وإنما بمقدار جهده ونصبه في مشروع الحياة الكبير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ

فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

١١ ـ من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أنه يكرمهم بلطفه ورحمته في أيام الأزمات والظروف ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

١٢ ـ ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ لحظات النهاية التي كان ينتظرها المؤمنون!

١٣ ـ حتى السفينة جند من جنود الله تعالى في الأرض ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

١٤ ـ من رحمة الله تعالى بعباده أن هيأ للنجاة أسباباً ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

١٥ ـ هل تصورتَ مشهداً من مشاهد العذاب التي يجريها الله تعالى على المعرضين ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

١٦ ـ تخيّل معي: أباً يجرّه الشوق لابنٍ شاردٍ عن الهداية، وقد أوشك على وداع الحياة ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

١٧ ـ ماذا لو قيل لك: صف مشاعر والد في وداع ولده في لحظات سفر! وماذا لو قيل لك: صف مشاعر والد في وداع ولده في لحظات وداع وعذاب وغياب للأبد ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾!

١٨ ـ هذه صورة تحكي أَشَدَّ لحظات الوداع بين والد وولده ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

١٩ ـ تأمل هذه الصور، وذلك المشهد؛ موجٌ كالجبال، وولدٌ في رأس جبل، وأبٌ تمتلئ مآقيه بالدمع، ويتشقق قلبه حزناً، ويتلهّف شوقاً لولده، ويدور بينهما هذا الحوار ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يا لِرحمة الآباء بأبنائهم ويا لِقساوة قلوب الأبناء!

٢٠ ـ تخيّل كيف تعمي المعصية عيون أصحابها! ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ يرى ما لم يتوقعه في عمره كله وما زال يردد ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾.

٢١ ـ المؤمن ليرتاع من صوت الرعد، ويضع يده على قلبه وجلاً من ربه؛ فكيف استطاع هذا الابن الشقي أن يضع أمانيه في أشد الأزمات في رأس جبل؟! ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

٢٢ ـ يا رب! لا تُجرِ علينا صوراً من الحرمان كهذه التي تجري في قصة نبي ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ وأصلحْ لنا ذرياتنا، ولا تَكِلْنا ولا هم إلى نفوسنا، إنك أرحم بنا من كلِّ شيء.

٢٣ ـ إذا فسدت القلوب لا تنفع فيها حوادث الزمان ﴿قَالَ سَئَاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

٢٤ ـ هل تصوَّرت مشاعر أبٍ في هذه اللحظة ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾! يا الله! كم هي أشجانُ أبٍ يرى ولده يذهب في لجج الماء وإلى غير لقاء!

٢٥ ـ لم يكلِّف الله تعالى عذاب هؤلاء زمناً، فقط أجرى عليهم آية من آياته، وتركهم في غياهب الضياع ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

٢٦ ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ انتهت مهمة جنود الله تعالى في الأرض.

٢٧ ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ حين تتحوّل أعظم المخلوقات إلى جند من جنود الله تعالى.

٢٨ ـ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ضاع منه في الدنيا؛ فعاد يرجوه في الآخرة، يا الله! كم هو محزنٌ عقوقُ الأبناء في قلوب آبائهم! ما له ولهذه الآلام التي يبعثها في قلب والده الكبير!

٢٩ ـ حنان الأبوة بعثر جزءاً من الحقائق الكبرى وأثّر على بناء المفاهيم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

التفسير

• ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ الذين وعدتُك بنجاتهم ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٍ﴾ فاسد، وهو الكفر بالله تعالى ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ ما لا تعلم عاقبته ومآله ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ أنبِّهك وأحذّرك وأبيّن لك ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾ بأحكام الله تعالى وشرعه.

• ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ ما لا أعلم صحَّته وجوازه ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ ما وقعت فيه من سؤال ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ برحمتك ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ في كل أعمالي.

• ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ بسلامة وأمن ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ نِعَمٍ دائمة ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ بركات كذلك لكل من معك ﴿وَأُمَمٌ﴾ وهم من صار كافراً من ذريتهم إلى يوم القيامة ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٨﴾ يوم القيامة.

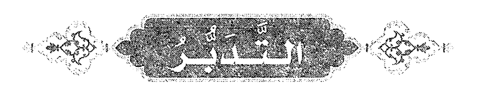
• ﴿تِلۡكَ﴾ قصة نوح ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ﴾ يا رسول الله ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ﴾ لولا ما بلغناك من خلال الوحي ﴿مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾ من قبل هذا الوحي ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ لكل ما تلقاه من قومك ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾ النهاية الجميلة، والخاتمة الحسنة للمتقين.

• ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ قبيلة من القبائل في الأحقاف من أرض اليمن ﴿أَخَاهُمۡ﴾ أي في النسب ﴿هُودًا﴾ رسول الله ﷺ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي وحِّدوه، ولا تشركوا به ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ فلا معبود بحقٍّ سواه ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ كاذبون.

• ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ مالاً على دعوتكم ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾ أي خلقني؛ فهو يثيبني على ذلك ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٥١﴾ ما يأمركم به الله تعالى.

• ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ عما حصل منكم من ذنوب ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ أي فيما تستقبلونه من أعمالكم ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ كثيراً متتابعــاً ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ مضاعفة ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن الله تعالى ﴿مُجۡرِمِينَ ۝٥٢﴾ مستكبرين عن عبادته.

• ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ دليلٍ وحجَّةٍ على صدق ما جئتَ به ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ التي نعبدها من دون الله ﴿عَن قَوۡلِكَ﴾ لأجل قولك ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝٥٣﴾ بمصدِّقين ومتَّبعين.



١ ـ تصحيح المفاهيم من القضايا الضخمة التي عُني بها الوحي ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾.

٢ ـ المشاعر والعواطف غالباً ما تتسبب في انحراف المفاهيم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾.

٣ ـ كل علاقة لا تقوم على عرى هذا الدين؛ فلا قيمة لها في النهاية ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾.

٤ ـ الرسل والأنبياء بشر، وقد يقع منهم الخطأ، ويقوّم لهم الوحي التصورات ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٥ ـ الأسئلة التي لا تستند إلى رصيد من الوحي لا قيمة لها في الواقع ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

٦ ـ في مواقف العقيدة بالـذات يلغي الوحي العاطفة من أصلها ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٧ ـ ورع الأنبياء وتعظيمهم لشعائر الله تعالى وسرعة استجابتهم لأوامر الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٨ ـ الخضوع والذل والإجلال لله تعالى موجب لغفران الذنوب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾.

٩ ـ مهما طال ليل الظلام فإنه إلى زوال ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ وإن طال زمان تلك العاقبة التي ينتظرون.

١١ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ حتى لو سالت الدماء وملأت الطرقات!

١٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ حتى لو تحزّبت أمم الأرض، وشاركت بخيلها ورجلها في المعركة ضدَّ الإسلام.

١٣ ـ التوحيد قاعدة الدعوة، وأصلها الثابت، وروحها الناهضة، وأيُّ دعوة لا تبدأ من هذا الطريق فلا يمكن أن تستوثق من قلوب العالمين ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠﴾.

١٤ ـ الدعاةُ أُجراء عند الله تعالى ﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١﴾ وهداية الناس أسمى من أن تكون مرتعاً لجمع الأموال.

١٥ ـ إذا رأيته يشترط درجة أولى، وفندقاً مميزاً، وأجوراً مقابل دعوته فألقِ على سمعه بهذه الآية إن كان من المعتبرين ﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١﴾.

١٦ ـ الذين يشترطون في الدعوة مالاً أو مقابلاً هم أنفسهم يحتاجون إلى دعوة تحيي فيهم مناقب الأنبياء ﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١﴾.

١٧ ـ التوبة والاستغفار باب يلج بأصحابه إلى خيرات الدنيا ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾.

١٨ ـ إذا أرادت الأمة غيثاً يصافح أرضها بعد طول غياب فعليها أن تبدأ رحلة الاستغفار ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾.

١٩ ـ في الاستغفار خشوع ورغبة وإنابة وضعف وتخلٍّ عن الحول والقوة؛ فَتُدِرُّ

من أجل ذلك السماء ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾.

٢٠ ـ إن استغفاراً يُدر باب السماء لهو حريٌّ أن يدر باب التوفيق في قلب صاحبه إن أدام الطرق على الباب ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾.

٢١ ـ سله كم مرة يستغفر في يومه لتعرف كم هي حاجته لغيث السماء؟ ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾ وإذا أجابك؛ سل نفسك أنت: كم مرة تدق باب الفلاح في يومك؟!

٢٢ ـ مؤلم جداً أن يدلنا الله تعالى على الأبواب التي نلج من خلالها للتوفيق ثم لا نحسن قرعها بإمعان ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾.

٢٣ ـ الاستغفار من أكثر الطرق التي ترزقك قوة، وتعينك على التمام ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾.

٢٤ ـ الذين يبحثون عن القوة يبدؤون رحلة الاستغفار بإمعان، وسيرون ما يرجون ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾.

٢٥ ـ القوة التي يهبها الاستغفار لك قوة في بدنك، وفكرك، ورأيك ومشروعك،

وكل ما يحتاج إلى مــدد التوفيق ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾.

٢٦ ـ التولي عن الحق والإعراض عنه جريمة في حق صاحبه ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾.

٢٧ ـ مشكلة العدو ليست في البينات التي يطلبها، وإنما في الاستكبار الذي لا يقتنع بشيء ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾.

٢٨ ـ حتى العدو يفقه الرهان، ويدرك ضرورة الالتزام بالعقائد ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾.

٢٩ ـ الاستماتة على الأفكار نوع من التحدي الذي يضربه صاحبه في واقع الأحداث ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾.

٣٠ ـ كافر يستميت على الباطل! أفليس من حق صاحب الحق أن يموت من أجل فكرته ورسالته ومنهجه في الحياة؟! ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾.

❀ ❀ ❀

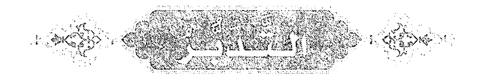
إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدٗا لِّعَادٖ قَوْمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّٗا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

التفسير

- ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ جعلك مجنوناً ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ على أني بريء من شرككم.
- ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ من دون الله تعالى ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ افعلوا بي ما تشاؤون من الكيد والمكر ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ لا تمهلوني.
- ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ اعتمدت عليه في أموري كلها ﴿رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾ من دواب الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ بمقدم رأسها. بمعنى أنه مالكها والقادر عليها ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ على الحق والعدل.
- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ فقد أوصلت إليكم رسالة الله تعالى ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقومون بأمره كما أراد ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ بهذا الإعراض ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ يحفظ من كل سوء.
- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بلطف وحسن رعاية ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ شديد.
- ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بها وكذبوها ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ فلم يطيعوهم ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾ مستكبر ﴿عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ لا يقبل الحق.
- ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ سخط وغضب من الله تعالى ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مسخوط ومغضوب عليهم ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ جحدوا نعمه وعصوا أمره ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ هلاكاً لهم.
- ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وهم قبيلة عاد الثانية يسكنون الحجر ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ عليه السلام نبي الله تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾

لا شريك له ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلقكم منها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ استخلفكم فيها ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ عمَّا حصل منكم من ذنوب ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلونه من أعمالكم ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ قريب مجيب لكل داعٍ.

• ﴿قَالُواْ﴾ أي قومه: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ أي كنَّا نرجوك ونؤمِّل عليك لكمال عقلك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أي أتنهانا عن شيء لم يزل آباؤنا عليه ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ ما زلنا شاكّين فيما تدعونا إليه ﴿مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ شكٌّ يدعو للقلق والاضطراب.



١ ـ الثبات على الطريق فرع عن العقائد في القلوب ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ وإذا خلي قلب منها أصابته قوارع الزمان بالخوف والهلع، ولم يستوثق له طريق.

٢ ـ نجاة الرسل وأصحاب الحق أصل في سنن الله تعالى، وما جاء بخلاف ذلك فل غايات وحكم ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾.

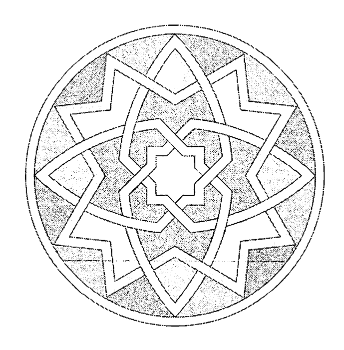
٣ ـ هذه نهايات الظالمين في كلِّ زمانٍ ومكان ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

٤ ـ رسل الله تعالى كلهم على الطريق نفسه (التوحيد أولاً) ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾.

٥ ـ إدارة المعركة فن ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ جعلوا مذمته ومشكلته الكبرى وقضيته التي لولاها لكان صاحبَ مكانةٍ دعوته ورسالته ومنهجه ومشروعه الكبير في الحياة، هكذا تدار المعارك!

٦ ـ آخر ما كنا نتوقّع منك يا صالح أن تقف بيننا وبين أحلام آبائنا ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ نوع من فن إدارة الأفكار والحوارات!





قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

التفسير

- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ حجَّـة بيِّنة ظاهرة ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾ فمنَّ عليَّ بالرسالة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ يدفع عني عذابه وعقابـه ﴿إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ﴾ خالفت أمـره ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾ تضليل وإبعاد عن الحق.

- ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ بعثهـا الله تعالى بناءً علـى طلبهم ﴿لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ علامة على صدقي ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾ ليس عليكم من مؤنتها شـيء ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ لا تقتلوها ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤﴾ عاجل على فعلكم.

- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نحروهـا ﴿فَقَالَ﴾ نبي الله صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾ ابقوا وتمتعوا في مكانكم ثلاثة أيام، وسـيأتيكم بعدها العذاب ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾ بل لا بد من وقوعه.

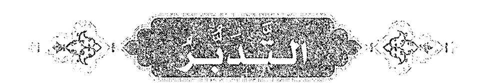
- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بالعذاب ﴿نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ بتوفيق وإعانة وحسن نهاية ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾ وننجيهم كذلك من عذاب النار يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ فلا غالب له.

- ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ العـذاب؛ فقد صيح بهـم صيحة عظيمة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾ هامدين.

- ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ﴾ كأنهم لم يعيشوا ويقيموا في تلك الأرض ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡ﴾ لم يؤمنوا بـه ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾ هلاكاً لهم.. وكل أمة

تتخلّف عن نهج الله تعالى وتتأخر عن الاستجابة لرسالته سينالها ما نال هذه الأمم، لا فرق.

- ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ من الملائكة ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ مبشرين له بالولد ﴿قَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ سلَّموا عليه وردَّ عليهم ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ لم ينتظر ﴿أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ ذهب مسرعاً، وجاء بعجلٍ مشوي.
- ﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾ إبراهيم ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ إلى الطعام ﴿نَكِرَهُمْ﴾ استنكر منهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أحسَّ بخوف تجاههم ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ طمأنوه ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ إنَّا رسل ربك إلى قوم لوط.
- ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ على خدمة ضيوفه ﴿فَضَحِكَتْ﴾ تعجباً لنهاية الظالمين ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ﴾ ابناً لها ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ وتلد من بعد إسحاق يعقوب.



١ ـ الحوار وأثره في بناء القناعات وإدارة المعارك ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾.

٢ ـ مهما بلغ كيد العدو، لا يُعفى أهل الإسلام من المسؤولية ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ

فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ ولذلك فإن الدعوة ليست تخلصاً من واجبها وأثقالها، وإنما لا بد أن تبلغ كل ما تملك في سبيل هداية العالمين.

٣ ـ حتى الأدلة والبراهين لا تستطيع أن تقنع القلوب المحجوبة عن الحق ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾.

٤ ـ إكرام الضيف دِين، وأثر من أخلاق الكبار ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ وهو شعيرة جاوزت حدَّها في زماننا، وخرجت عن مقصودها، والكبار موكول إليهم إعادة بناء العادات على الجادة.

٥ ـ الاستقصاء لحال ضيفك قبيح، والنباهة في حاله ضرورة ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾.

٦ ـ الخوف الجِبلِّيُ الطبيعي صفة ملازمة للإنسان، ولا ينفك عن أحد مهما بلغ مقامه ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ والقبيح منه أن يوقف صاحبه عن الخير، ويزجُّ به في مدارك السوء والقلق.

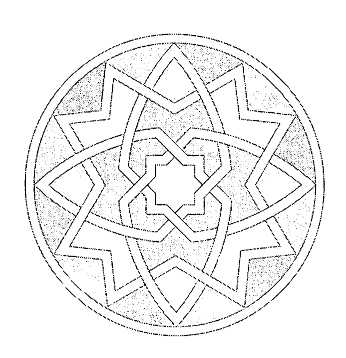
٧ ـ من وعي الضيف أن يطمئن ضيفه، ويذكر له سبب مجيئه؛ ليذهب عنه الروع، ويزيح عنه القلق ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾.

٨ ـ وذلك كأن تتصل بمن بينك وبينه انقطاعٌ كبير، ثم تواعده على لقاء، ولا تخبره بما تريد، يكفيه ما يقضيه من وقت في تفسير زيارتك، وسبب اتصالك

﴿ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾.

٩ ـ بعض الأخبار السارة لا تحتملها النفوس ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

التفسير

• ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ﴾ كلمة تعجب ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾ كبيرة في السنِّ ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِى ﴾ زوجي ﴿ شَيْخًا ﴾ رجلاً كبيراً ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ أمر يدعو للعجب.

• ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ الملائكة ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ كيف تعجبين من أمر الله تعالى وهو القادر على كل شيء؟!

• ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ ﴾ فضله وإحسانه ﴿ وَبَرَكَٰتُهُۥ ﴾ وهي كل زيادة في الخير ﴿ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ يا أهل بيت النبوة ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ ﴾ محمود الصفات والأفعال ﴿ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ عظيم.

• ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾ الفزع والخوف ﴿ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ بالولد ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ قام يجادل في شأن قوم لوط ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ صبور متأني ﴿ أَوَّٰهٌ ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ تائب رَجَّاعٌ إلى الله تعالى في سائر أموره.

• ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾ أي: عن الجدال فيهم ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بعذابهم ﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ واقع بهم لا محالة.

• ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ وصلوا إلى لوط ﴿ سِىٓءَ بِهِمْ ﴾ ساءه مجيئهم ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ ضاق بهم صدره خوفاً عليهم من قومه ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ شديد.

• ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ يسرعون ﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي إتيان الرجال ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى ﴾ أي عموم نساء المسلمين؛ لأنه في مقام الوالد لهم يدعوهم إلى زواجهنَّ ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ من

إتيـان الرجال ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ﴾ لا تسيؤوا إليَّ بالتعرُّض لضيوفـي ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ عاقـل يزجركـم عن هذه القبائح.

- ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ حاجة أو رغبة ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ إنما نريد الرجال.
- ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً ﴾ أردُّكم بها عن طلبكم ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ يحميني من سوئكم؛ كقبيلةٍ ونحوها.
- ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ إنما نحن رسـل من الله ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ لن يمسّوك بسـوء ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ اخرج بهم ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ بجزء منه ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ إلى الوراء ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من العذاب ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾ موعد هلاكهم بحلول الفجر ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ بلى إنه قريب.

التَّدَبُّرُ

١ ـ البيـوت الصالحة ينبغي أن تكاثر فـي أولادها ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

٢ ـ المفجوعون لا تأخذ منهم رأياً حتى يعودوا من جديد للاستقرار ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٣ ـ غالباً ما تكون الأشياء التي تأتي على مهلٍ موفَّقة ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٤ ـ يا لِعظمة شأن الرسل! تغلبهم الرحمة، وتفيض على خواطرهم، وتسقي قلوبهم حتى لكأنهم هم الغرقى في المشكلة ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ متى نجد مصلحاً يبذل إمكاناته لعز صديق فضلاً عن عدو! وصدق الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

٥ ـ من هذا الذي يصف إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ إنه الله! درس يا قرّاء السير الذاتية يجب أن يعاد ألف مرة!

٦ ـ إذا زكَّاه عالم أو صاحب مشروع أو مشهور ذهب يلقي بها على أعين الناس من الفرح، فما يصنع إذاً إبراهيم بتزكية الله تعالى له ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

٧ ـ إذا بتَّ ليلةً والله تعالى راضٍ عنك فقد ملكت الدارين ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

٨ ـ كل المناصب والشرف والتكريم الذي تلقاه إذا لم يكن على صلة بالله تعالى؛ فدعه في عرض الطريق ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

٩ ـ من أعظم مباهج هذا الكبير أنه يحسن ما بينه وبين الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

١٠ ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ فن إدارة العلاقات!

١١ ـ ما أحوجنا إلى إدارة هذا المعنى في حياتنا كل يوم ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

١٢ ـ كثيرون يجهدون ويتعبون ويحاولون، ولكنهم لا يحسنون إدارة هذا المعنى بشكلٍ كبير ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

١٣ ـ ثمة لحظات لا ينفع فيها حتى شفاعة الكبار ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾.

١٤ ـ قوارع الأحداث إذا جاءت لا تنفع فيها الشفاعات ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾.

١٥ ـ الرسلُ بشرٌ؛ يصيبهم من الغم والحزن والأسى على واقعهم ما يصيب غيرهم ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾ كان وجلاً حزيناً خائفاً من اعتداء قومه على رسل الله تعالى!

١٦ ـ من الطبيعي جداً أن يصيبك قلق على واقعك، وظروفك، وما يواجهك في الحياة شريطة ألا يلقي بك هذا القلق في مساحات اليأس، ويقعد بك عن العمل ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾.

١٧ ـ تاريخ السوء إذا لم يستدرك ظلَّ وسماً على صاحبه يطارده في كل مكان، ويُعرف به في كل زمان ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

١٨ ـ تصحيح التصورات والمفاهيم من واجبات الكبار ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾.

١٩ ـ حين تبلغ انتكاسة الفِطْرةِ مداها في حياة الإنسان ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾.

٢٠ ـ أكثر الحروب ضراوة تلك التي تدفع بقوة في ساحات القيم والمبادئ ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾ دفع الغرب اليوم كل ما يملك لتدمير القيم والمبادئ والمثل لتدمير الإنسان.

٢١ ـ صورة من صور تحوّل المنكرات إلى مشاهد جماعية تدار دون نكير ﴿ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٢٢ ـ لا تبرح أيها المصلح مكانك ولو تخطفتك الطير ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٢٣ ـ رأيت بعض المصلحين جمع حقائب سفره، ورحل عن دياره يأساً من العمل، وأبقى ساحات ذلك المجتمع مرتعاً للمفسدين ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٢٤ ـ من السهولة جداً أن نلقي بتبعات الأخطاء، ونتجرد من المسؤولية، ونرحل نبحث عن مساحات الأمن والطمأنينة ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٢٥ ـ كم من صاحب راية في مجتمعه يقوم في وقت النائبات ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾.

٢٦ ـ ثمة رجل إذا قامت النائبات لم يجد الناس بُدّاً من التوجه إليه ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾.

٢٧ ـ كن ذلك الرجل الذي إذا حلت النائبات بقوم أقبلوا إليك يستلهمون الخلاص ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾.

٢٨ ـ يمكن أن يكون الإنسان رأساً في البدايات في بيته وأسرته، ومسجد حيِّه، وواقع عمله، وفي وسط أصدقائه، ثم يكون صاحب الحلِّ وقت النائبات في أمته ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

٢٩ ـ لكل شيء نهاية ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

٣٠ ـ إذا قمت برسالتك وواجبك كما أراد الله تعالى فلا تلم نفسك على الضائعين بعد ذلك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾.

٣١ ـ الأصل أن يبدأ الإنسان في دعوته وخيره وبره وأثره بأهله وزوجه وأسرته، وحسبه في ذلك بذل الأسباب الممكنة ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾.

٣٢ ـ بعض الأشقياء لا تنفعهم مجاورة المصلحين ولو كانوا أقرب ما يكونون إليهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾.

٣٣ ـ إلى كل المجهدين والمتعبين والمثخنين من جراح الآلام وكيد المعرضين لم يعد بينكم وبين الفجر إلَّا القليل ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

٣٤ ـ حين بلغ اليأس مداه جاءت البشرى تتهادى في عرض الطريق ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

٣٥ ـ في مرات كثيرة لا يأتي الأمل والفرج ونهايات الفرح إلَّا بعد زمن ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

٣٦ ـ لا تيئسوا ولا تستبطئوا نهايات الطريق فما بقي إلَّا اليسير ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

❀ ❀ ❀

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

التفسير

- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ العـذاب ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قلبناهـا عليهـم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طيـن متصلّب متين ﴿مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ صُفّ بعضها إلى بعض متتابعة.

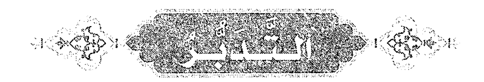
- ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معلمة بعلامة بيّنة ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ قريبة من كل ظالم مكاناً وزماناً.

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ قبيلة معروفة تسـكن مدين ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ نبي الله تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ لا معبود بحقٍّ سواه ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ لا تظلموا الناس بأخذ حقوقهم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ بنعم كثيرةٍ عظيمة ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ عذاباً يحيط بكـم، ويأتي عليكـم ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوا الناس حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ بمخالفة أوامر الله تعالى.

- ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ما يبقى لكم بعـد وفاء الناس حقوقهم خير لكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله تعالى حق الإيمان ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ لست بحافظٍ لكم أعمالكم ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾ التي تصليها ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ مـن وفاء وصدقة ونحوها. يقولون ذلك على سبيل التهكّم والسخرية ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ العاقل حسن التصرّف.

- ﴿قَالَ﴾ شـعيب: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: عندي بيّنة واضحة ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ بما منّ الله تعالى عليّ من الرسالة ﴿وَمَآ

أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ فلا أريد أن آمركم بأمر ولا أفعله، ولا أنهاكم عن شيء وأفعله ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ ولا أريد سوى صلاحكم واستقامة أموركم ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فهو الموفق لكل خير ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فوّضت أمري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ أرجع في كل أموري.



١ ـ إذا بلغ الطغيان حدَّه جاء العذاب على قدره ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ مشهد لا يتصوّره إلّا من رآه وعاينه.

٢ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً، رتّب مشاهده، وصنع أحداثه، وكتب نهايته كما يريد ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

٣ ـ يد الله تعالى ستطول كل ظالم، وإن طال زمان ظلمه وبغيه وفساده في الأرض ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٤ ـ ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ رسالة للذين هم على الطريق نفسه.

٥ ـ ما أحوج الأمة في زمن الفواحش والفوضى وضياع القيم إلى قراءة هذه الرسالة والعمل على مواجهة آثارها ما أمكن ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٦ ـ واقع اليوم مؤسف إلى أبعد ما نتصوّر، وما لم تجتمع مؤسسات الأمة كلها على بناء الإيمان في نفوس الناس بالقدر الذي يجذّر الفضيلة في الواقع، ويحمي شبابها من الضياع وإلّا سيطول انفراج الفجر، ويمتد ظلام الليل ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٧ ـ الأسرة هي رأس الأمر وذروة سنامه وقاعدته، وعليها أن تولي هذا الجانب علاقة كبيرة ومتينة حتى تسلم من مصادرة عزة أبنائها، وهشاشة قيمهم في مستقبل الأيام ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٨ ـ نقص المكيال والميزان ظلم للنفس وللخَلْق، وضياع للأمن، وخراب لواقع الأمة في مستقبل الأيام ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾.

٩ ـ من فقه الداعية أن يأتي إلى قلوب قومه على قدر وسعه وقدرته ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ هاتفهم في أول خطابه بقوله ﴿يَٰقَوْمِ﴾ وذكّرهم في نهايته أنهم على خير ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ وختم في نهايته بالخوف والقلق على مستقبلهم ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾.

١٠ ـ حين تلج إلى قلوب المدعوين بإمعان يمكنك أن تلقي إليهم ما تريد ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

١١ ـ المكيال المشار إليه في دعوة شعيب هو المكيال الحسي الذي يجري في أرزاق الناس، وهو كذلك المكيال المعنوي الذي يجري في أخلاقهم والتعامل فيما بينهم ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

١٢ ـ كثيرون يتورعون في المكيال الحسـي ويتحرجون، ولكنهم لا يلقون بالاً للمكيال المعنوي في شيء ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

١٣ ـ الحلال القليل خير وأبقى، وأكثر بركة من حرام كثير ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

١٤ ـ باع سلعته، وسـيارته، وبعض حاجاته، وكتم شيئاً من عيوبها؛ فأخذ مقابلاً كثيراً، ولم يبارك الله تعالى في شيء منها، وباع آخر معيباً وأبرزه؛ فأخذ قليلاً فنثر الله تعالى فيه ما لايتوقع مـن البركة ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

١٥ ـ إذا أردت أن تعرف حقائـق هذا المعنى ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ فاقرأ حديث رسولك ﷺ: «**فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما**»[(١)].

١٦ ـ كم من قليل مبارك! وكم من كثير أودى بصاحبه في غياهب الفتن والمحن ترى ذلك في مال، وولد، وعلم ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

١٦ ـ حتى راتبك القليل الذي يبقى بعد الصدقة أبرك بكثير من راتب الكثير الذي لم تتخلله الصدقـة ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

١٨ ـ لم تُصَبْ العقول بأزمة أكبر من أزمة تأجيرها للآخرين ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ يقولون ذلك ساخرين متهكمين.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٧٩) ومسلم رقم (١٥٣٢) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه.

١٩ ـ الكبار يدركون حقوق الله تعالى، ويعترفون بأن كل ما هم فيه من نعمه وخيراته ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾.

٢٠ ـ إذا أردنا لأفكارنا أن تأخذ حقها من مفاهيم الناس وأفكارهم وواقعهم؛ فلتتحوّل إلى واقع تطبيقي في حياتنا كل يوم ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾.

٢١ ـ القدوة تحمل أفكارنا إلى عالم التطبيق دون عناء ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾.

٢٢ ـ ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ من حق هذه الكلمة أن يقام لها حفل إعجاب وتقدير!

٢٣ ـ كل مسؤول ومربٍّ وقائد ما لم يجر هذا المعنى بعمق في حياته، وإلَّا لا حظَّ له في الإصلاح ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾.

٢٤ ـ إذا سمعته يتحدث عن العمل وليس له نصيب من هذا المعنى ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ فمن كمال عقلك ألا ترعي سمعك لشيء من حديثه. استثمر وقتك فيما ينفعك.

❀ ❀ ❀

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

التفسير

• ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾ لا تحملنكم عداوتي وبغضي على ترك ما جئتكم به ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾﴾ لا زماناً ولا مكاناً فيصيبكم ما أصابهم.

• ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ عما حصل منكم من ذنوب ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ بالتائبين ﴿وَدُودٞ ﴿٩٠﴾﴾ محب بهم.

• ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ لا نفهم ما تريد من قولك ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾ من المستضعفين ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ﴾ عشيرتك وقومك ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ لقتلناك رمياً بالحجارة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾﴾ بصاحب قَدْرٍ ومنزلة.

• ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مكانة قومي أكثر عندكم من مقام ربي وقدره ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ أي الله تعالى ﴿وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ منبوذاً وراء ظهوركم، لا تبالون به ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾﴾ لا يفوته من عملكم شيء.

• ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ على طريقتكم وحالتكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ على حالي وطريقتي ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ يذلُّه ويهينه ﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ أنا أو أنتم ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ انتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾ منتظر ما يحل من أمر الله تعالى.

• ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ العذاب ﴿نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ بتوفيق وإحسان ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ فصيح بهم فهلكوا ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ هامدين لا حراك بهم.

• ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ كأنهم لم يقيموا ويستقروا في قراهم ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ هلاكاً لهم ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ كما أهلكت ثمود.

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الدالة على صدق ما جاء به ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ حجة قوية بينة ظاهرة.

• ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ في الكفر ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ وإنما هو غاية السفه والجهل.



١ ـ ما أحلم الرسل على أقوامهم! وما أكثر شفقتهم عليهم! ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ يخوِّفهم عذاب الأسبقين، ويأمرهم بالاستعتاب من ربهم، وأنه رحيمٌ ودود.

٢ ـ حين يبلغ العمى مداه ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ يأتي لإنقاذهم من الضلال، ويعيبونه أنهم لا يفهمون منه، ولولا رهطه لرجموه. ما أقبح الضلال!

٣ ـ إذا اختلت موازين الشريعة اختل كل شيء ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ هذه موازين الجاهلية يحاكمون بها رسول الله تعالى. متى كانت الصورة برهاناً على فضل وعلم؟!

٤ ـ يذكرني هذا الموقف ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ﴾ بعشيرة رسول الله ﷺ التي دخلت الشِّعْبَ معه، وصبرت على مضض الأعداء ثلاث سنوات.

٥ ـ ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾ رسالة في العناية بقبيلتك والاهتمام بهم وشحذهم على أن يكونوا أنصار الإسلام.

٦ ـ القبيلة تقف درعاً دون أذى رسـول الله ﷺ ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾ فابنوا يا أيها الدعاة من قبائلكم دروعاً سابغة تقف دون هيشات السفهاء.

٧ ـ ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾﴾ لا غرابـة، فالقلوب التي عاشـت الجاهلية ترى قدرها أعظم من كل قدر.

٨ ـ ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾﴾ رأيـت في واقع اليوم من يعظِّـم عادات القبيلة، ويصنع منها أصناماً تُعبد من دون الله تعالى.

٩ ـ حتى الذين تراهم في المسـاجد، يصنع فرحه وترحه علـى عادات القبيلة، ويرمي بشـرع الله تعالى وراء ظهـره ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾﴾.

١٠ ـ للباطل نهايـة وإن طال زمان الانتظار ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾.

١١ ـ انتظار النهايـات التي حكاها القـرآن لا يأتي من خلال القعـود والفرجة والانتظار، وإنما يأتي من خلال العمل والبناء والتضحية والتحديات ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾.

١٢ ـ هذا فجر التاريخ الذي ينتظره كثيرون ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

١٣ ـ اسألوا هؤلاء المستهزئين بالأمس: ما الذي حل بهم اليوم؟! ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ وإن لم يجيبوا فسلوا من يقرؤون واقعهم وذكرياتهم وهذه النهايات!

١٤ ـ ليس من ضروريات الدعوة أن تأتي بالناس منقادين للحق! وإنما عليها البلاغ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

١٥ ـ مسألة تأجير العقول ضاربةٌ في عمق الزمن ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

١٦ ـ عُمْيُ القلوب لا يفرقون بين الرشد والضلال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

التفسير

• ﴿يَقۡدُمُ﴾ فرعون ﴿قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هو دليلهم وقائدهم إلى النار ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أوصلهم وأدخلهم فيها ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ﴾ المدخل ﴿ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ المدخول فيه وهو النار.

• ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ في الدنيا ﴿لَعۡنَةً﴾ طرداً وإبعاداً من رحمة الله تعالى ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾ العون والعطاء ﴿ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ المعطى لهم.

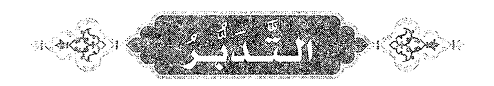
• ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور في هذه السورة ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ من أخبار القرى ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ﴾ للعظة والعبرة ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾ لا تزال آثاره باقية ﴿وَحَصِيدٞ ١٠٠﴾ ومنها ما مُحِيَتْ آثاره.

• ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بالعذاب الذي حلَّ بهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ بمخالفتهم أمر الله تعالى ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ ما ردت عنهم عذاب الله تعالى ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١﴾ تدمير وهلاك وخسران.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ عادة الله تعالى وسنته ﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ مخالفة عاصية متمردة ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ﴾ لها ﴿أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ في غاية الألم والشدة.

• ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ عبرة وعظة ﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ عذاب يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ يوم القيامة ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ يشهده المخلوقون.

- ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾ يوم القيامة ﴿ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ موعد قيام الساعة.
- ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ ﴾ يوم القيامة ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ لا يتكلم إنسان إلَّا بإذن الله تعالى ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ﴾ وهم كل كافر بالله تعالى ﴿وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وهم كل من آمن بالله تعالى.
- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ ﴾ في الدنيا بسوء أعمالهم ﴿فَفِي ٱلنَّارِ ﴾ مَقرُّهُمْ ﴿ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شنيع يُسـمع عند إخراج النفس ﴿وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ صوت شنيع يُسمع عند إدخال النفس.
- ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ في النار لا يخرجون منها ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ إلَّا من شـاء الله تعالى إخراجه من عصاة الموحدين ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ لا رادَّ لفعله.
- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ لصلاح أعمالهم ﴿فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يخرجون منها ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ إلَّا من شـاء إدخاله النار قبل الجنة من عصاة المؤمنين ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ غير مقطوع.



التَّدَبُّر

١ ـ من حق العبيد أن يسوقهم الأدعياء إلى ساحات جهنم ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٢ ـ ما أكثر خطر الكبراء على أقوامهم ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٣ ـ كم اجتال الكبراء والسادة معهم في طريق الضلال من أقوام ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.

٤ ـ كم من فرعونٍ في مسلاخ ذاك الهالك! وكم من أتباع في مسلاخ هؤلاء المخدوعين! ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾.

٥ ـ كم في هذا القرآن من ذكرى! ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾.

٦ ـ بعض قرى الظالمين ما زالت ماثلة تذكِّر بهم، وتبين عن ما لحقهم من عذاب ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ وبعضها انتهى منها كل شيء، ما أحوجنا للعبر!

٧ ـ إنما جنَوْا على أنفسهم ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾.

٨ ـ من حقهم الآن أن يبحثوا عن نصيرٍ في الظلام ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾.

٩ ـ أيها العبيد! أين آلهتكم التي منحتموها أفكاركم؟ وعشتم تقتاتون منها الأوهام ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾.

١٠ ـ هذه عادة الله تعالى وسنته الجارية في الظالمين ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

١١ ـ إذا رأيت مجتمعاً أو قرية أو دولة أو أمة تشرع في الظلم، ولا تقيم لأمر الله تعالى وزناً فانتظر مثل هــذه النهايات ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٢ ـ حتى الأفراد الذين ظلموا حلَّت بهم نهايات السوء، وجرت فيهم سُنَّةُ الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٣ ـ هذا ظلم عاملاً، واستنزف عرقه، ولم يعطه حقه، وذاك ظلم زوجة لم يرعَ لله تعالى فيها حقاً، وثالث أقــدم على مال ورثته، وأكله ظلمــاً، ورابع لم يقم بحق الأيتام وأتى على كل ما خلَّف لهم أبوهم، وستحل عليهم النهاية نفسها ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٤ ـ إذا رأيت الله تعالى يؤخِّر ظالماً، ولا يجري عليه سننه، فاعلم أنه إنما ينتظر به النهايات الكبرى ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٥ ـ أيها المنكوبون والمظلومون والمحرومــون! قريباً تنال يد الله تعالى الطغاة ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٦ ـ لا تستبطئوا نصر الله؛ فإن لله تعالى حكمة يجريها في العالمين ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٧ ـ ماذا ينتظر الأشقياء؟! ليتهم اعتبروا قبل الفوات ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٨ ـ ثمة موعد للنهاية وإن طال ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

١٩ ـ هذه نهايات الأشقياء ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ كم سيقت لهم العبر ولكن دون جدوى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٢١ ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ درس يحتاج إلى قراءة واعية قبل الفوات.

٢٢ ـ هذه نهايات السعداء ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

٢٣ ـ هنيئاً يا أهل العمل! فهذه مباهج النهايات ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

التفسير

- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ﴾ في شك ﴿مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُ﴾ فهم مقلدون، لا علم لهم بشيء ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ من الخير في الدنيا، وقيل: نصيبهم من العذاب ﴿غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾ لا ننقصهم منه شيئاً.

- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِ﴾ فآمن به قوم، وكفر به آخرون ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتقدير أجلهم، وتحدد مدة موتهم ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ لحسم الخلاف بينهم ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ من يوم القيامة ﴿مُرِيبٖ ١١٠﴾ في قلق واضطراب.

- ﴿وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ لا ينقص منها شيئاً ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١﴾ لا يفوته من ذلك شيء.

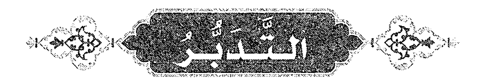
- ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ فاستقم على الحق كما أمرك الله تعالى ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ وليستقم كذلك من تاب معك ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ﴾ لا تتجاوزوا حدود الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ لا يغيب عنه من أعمالكم شيء.

- ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ لا تميلوا إليهم وتوافقوهم على ظلمهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بسبب ذلك ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ يمنعونكم من عذاب الله تعالى ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ لا ينصركم أحد من الخلق.

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله وآخره ﴿وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعات من الليل ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ تمحوها وتذهب بآثارها ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما وعظتم به في هذه الآيات ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ عبرة وعظة للمعتبرين.

• ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ احبس نفسك على طاعة الله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ بل ينمّيها ويزيد في آثارها ﴿فَلَوۡلَا﴾ فهلّا ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ من الأمم الماضية ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ﴾ بقايا من أهل الخير والصلاح ﴿يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقومون بواجب الإنكار على قومهم ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ فحصل نفع الناهين، ولكنه لم يكن كثيراً بل كان قليلاً ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ انساقوا وتبعوا ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ الترف الذي عاشوه ﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ ظالمين متجاوزين في ذلك.

• ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾ من الله تعالى لهم ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ قائمون بواجبهم في الإصلاح.



١ ـ الموعظة واجب يجب أن يبلّغ به حتى الكبار ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾.

٢ ـ مهما بلغ شأنك فعليك أن تتلقى موعظة الله تعالى بإيقان ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾.

٣ ـ رأيته يستمع للمخالفين والضالين، ويزعم أنه يملك النجاة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾ كم من ضلال تسلل من هذه الثقة العمياء!

٤ ـ إياك أن ترخي أذنك لضال، أو تمنح عينك وقتاً في قراءة كتاب شبهة؛ فذلك الهلاك ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾.

٥ ـ التكذيب سنة ماضية؛ فلا تكترث بالمعارضين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾.

٦ ـ إذا رأيت مكذباً معارضاً ضالاً فتذكّر سير الهالكين، هؤلاء جزءٌ من أولئك ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾.

٧ ـ واصل طريقك، فالله تعالى يرصد أعمال المتخلفين ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾.

٨ ـ الاستقامة لها معالم مرسومة لا تكون إلَّا بها ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

٩ ـ إذا أردت أن تعرف واقعك من الاستقامة فانظر أين أنت من وحي هذه الشريعة؟! ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

١٠ ـ إلى الذين يرقّعون دينهم كيف شاؤوا: إياكم والعبث! ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾. وما أحسن ما قال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّع

١١ ـ الاستقامة منهجٌ وليست هوًى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

١٢ ـ حتى الذين معك على الطريق نفســه عليهم أن يحملوا المعنى نفسه بإمعان ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٣ ـ الاستقامة كما أنّها تنأى بصاحبها عن التخلّف، فإنَّها تحذّره كذلك من الطغيان ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٤ ـ التخلّف عن مباهج الاستقامة والغلو فيها إخوان من الرضاع ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾.

١٥ ـ الركون إلى الظلمة موجبٌ للعــذاب ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

١٦ ـ من الركون إلى الظلمة عونهم بشهادة، أو أخذ منهم رشوة، أو التوقيع على معاملة، أو التصويت لهم في وظيفة ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

١٧ ـ الصلاة مانعة من عذاب الله تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

١٨ ـ إذا كان الوضــوء مفضٍ لمحو الســيئات فما بالــك بالصلاة؟! ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

١٩ ـ من عرف قــدر الصلاة حافظ على إقامتها، ولَزِمَ منهــا ورداً لا يتخلّف عنه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ ما خالط الصبرُ قلبَ إنسان ومشاعره إلَّا عوضه عن كل مفقود، وأعانه على كل ثقيل ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

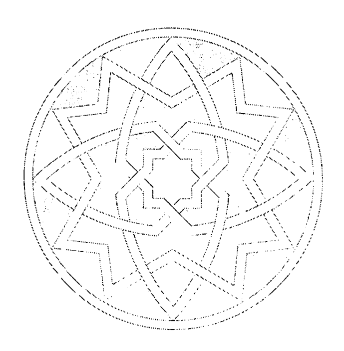
٢١ ـ الصبر إن كان في الطاعة وجدته عوناً، وإن كان في المعصية وجدته ساتراً عن التمادي فيها ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

٢٢ ـ ماذا لو كان في قرى الهالكين بالأمس مصلحون؟! ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

٢٣ ـ كم من كارهٍ لمصلح وهو يرفع راية الإنكار! وما دروا أنه مُبقٍ للخيرات ترتع في رحابهم أزماناً ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

٢٤ ـ القرى التي رزقها الله تعالى مصلحين لم يحل عليهم عذاب الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ ما أجمل هذا المعنى عند العقلاء!







وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

التفسير

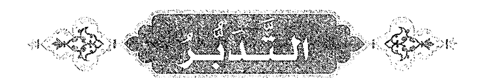
- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الدين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ في أديانهم ومعتقداتهم ومذاهبهم وآرائهم.

- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلَّا مَنْ أَنْعَمَ الله تعالى عليهم بالحق، وأكرمهم بالهداية إليه، ووفقهم للعمل به ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ لذلك الاختلاف خلقهم حتى يُعرف أهلُ الحق من أهل الضلال ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ثبتت كما أراد الله تعالى لها ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ممن يستحق منهم ذلك.

• ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ ممن ورد ذكرهم ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ قلبك ليطمئن ويستمر ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ في هذه السورة ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ﴾ يتعظ بها كل إنسان ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ يتذكرون بها أوامر الله تعالى.

• ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله تعالى ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ ما يحل بنا ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ما يحل بكم.

• ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كل ما غاب فيهما من الخفايا ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فلا يفوت منه على الله شيء ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ قم بما أمرك به من العبادة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فوِّض أمورك إليه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ بل أحاط بكل شيء علماً.



١ ـ هذا الخلاف الذي تراه في واقع الناس سنة إلهية ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

٢ ـ السالمون من الخلاف والنزاع والفرقة مرحومون من الله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

٣ ـ لا تبتئس من هذا الخلاف، لولاه لما عرفت الحقائق ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

٤ ـ قراءة قصص الأنبياء والمصلحين دروس للثبات على الطريق ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٥ ـ كل الحقائق وقف على الوحي ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٦ ـ لا تنشغل بالمعرضين، وذكِّرهم بيوم اللقاء ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

٧ ـ املأ قلبك ثقة بربك وامضِ في طريق دعوتك وتوكل عليه، ولا عليك من الضالين والمتخلفين ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٨ ـ لا يملك عدوك أي شيء من مقومات النصر؛ فالكون كله لله ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

٩ ـ آمن بربك، واجتهد في بناء مشروعك، وتوكل عليه، ودع النهايات يديرها كما يشاء ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

التفسير

- ﴿الٓر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾ أي هذه الآيات آيات ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ الواضح.
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان عربي مبين ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ تفهمون ما فيه.
- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ أجملها ترتيباً وسياقاً وبياناً، وكل قصص القرآن كذلك، وقصة هذه السورة من أبدعها وأمتعها وأروعها وأتمّها

﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ بما اشتمل عليه هذا القرآن من بيان وجمال ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ من قبل نزول الوحي ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ لا تعلم من ذلك شيئاً.

• ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ وتأويل هذه الرؤيا بأن الكواكب إخوته، والشمس أمه، والقمر أباه، وأن يوسف ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير في حال يخضعون جميعاً له، ويسجدون له إكراماً وتعظيماً، وهذه النعمة ستشمل آل يعقوب الذين سجدوا له.

التَّدَبُّر

١ ـ من فواتح الخير عليك أنْ جعل القرآن بلغتك، تفهم منه مراد ربك، وتأتي منه على أمانيك، وذلك من عاجل النعم التي يجب أن تكون منك على بال ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ ومن ليس عربياً فيمكنه أن يشمِّر ساعده لتعلُّم اللغة والإقبال على القرآن من خلال ذلك.

٢ ـ القصة من أعذب الأساليب التي تأخذ بلب السامع، وتوصل إليه مقصود الموعظة من أقرب طريق ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾.

٣ ـ على الدعاة والمربين والمؤلفين أن يولوا القصة عنايتهم واهتمامهم حتى يأتوا منها على أمانيهم كما يشاؤون ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾.

٤ ـ الرؤى المنامية حق ثابت، تراها في هذه الآية في رؤيا يوسف، وتراها في رؤيا صاحبيه في السجن، وتراها في رؤيا ملك مصر، وكلها حقائق واقعية ماثلة في حياة أصحابها، على ألا يفوتك أن منها رؤى صالحة، ومنها حديث نفس لا علاقة لها بالرؤيا، ورؤى غير صالحة، وكل رؤيا لها منهج شرعي في التعامل معها، فالرؤيا الصالحة لا يحدّث بها الإنسان إلّا من يحب، وحديث النفس لا يتعلّق به شيء، والرؤيا المحزنة يتعوذ الإنسان من شرها، وينفث عن يساره، وينقلب على جنبه الآخر، ويتوضأ ويصلي الله تعالى، ولا يحدّث بها أحداً من الخلق، ولا تضره بإذن الله تعالى.

٥ ـ الحب ترياق الحياة! وإذا أردت بيتاً صالحاً، وعلاقةً وارفة، وحياة جميلة بين الآباء والأبناء فأقِمْ للحب في بيتك شأناً، وافتح له مجالاً، ووسِّع في مساحاته تنل به أحلام الدارين ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ لولا هذا المعنى لما بث يوسف هذه الرؤيا بين يدي أبيه.

٦ ـ كثيرة هي المشكلات والأزمات التي تعرض لأبنائنا في الطريق، ويقعون في شراكها؛ لأنهم لم يجدوا أباً يُفْضُوْنَ له بما يواجهون في الحياة ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

٧ ـ رأيت بعض الآباء يجتمع أسبوعياً بأبنائه في يوم الجمعة، ويسلِّمهم مصروفهم، ويستمع لمشكلاتهم، ويفضي كل واحد منهم بمواقف الحياة التي واجهته في الطريق وكيف حلّها ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

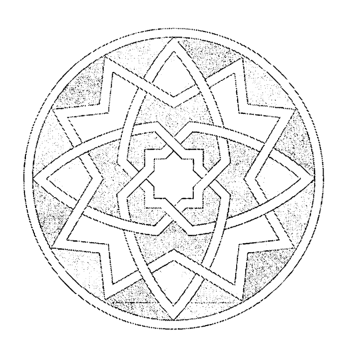
٨ ـ حين يقع بعض الأبناء في بعض الأخطاء ويجدون أباً متسامحاً، فإنهم يفضون له مع الأيام بما يواجههم دون عناء ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

٩ ـ مؤلم أن تتسع الفجوة بين الآباء والأبناء حتى لا يستطيع الولد أن يناقش أباه في دراسته وتعثره في بعض موادها، أو زوجة المستقبل، أو وظيفته، أو كيف يشارك في بعض مناسبات زملائه ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

١٠ ـ للنهايات الكبرى بدايات مقلقة ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

١١ ـ ثمة أبناء تستطيع أن تراهن عليهم مبكراً بأنهم روّاد المستقبل وبناة حضارته؛ فقُمْ بحقهم وارعَ شأنهم، وإياك من فوات آثارهم ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.





قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ
ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ
وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ
يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ
لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا
وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ
ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا
صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي
غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ
﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ
﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ
ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ
وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾



التفسير

- ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ لا تحكها لهم ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ يحسدونك، ويدبرون لك أمراً تهلك به ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ عدو واضح.
- ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يصطفيك ويختارك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ تأويل الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ فيجمع لك بين النبوة والملك ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ كلهم ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ بالنبوة والرسالة ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء، ومن ذلك من يستحق الإكرام ﴿حَكِيمٞ ٦﴾ في تدبير خلقه وأمره.
- ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ﴾ عبر وعظات ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ٧﴾ لكل السائلين عن هذه القصة.
- ﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ إخوة يوسف: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ خطأ بيّن حين فضلهما علينا.
- ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ غيّبوه في أرض بعيدة ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ يتفرغ لكم ويقبل عليكم ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد إبعاد يوسف من حياتهم ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ صالحين في دينكم بتوبتكم من فعلكم، وصالحين في دنياكم بعد خلوها من المنغِّصات.
- ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ من إخوته: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ﴾ ارموه ﴿فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ في قعر بئر ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ يأخذه بعض المارة ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ عازمين على ذلك.

• ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ لا تستأمننا عليه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ في حفظه ورعايته والعناية به.

• ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ يتوسّع في الملاذ ويأنس ﴿وَيَلْعَبْ﴾ ويمرح ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ من كل ما يكره.

• ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ يصيبني الحزن لفراقه وبُعده ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ حين ذهابه معكم ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ لاهون ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ لا خير فينا إذا عجزنا عن حفظه.



التدبر

١ ـ ﴿يَـٰبُنَىَّ﴾ رسالة يبعثها النبي الكريم يعقوب عليه السلام إلى كل الآباء يدعوهم فيها للرفق بأبنائهم، والتعامل مع مشاعرهم، ومخاطبة وجدانهم في كل حال.

٢ ـ ﴿يَـٰبُنَىَّ﴾ رسالة تقطر حباً ومشاعر ووجداناً من والد كبير إلى ولده الصغير، فما أحوج الآباء إلى تعلُّم هذا الخطاب الوجداني في كل رسالة يوجهونها إلى أبنائهم في الحياة.

٣ ـ هذا يقول: يا ولد، يا فوضوي، يا قليل الأدب، وذاك يقول: يا حبيبي، يا قلبي، يا روحي، يا أملي، وهذا خطاب ذاك الكبير ﴿يَـٰبُنَىَّ﴾.

٤ ـ هذا يسجل ولده في جواله حبيبي، روحي، مشاعري، مشروعي الكبير في الحياة، وذلك يسجله باسمه المجرد، وفَاتَهُ خطابُ هذا الكبير ﴿يَـٰبُنَىَّ﴾.

٥ ـ من بديع إجابة يعقوب لولده أنه ناداه بهذا المعنى البهيج ﴿يَـٰبُنَيَّ﴾ ونهاه أن يقصَّ رؤياه، وبيّن له سبب ذلك، وذكَّره بعدوِّه الأول، وأنه جالبٌ له الحسرات ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ وفي مرات كثيرة لا يعتني الوالد بطلب ولده، ولا يهتم به، ولا يعيش مشكلته، وإذا نصحه أغلظ عليه، وذكّره بعيوبه، وجمع له همًّا جديداً على همومه السابقة.

٦ ـ من فنون هذا المربي أنه حاول جاهداً أن يباعد كل سبب يفضي إلى الفرقة بين أولاده، ويفرّق جمعهم ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ ورأيت آباءً يكرّسون الفرقة دون وعي قائلين: أخوك أحسن منك وأفضل، وأرجل منك، وربما يكرّمون بعضهم على مرأى من بعض بما يثير ضغائنهم، ويحيي العدواة في قلوبهم من جديد.

٧ ـ احفظ نعمك، ولا تجعلها مشرعة لأسماع الآخرين؛ فذلك أدعى لحفظها ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾.

٨ ـ الاجتماع والائتلاف أصلٌ كبير في جمع الكلمة، ومن وعي الوالد بأثر ذلك أن يحرص على تكوين اجتماعات أسبوعية، ولقاءات شهرية، وأعمال تستوعب الجميع وكلٌّ في تخصصه حتى لا تتباعد القلوب، وكلٌّ يجد ضالته ومشروعه وعمله ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾.

٩ ـ الأسر التي حرصت على هذا المعنى نالها خيرٌ كبيرٌ في النهايات، فعاشوا مؤتلفين متحابين متقاربين، ولم يختلفوا في شيء حتى بعد رحيل آبائهم، وقامت

بينهم مشاريع مشتركة كبيرة ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ وتخلَّف هـذا المعنى عن كثيرين؛ لتخلُّفه من البداية.

١٠ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً صنع له البدايات ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾.

١١ ـ نعم الله تعالى مواهب يهبها تعالى من يشاء من عباده المتقين ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ وليس بين الله تعالى وخلقه نسب، وإنما يهب على قدر صلاح العبد وقربه منه تعالى وتعظيمه لشعائره، وهذا منالٌ قريبٌ لكل من أراد.

١٢ ـ النعم الكبار تحتاج إلى مقدمات مثيرة ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾.

١٣ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ عليم بمن يصلح لهذه النعم، حكيم أين يضعها جلَّ في علاه! ومن عرف الطريق، وسار إليه صادقاً، وأقبل إليه عازماً أفاض الله تعالى عليه بما يشاء.

١٤ ـ ثمة بيوت يعتني الله تعالى بها ويكرمها، ويفتح لها أبواب التوفيق ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ وهي بيوت أسلمت نفوسها لله تعالى، وأقبلت عليه بكل شيء.

١٥ ـ إذا رآك الله تعالى معتنياً بأسـرتك، تشكِّل نفوسـهم على منهج الله تعالى، وتجهد في قيامهم بالحق أعانك الله تعالى، وسـدَّدك، وفتـح عليك توفيقه في الداريـن ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾.

١٦ ـ أَنِخْ مطاياك في ثنايا هذه السورة تلقى ما تريد من بصائر الأحداث ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾.

١٧ ـ مَنْ تدبر هذه السورة بإمعان أجابت عن أسئلة كثيرة في واقعه ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾.

١٨ ـ حين يؤتى الوالد من حيث لا يريد! ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

١٩ ـ يا أيها الوالد! إياك أن يسترق منك الشيطان لحظة وفاء في غير محلها ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

٢٠ ـ الحب الزائد لأحد أولادك طريقٌ لإشاعة البغضاء في قلوب الأبناء ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

٢١ ـ احتف بكل ولدك، وامنح مشاعرك لكل واحد منهم، وهب لهم جميعاً من وجدانك، ولا يروا منك شيئاً زائداً لآخر مهما كانت البراهين والبينات ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

٢٢ ـ لا يُنجي حذرٌ من قدر، كل الذي كان يخشاه يعقوب ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ وقـع فـي النهايـة ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

٢٣ ـ في مرات كثيرة نستطيع أن نحلل أخطاء الآخرين، ونصف لها العلاج اللازم، ونعجز في الوقت نفسه عن وصف أدوائنا وأخطائنا، هذا يعقوب يحذّر ولده من عرض الرؤيا على إخوته لمعرفته بما يقدحه الشيطان في نفوسهم ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ وفاته أن الحبَّ الزائد الذي كان يهبه ليوسف كان مكمن الداء ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾.

٢٤ ـ الأشياء الصغيرة في نظرك قد تكون في نظرِ غيرك جبالاً من الأخطاء ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾.

٢٥ ـ أكثر الأخطاء خطورة تلك التي تمسُّ مشاعر الإنسان ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾ اعتبروا زيادة الحب التي تزرع في قلوب الإخوة غاية الضلال.

٢٦ ـ ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ هذا وهو زاد في مشاعره نحو بعض أبنائه فكيف بمن جعل لأحدهم أرضاً، ولآخر سيارة، ولثالث بيتاً، والبقية لم يجدوا شيئاً!

٢٧ ـ لحظات حب كسرت قلوبهم، وفتنت نفوسهم، فكيف بكلمةٍ أو مالٍ تُدفعُ لبعضهم دون بعض ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨﴾.

٢٨ ـ ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾ غالب الذين يقعون في المعصية يفكرون بالطريقة ذاتها.

٢٩ ـ اعمل الذنب وتُبْ منه فكرةٌ ألقت بكثيرين في مسارب الضلال ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾.

٣٠ ـ في مرات كثيرة نختار الطريق الأبعد والأسوأ لعلاج ظروفنا دون وعي ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ مع أنه كان هناك ألف طريق.

٣١ ـ المبادرة تصنع فارقاً في واقع الأحداث ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ استطاعت المبادرة أن تقلب القتل إلى حياة!

٣٢ ـ يستطيع المسؤول والموظف في أي مكان أن يحوّلَ قرارات كثيرة، ويصنع فيها مرونة أكثر من واقعها الذي جاءت عليه، ويُحقّق المصلحة ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٣٣ ـ إذا كانت الوظيفة التي تشاور فيها ستساهم في مدِّ الخير، وتحويل بعض مخاطره، والتخفيف من أعبائه، فامض إليها، واعتبرها ساحة جهاد لدينك، لا تبرحه ولو تخطّفتك الطير ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

٣٤ ـ الحيل معقودة على سببها؛ فإن كان باطلاً فهي كذلك، وإلَّا فهي حلال وقربى ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

٣٥ ـ اللعب واللهو جِبِلَّةٌ وطبيعة في نفس كل إنسان ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ وإذا رأيتم كبيراً يلهو في بعض وقته؛ فذلك بعضٌ من تلك الجبلة في نفس كل إنسان.

٣٦ ـ من فرط حبه أفضى لهم بالخطّة ﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

٣٧ ـ ومن الحب ما قتل ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤ ﴾.

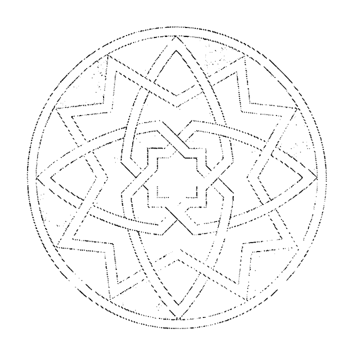
٣٨ ـ كن يقظاً لما وهبك الله تعالى من نعيم خائفاً على فواته ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ ﴾ وإن وقع خلاف ذلك مع يعقوب إلَّا أن الأصل أن النعم لا تبرح متيقظاً خائفاً على الفوات.

٣٩ ـ كم من نعم تبدَّدت من أناس أمنوا ذهابها، وفرَّطوا في القيام بحقها! ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ ﴾.

٤٠ ـ إذا ألبسك الله تعالى نعمة ومَنَّ عليك بشيء فالزم باب العبودية، وتمسَّك بذلك النعيم، وحافظ عليه قدر وسعك، وإياك وغفلات الطريق ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ ﴾.

٤١ ـ إن الله تعالى يغار، ومن اشتد حبه بمخلوق ابتلاه الله تعالى به!





فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ﴾ خرجوا به من عند أبيه ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ في قعر البئر ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ أخبرناه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ سننجيك ثم ستخبرهم بفعلهم بعد ذلك ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ لا يشعرون بأنك أنت الذي تخبرهم في ذلك الوقت لإيقانهم أنك هالك.

• ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ﴾ في الليل ﴿يَبۡكُونَ ١٦﴾ يتباكون ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ فيما بيننا ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ يحرسه ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ في حال غيابنا عنه ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ بمصدِّقٍ لما نقول ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ فيما نقول.

• ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ أخذوا قميص يوسف ولطّخوه بدم إيهاماً بأكل الذئب له ﴿قَالَ﴾ والده: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ﴾ زيَّنت لكم ﴿أَمۡرٗاۖ﴾ قبيحاً من المكر ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ وهو كل صبر لا شكوى فيه ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ ومن الله تعالى العون على ما تفعلون.

• ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ﴾ قافلة تريد مصر ﴿فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ﴾ من يرد الماء ليسقيهم ﴿فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ﴾ أنزله للبئر فتعلّق به يوسف ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ﴾ مستبشراً ﴿هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ وجد في البئر ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ أخفوا يوسف من أن يراه أحد فينازعهم فيه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ يعلم كل ما يفعلون مع يوسف وهو حافظه وهاديه.

• ﴿وَشَرَوۡهُ﴾ باعوا يوسف ﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ بثمن زهيد يسير ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ يسيرة لا تساوي شيئاً كثيراً ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ قليلي الرغبة في بقائه معهم.

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو عزيز مصر ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زوجه ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ اعتني به غاية العناية ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في أمور دنيانا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بإنجائه من الجُب، وشراء عزيز مصر له، جعلنا كل ذلك مقدمةً لإكرامه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ بالعلم وتأويل الرؤيا ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ لا يعجزه عما يريد شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ حكمة الله تعالى فيما يفعل.

• ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ كمال قوته المعنوية والحسية ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أعطيناه فهماً ﴿وَعِلْمًا﴾ وآتيناه علماً ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ وهذا جزاؤنا لكل محسن في عبادته ومعاملته.



١ ـ إنما تتنزّل ولاية الله تعالى على أوليائه في أحوج ما يكونون إليها ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ أخذوه من أبيه، وانفردوا به عن الناس، وذهبوا به إلى صحراء مجدبة من كل شيء، ثم رموه في بئرٍ في تلك الأرض، ونسوا أن ولاية الله تعالى تلاحق أصحابها في أحلك الظروف وأكثر الأوقات ألماً.

٢ ـ أمعن في طريقك مع الله تعالى ولا تضرك صيحات الناكصين، فالله تعالى معك ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٣ ـ هل تصوّرت إخوةً يرمون أخاهم في الظلام في قعر البئر ثم يتولون! نعم حين يبلغ الحقد والحسد مداه! ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٤ ـ إذا تصوّر الآباء هذه النهايات التي تحكيها سورة يوسف بين الإخوة أدركوا خطورة أي تصرّف معهم لا يتم على وفق هذه الشريعة ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٥ ـ يا أيها الآباء! إياكم أن تخالفوا منهج الله تعالى مع أبنائكم فتأتون على هذه النهايات ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾.

٦ ـ الحقد يغلب مشاعر الأخوّة، ويصنع مشاهد الختام باقتدار ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾.

٧ ـ الكبار يحسنون اللوذ بالله تعالى عند الأزمات ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

٨ ـ أدرك يعقوب ما فعل أبناؤه، وأبان عن عجزه، وسأل الله تعالى الصبر والسلوان ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ هكذا يصنع المتقون!

٩ ـ بدأت مشاهد الحياة والفرج والنصر والفرح من جديد ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

١٠ ـ حتى لو كنت على بوابة السجن، ووداع الأهل، ورحيل الأصدقاء، فستأتي اللحظة الي تبعث في قلبــك الأمل، وتعيد فيك فأل الحياة من جديد ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

١١ ـ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ هذه أولى البشائر، وجد مَنْ ينزعه من البئر، ويزهد في ثمنه في الوقت ذاته!

١٢ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً صنع له الطريق ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ زهّدهم فيه حتى لا يُبقوه معهم طويلاً!

١٣ ـ لا تتعجّل بتســريح ما في يدك؛ فقد تكــون أحوج ما تكون إليــه بعد الفوات ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ماذا لو دروا بَعْدُ ما أعد الله ليوسف عليه السلام! رأيت هذا في صور كثيرة، وكم من نادمٍ بعد الفوات!

١٤ ـ لا بد من صورة يكتمل من خلالها مشــهد النهاية ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

١٥ ـ جرت سنة الله تعالى في الأرض أن الحياة وقف على الأسباب ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

١٦ ـ الفراســة تضع صاحبها على أبواب التوفيق ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾.

١٧ ـ غالباً لا يأتي التمكين إلَّا بعد الابتلاء ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

١٨ ـ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سلوى للمسجونين والمطرودين والمضطهدين في كل مكان.

١٩ ـ لا تسلْ كيف جاءت النهايات ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٠ ـ نسيَ إخوة يوسف هذا المعنى ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فصنعوا تلك المحاولة البائسة في طريق الأحلام.

٢١ ـ كن مع الله تعالى، وتوكَّل عليه، وأَقِمْ قلبك على دينه، وستبوء كل المحاولات التي يصنعها العدو بالفشل والخسران ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٢ ـ وضعوه في الجب، ورفعه الله تعالى على سرير الملك، وبيع عبداً، وجعله الله تعالى صاحب الملك ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٣ ـ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أخرجته عناية الله صغيراً من بئر في الفلاة، وزهَّد فيه من أخرجه من البئر، فباعه بأبخس الأثمان، وحين اصطفاه الملك أفاض بالحب على قلوب مستقبليه حتى يتمكن من إدارة شؤون مستقبله باقتدار ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٤ ـ تلك المقدمات لا تستحق إلَّا مثل هذا الجزاء ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢﴾.

٢٥ ـ من كمال حكمة الله تعالى أنه لم يضع نعمه إلَّا في موضعها، ومن كمال وعيك أن تصنع ذلك في نعمك ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢﴾.

٢٦ ـ أحسن ما بينك وبين الله تعالى وانتظر الخيرات ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

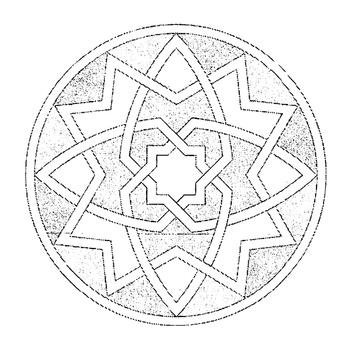
٢٧ ـ مُدَّ يدك وجاهك ومسـؤوليتك ووظيفتك للمحتاجين، وسيفيض الله تعالى عليك نعمه ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٢٨ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ سنَّةٌ تجري في العالمين في كل زمان ومكان!

٢٩ ـ كن يقظاً لإثارة هذا الخُلق في واقعك مع والديك وزوجك وولدك وزملائك وأصدقائك وعاملـك، وكل من تلقاهم في عرض الطريـق، وانتظر كرامات الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٠ ـ وقف مع يتيم حتى بلغ أشدَّه، وأعان معسراً حتى قضى دينه، وأنجز معاملة عجوز، وتكفّل بإعانة طالـبِ علمٍ حتى بلغ مناه، فجـاءه نعيم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.





وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

التفسير

• ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ حاولت إغراءه ﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ أي امرأة العزيز ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ ليواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ أحكمت قفلها ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ تعالَ وأقبل. تدعوه لفعل الفاحشة بها ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أعوذ بالله مما تدعوني إليه ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ أي إن زوجك هو من رباني ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ وأكرمني ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المعتدون على حقوق الناس.

• ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ مالت نفسها له ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ تذكّر أمر الله تعالى وميثاقه الذي أخذه على عباده ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ﴾ لنبعد عنه ﴿ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ وهي كل ما يسوء ويفحش من ظلم الرجل في أهله ومواقعة الزنى ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ الذين أخلصناهم لطاعتنا وعصمناهم من السوء.

• ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ بادر يوسف إلى الباب وسابق إليه هرباً منها، وبادرت هي وسابقت للحاق به ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ﴾ قطعت قميصه ﴿مِن دُبُرٖ﴾ من خلف من شدة تعلقها به ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾ وصادفها زوجها عند الباب ﴿قَالَتۡ﴾ لما رأت زوجها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ فاحشة ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ إما أن تسجنه ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾ أو تعذبه عذاباً أليماً.

• ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾ هي التي طلبت مني ذلك ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ قام شاهد من أهلها حاكماً في الخلاف بينهما قائلاً ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ﴾ الذي يلبسه ﴿قُدَّ﴾ قطع ﴿مِن قُبُلٖ﴾

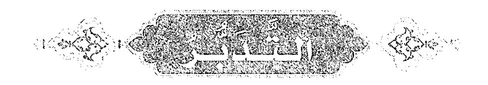
من الأمام ﴿فَصَدَقَتْ﴾ في أنه أرادها بسوء ﴿وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ لأن هذه قرينة على إرادته إياها.

• ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ﴾ قطع ﴿مِن دُبُرٍ﴾ من الخلف ﴿فَكَذَبَتْ﴾ في اتهامها له ﴿وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ لأن هذه قرينة على محاولتها الجادة وهربه منها.

• ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ أي العزيز ﴿قَمِيصَهُۥ﴾ قميص يوسف ﴿قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ قطع من خلف ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ مكرك وإرادتك ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ كبير.

• ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ عن الحادثة لا تتحدث فيها، وانسها كلياً ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ عما أردتِ من الفاحشة ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ بفعلك ذلك.

• ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ لما سمعوا الخبر ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ تريده أن يزني بها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ استحوذ على قلبها ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ خطأ بيِّن واضح؛ إذ كيف ترضى مع ملكها وملك زوجها أن تغري خادمها في البيت أن يزني بها.



١ ـ لا يخلون رجل بامرأة إلّا كان الشيطان ثالثهما ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢ ـ كل من تساهل في هذا الطريق جاءه منه العطب وهو لا يشعر ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

٣ ـ ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ رسالة لأصحاب الخدم والسائقين والعمال لعلها توقظهم من سبات الغفلة! وإذا كان بعض أولئك فيهم جمال؛ فقد جلب الرجل بيده الفاحشة إلى بيته.

٤ ـ كلما قربت الفتنة تهيأت أسباب الفاحشة ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ ما كان لها أن تصنع ذلك لولا أن يوسف عليه السلام كان معها وفي بيتها.

٥ ـ وسائل التواصل الاجتماعي كبيت العزيز قد تشرف بكثيرين على الهلاك كما أشرفت بهذه المرأة ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ من تساهل فيها ألقت به في تيه الشهوات!

٦ ـ من كمال العقل أن يكون جوال الزوجين في متناول بعضهما دون تحرُّز برقم سري أو نحوه ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ وإذا رأيت أحدهما يحرص على حجب جواله عن الآخر فاعلم أن ذلك ريبة.

٧ ـ كل من زج ببنته أو زوجه في مهنة فيها اختلاط دون أن يحرس قيمها ومبادئها، ويضمن لها المباعدة عن الرجال؛ فقد أدخلها في الوحل، وأقفل عليها بكلتا يديه ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

٨ ـ ثق في زوجك بقدر، ومارس ولايتك كرجل، ولا تمكنها من فوضى تودي بها مع الزمن إلى الهلاك ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

٩ ـ رأيت بعضهم أدخل إلى بيته كل القنوات الفضائية، واشترى لها لوازمها من التقنية، وتخرج زوجه من بيته في أية ساعة شاءت، وتتواصل كيفما شاءت؛ فأصابه العطب من تفريطه، وعاد يبكي أيام الحسرات ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

١٠ ـ كثرة دخول الغريب وخروجه مؤذنة بالفساد ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ ما كان للمرأة أن تصنع ذلك لولا كثرة الخلطة المفضية لنزع الكلفة.

١١ ـ لا تستصغرنَّ شيئاً مهما كانت ضآلته، فمعظم النار من مستصغر الشرر ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

١٢ ـ في مثل زماننا الذي أصبح الفساد تقنيةً لا يقوم في وجه ذلك إلّا التربية على القيم، والمبادئ، والتذكير بالله تعالى، والدعاء، وبذل غاية الوسع في مدافعة ذلك بكل ممكن ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

١٣ ـ إذا علم الله تعالى صدقك أخرجك من حالك الظلام ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ

مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تأمل كيف أخرج الله تعالى يوسف من قعر بئر، وأخرجه من شهوات النساء!

١٤ ـ كُلٌّ يقضي منك وطره فحسب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ هذه أمنية العزيز من يوسف، وأمنية زوجه ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

١٥ ـ الوفاء من طبع الكبار ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ كم من مواقف كرم أفاض عليها النساء قبائح الأفعال!

١٦ ـ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ فن في إدارة المعركة! التي تصنع هذا الترتيب، وتتوهج فيها الشهوة لهذه الدرجة، لا يردعها خوف الله؛ فحاول أن يصفعها بحق الزوج، لعلها تفيق من غفلتها!

١٧ ـ إذا أراد الإنسان شيئاً بذل له كل الأسباب الممكنة ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ خطَّطت، ورتَّبت، وراودت، وغلَّقت الأبواب، ودعته لارتكاب الفاحشة.

١٨ ـ إذا تولت المرأة شأن هذه القضية فيوشك أن يهلك صاحبها ما لم يحرسه الإيمان ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

١٩ ـ إذا أردت أن تختبر إيمانك فانظره في ساحات النساء ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٠ ـ التساهل في البدايات مفضٍ لسوء الخواتيم ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ لم تصنع امرأة العزيز كل هذا إلَّا بعد أن استغرقت زمناً في الطريق.

٢١ ـ كل دائرة أو وظيفة أو مساحة حصل فيها اختلاط بين الجنسين فهي مساحة سُفكتْ فيها دماء الفضيلة، وأُريق فيها دم الحياء ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٢ ـ تعرّف على الله تعالى في الرخاء يعرفك في الشدة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٣ ـ إذا أقبلت إلى الله تعالى صادقاً هيأ لك أسباب التوفيق، وحرسك من الخذلان ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٤ ـ الصدق والإخلاص هو الطريق إلى النجاة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٥ ـ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ دعوة لبناء هذا المعنى الكبير الذي يقف عارضاً دون النكبات.

٢٦ ـ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وقف سدّاً منيعاً أمام أكثر الشهوات إغراءً.

٢٧ ـ فرق كبير بين إنسان يؤدي صورة العبادة، وآخر يهب لها روحه وقلبه ومشاعره وكل شيء من وجدانه ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

٢٨ ـ تعرّف على هذا العمل الكبير ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وابدأ رحلتك معه تلقى مناك في الدارين.

٢٩ ـ لولا هذا المعنى ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ لما تصورت هذه النهاية ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾.

٣٠ ـ الهروب من أماكن الفتن ترفُّعٌ عن وحل الشهوات ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾.

٣١ ـ يشتكي أنه أضاع إيمانه بعد صلابة جذره قائلاً: ترخصت في الصور، وجعلت عيني مشرعة على النساء، وألقيت بقلبي في هموم الشهوات حتى خرب، بخلاف هذا الكبير الذي هرع إلى النجاة وولّى هارباً عن مواضع الفتن ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾.

٣٢ ـ كان أحدهم لا يسافر وحده، وإذا اضطر وضع لنفسه نظاماً لا يفتح شيئاً مغلقاً حتى يعود ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾.

٣٣ ـ الذين وقعوا في الحرام غالباً هم الذين تفسحوا في ساعات الفراغ ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾.

٣٤ ـ حين اكتشف زوجها مطاردتها ألقت بالتهم على كاهل الغريب دون حياء ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

٣٥ ـ لا تستغرب هذا الذكاء ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ فالمرأة تدير أكبر من ذلك الشأن.

٣٦ ـ مشكلة بعض الرجال لا يحضرون مشاهد الفوضى من نسائهم إلَّا متأخرين ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٣٧ ـ الإجابات المُعلَّبة تصلح لمثل هذا النوع من الرجال ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أدركت أنه لن يخرج لحل ثالث فجعلته بين اختيارين.

٣٨ ـ العزة بالحق، والصدق في القول، ونفي التهم عن النفس: ضرورة مهما كان موقف الإنسان في ذلك الوقت ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ قال ذلك وهو مجرد أجير عند ملك.

٣٩ ـ من جمال الحقيقة أن شهودها لا يحتاجون إلى عناء ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٤٠ ـ الصدق يتكفل بمشاهد النهاية ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ جاء بشاهدٍ من أهلها ونطق بالحقائق.

٤١ ـ البيوت المفتوحة لا تضيرها عثرات الأعراض ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ عرف أن امرأته هي التي أدارت الحكاية، ولم يزد على أن قال لها: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾.

٤٢ ـ يغيب أشهراً عن البيت والسائق هو الذي يدير كل شيء ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ وتريده أن يستاء لمثل هذه المشاهد.

٤٣ ـ الثقة العمياء لا تبقي للأعراض شيئاً مستوراً ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٤٤ ـ إذا كثر الإمساس بطل الإحساس ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٤٥ ـ المجتمعات المفتوحة لا تبالي بما يصيب بيوتها من الإهمال ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

٤٦ ـ إذا هتك العبد ستر الله هتك الله تعالى ستره في العالمين ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ من مراودة بين جدران قصر إلى حدث تتناقله أوساط المدينة!

٤٧ ـ من لم يقم بحقوق الله تعالى هان في أعين المخلوقين ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

٤٨ ـ النساء إلى سماع هذه الأخبار بشوق ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

٤٩ ـ مكر النساء عجيب ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا﴾ امرأة العزيز وليست أي امرأة، وزوجها عزيز مصر، ومن تراوده مملوك، وهو فتاها، وهي التي تدير شأن المراودة، وقد بلغ عشقها منتهاه، وفي الختام ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لم يبقوا لها موطئاً تطأ عليه، ولا نافذة تجد منها عذراً في العالمين!

٥٠ ـ تفقد نفسك وبيتك في كل حين، فكم من خبرٍ عنك لا تعرفه! وفي بيتك أسرار يعرفها الآخرون قبلك ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾.

٥١ ـ إذا أردت خبراً فانتظره من امرأة ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾ مؤلم أن يكون ذلك هو هاجس كثيرات!

٥٢ ـ إياك أن تحوم حول حوادث البيوت والأعراض فتلك صناعة النساء الفارغات ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾.

٥٣ ـ في مثل زمانك لا فرق بين رجال ونسوة المدينة في شيء، تجدهم في مجالسهم يأكلون لحوم الخلائق، ويقذفون أعراض المسلمين في كل لقاء ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾.

٥٤ ـ إذا رأيت رجلاً مشغولاً بحوادث النساء ومشكلات البيوت وهيشات الأحوال فهو ذَكَرٌ في مسلاخ امرأة ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾.

❀ ❀ ❀

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ بإنكارهنَّ عليها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ يأتين إليها ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ جهَّزت لهن مكاناً للجلوس ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ أعطت كل واحدة من الحاضرات سكيناً لقطع ما في أيديهن من طعام ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ على النساء ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ﴾ بجماله الذي خلقه الله تعالى عليه ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظمنه لجماله ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً لله تعالى ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أي إن يوسف ليس ببشر من الناس ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ ملك من الملائكة الكرام.

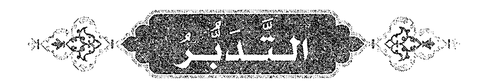
• ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ هذا هو الفتى الذي عيَّرتنَّني بحبه ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ حاولتُ إغراءه ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ورفض ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ من فعل الفاحشة ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ليودعنَّ في السجن ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ وليكوننَّ ذليلاً حقيراً.

• ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ﴾ سجني ﴿أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ من الفاحشة ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ﴾ محاولتهن في ذلك ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أميل إليهنَّ، وأوافقهنَّ فيما يردن ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ممن يعمل عمل الجاهلين ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ بتوفيقه وهدايته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلام القائلين ودعاء الداعين ﴿الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ بأحوال الملتجئين.

• ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ للعزيز ومن معه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْءَايَٰتِ﴾ الدالة على براءته ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ إلى زمن معين رغبة في ذهاب أثر الخبر ونسيان القصة.

• ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ شـابان ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ رأى رؤيا وقصها على يوسـف ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾ بتفسـير الرؤيا وما تـؤول إليه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ من أهل الإحسان مع الله تعالى ومع خلقه.

• ﴿ قَالَ ﴾ يوسف: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ لا يأتيكما طعام إلى السجن إلَّا أخبرتكم به قبل أن يجيء إليكم، وقيل: لا يأتيكما طعام في المنام ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ هذا العلم ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ ليس من عندي، وإنما هو من فضـل الله عليَّ وتعليمه لـي، وليس من أمر الكهانة في شيء، وسـبب ذلك ﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾ هجرت ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ ديانة قوم ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ لا يقرون بالبعث ولا يؤمنون بالله تعالى.



التَّدَبُّرُ

١ ـ إذا أردت أن تعرف صقالة عقول النسـاء فانظر لهذه الجموع اللاتي يمشين لبيت العزيز ليرين فتاها الذي ولهت به ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٢ ـ جزء من الحضارة المنكوسـة هذه المشاهد الجماعية الرذيلة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٣ ـ حين تخرج المرأة من بيتها، ولا تجد سائلاً، تفتح الرذيلة ذراعيها على مصراعيها ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٤ ـ خروج جزء من النساء للأسواق والمطاعم ولساعات طويلة، ولقصور الأفراح وللبيوت ولساعات طويلة، يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ خروج نسوة المدينة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٥ ـ غاية هذا الاجتماع النسائي إعذار امرأة العزيز والتصفيق لها على مشهد الشهوة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ يا لحقارة الشهوات!

٦ ـ وإني لأخشى بعد زمن أن تكون جزء من اجتماعات النساء على البرامج الفضائية هي من باب اجتماعات نسوة يوسف ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٧ ـ في مرات كثيرة لا ترى المرأة من الرجل إلَّا صورته، وتتفاجأ في النهاية بكل شيء ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ فكيف بصوره وأحواله اليومية في وسائل التواصل الاجتماعي، ويتم التواصل بأسرع الطرق وأبسطها.

٨ ـ حين يتحوّل المنكر إلى مشهد فرح ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

٩ ـ إذا نوزعت المرأة على رغبتها في رجل دفعت كل شـيء من أجل الوصول ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٠ ـ في حـادث الرذيلة الأولى إذا لم يؤخذ على أيـدي العابثين وإلَّا بات عرفاً لا يستخفى به عن العالمين ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١١ ـ حين تكون الرذيلة مصدر فخر وعز عند المرأة ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٢ ـ أول خطوة في الرذيلة كافية بمواقعة الفاحشة في النهاية ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ عُذْنَ كلهن يصفقن على مشهد المحاولة ويعذرنها عن طلب الفاحشة!

١٣ ـ القلوب المحبة لا تقول عن محبوبها إلَّا ما يزين حتى وإن عصاها وخالفها في الهوى ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٤ ـ حين يغيب الرجال عـن البيوت تدير المرأة شـأن بيتها بالفوضى ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٥ ـ الأصل أن البيوت التي لا قوامة للرجل فيها يتهادى إليها الانحلال من نوافذ كثيرة ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

١٦ ـ جرت العادة أن كل ممنوع متمنِّع عن صاحبه مرغوب متبوع ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

١٧ ـ النفوس الكبيرة تتفوَّق على الفواحش باستعلاء! ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٨ ـ حين تبلغ الطهـارة مداها في قلب إنسـان ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ فداحـة السجون تتفوَّق في حسِّه على دنس الشهوات!

١٩ ـ إشاعة العجز بين يدي ربك وسيلة للارتقاء ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٠ ـ الكبار يحسـنون اللجوء إلى ربهم وقت المحن والأزمات ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢١ ـ من نحن لولا الله؟! ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٢ ـ إذا ترك الإنسان شـيئاً لله عوّضه الله تعالى خيراً منه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٣ ـ من وعي الإنسان بدينه أنه إذا خُيِّر بين معصية وعقوبة دنيوية عاجلة اختار العقوبة على المعصيـة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٤ ـ الألم المترتب على مخالفة الشهوات أخفُّ وأسهل من الألم المترتب على موافقتها ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٥ ـ الابتلاء سنة في حياة المصلحين ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢٦ ـ جرت العادة ألا يُمَكَّنَ الصالح حتى يُبتلى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢٧ ـ لا تعجل بحساب العوائد من أي المواقف ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ قد يقول الناظر من أول وهلة: ما له وللسجن! لو أطاع، وتأتي العوائد في النهاية بما يريد.

٢٨ ـ فرق بين سجن صاحب الشهوات وسجن صاحب الرايات ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢٩ ـ المهم ألا تكون مسجوناً في شهوات عارضة، وما عدا ذلك فأمره يسير ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٣٠ ـ كم في السجون من أشباه يوسف على مرِّ الزمان! ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٣١ ـ جرت العادة ألَّا يسجن إلَّا من استعلى على واقعه في شيء ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٣٢ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً قيَّض له أسبابه ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ لتجري أحداث الخروج بعد ذلك على إثر رؤيا هذين.

٣٣ ـ لا يقبل الناس في العادة إلَّا من يملك رصيداً من العلم والمعرفة ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾.

٣٤ ـ الذين يملكون المعرفة يقودون العالم ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾.

٣٥ ـ مَنْ يوسف بعد الإيمان والتقوى لولا سراج العلم والمعرفة؟! ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾.

٣٦ ـ ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ سيما الصالحين لا يمكن أن تغيب على الناس ولو بعد حين.

٣٧ ـ من أقبل على ربه صادقاً أقبل الله عليه بقلوب الخلائق ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ ﴾.

٣٨ ـ العلم يملأ ساحة السائلين، ويروي عطش المحتاجين ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ﴾.

٣٩ ـ كل نعمة أصابها إنسان فإنما هي منَّة الله تعالى عليه ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ﴾.

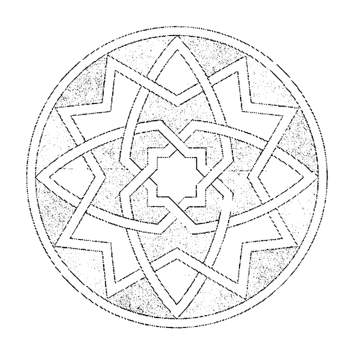
٤٠ ـ إذا خلَتِ القلوب من الكبر عرفت منِ أين يأتي التوفيق ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٤١ ـ مخالفة العوائد مؤذنة ببلوغ نهايات الشرف ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٤٢ ـ من أراد ما عند الله تعالى صادقاً أوفاه الله تعالى ما يريد ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٤٣ ـ الاستعلاء على واقعك سبب للتوفيق في حياتك ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀



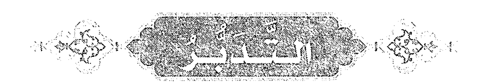
وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ
أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ
ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن
رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ
أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

التفسير

- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ سرت على ما ساروا عليه من إيمان بالله تعالى ﴿مَا كَانَ لَنَا﴾ ما ينبغي ولا يليق ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ﴾ هدايتنا للإسلام ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ من توفيقه وهدايته ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ وكذلك توفيقه للناس أن هداهم للحق وأرشدهم للإسلام ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾ لا يشكرون الله تعالى على هذه النعم.
- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ﴾ أيهما أفضل: الأرباب المتفرقة العاجزة الضعيفة أم الله تعالى ﴿الْوَاحِدُ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿الْقَهَّارُ (٣٩)﴾ لكل شيء؟!
- ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله تعالى ﴿إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ ليست حقيقة أنها آلهة، وإنما أنتم الذين افترضتم لها هذه الأسماء ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ لا دليل عليها ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ لا شريك لأحد في ذلك ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ لا يشرك به في عبادته أحد من الخلق ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم الثابت ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ مراد الله تعالى من خلقه.
- ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ وهو الذي رأى أنه يعصر الخمر ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ يخرج من السجن، ثم يسقي سيده الذي يخدمه خمراً ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ وهو الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ فعبَّر عن الخبز الذي تأكله الطير بلحم رأسه، وأنه لا يقبر ويستر عن الطيور بل يصلب، ويكون في محل تتمكن الطيور من أكله ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)﴾ انتهى ما تستفتيان فيه.

• ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ أي الأول ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ اذكر له شأني وقصتي لعله يخرجني من السجن ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ خرج من السجن، ونسي أن يذكر للملك حال يوسف ﴿فَلَبِثَ﴾ يوسف ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾ من الثلاث إلى تسع.

• ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ رأى رؤيا وطلب من يقصها عليه: ﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ العجاف تأكل السمان ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ ورأيت سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ خاطب قومه ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ عبّروها لي ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)﴾ إن كنتم تحسنون التعبير.



١ ـ الهداية فضل من الله تعالى على من شاء من عباده ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾.

٢ ـ البيوت الصالحة تتوارث الهداية ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾.

٣ ـ من عرف لله تعالى حقه حال بينه وبين هيشات السفهاء والمشركين ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾.

٤ ـ من الشرك بالله تعالى التعلُّق بالمخلوقين وخوفهم ورجائهم من دون الله تعالى ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾.

٥ ـ في مواطن السجون والمحن والفتن والأزمات تظهر عقائد المخلوقين ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾.

٦ ـ كم من إنسان رأيته متصلِّباً خارج سجنه، وإذا وقع في ظلام السجن تلاشت العقيدة من حياته ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾.

٧ ـ المشكلة التي تواجه كثيرين بعد النعم أنهم لا يشكرون ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٨ ـ قلة هم الذين فتح الله تعالى عليهم توفيقه وعادوا له شاكرين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٩ ـ استثمار الفرص وعي ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠﴾.

١٠ ـ الداعية الفطن يعرف أين يضع دعوته ومتى وكيف ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠﴾.

١١ ـ الدعوة فن ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ الطريق الأوسع إلى رحاب القلوب!

١٢ ـ من فقه المسؤول أن يعين السائل على الخروج من مشكلته من أصلها، ولا يتوقف على إجابة إشكاله فحسب ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾.

١٣ ـ إصلاح القلوب أولى وأحرى من إصلاح المشكلات العارضة ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾.

١٤ ـ الدعوة فن، حين أوصل رسالة العقيدة إليهما أفاض عليهما ببشائر العلم ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ ﴾.

١٥ ـ من توفيق الله تعالى الكبير لطالب العلم أن يهبه فقهاً وأسلوباً في إدارة مشروعه ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ ﴾.

١٦ ـ من كمال العلم والفقه الأخذ بالأسباب ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢ ﴾.

١٧ ـ من وعي الإنسان استثمار الفرص العارضة ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢ ﴾.

١٨ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً وقضى شيئاً أجراه على صاحبه ولو بذل كل شيء ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ رغم الأسباب التي دفعها يوسف، واستثمار الفرص، أنسى الله تعالى ذلك الرسول ليجري قدره كما يشاء.

١٩ ـ الفأل واليقين وعدم العجز واليأس تُمكِّن صاحبها من العمل بوعي ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٠ ـ هذا الاستثمار الذي يصنعه يوسف في السجن دليل على أن الأمل لم يتخلّف عنه لحظة ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢١ ـ من فقه الإنسان وتوفيقه أن يستثمر المكان الذي دخله؛ لأنه قد لا يعود إليه مرة أخرى ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٢ ـ أسوأ ما يواجه أصحاب السجون اليأس الذي يأخذ حظه من القلوب فلا يمكنها من شيء ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٣ ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فن وقدرة على استثمار الفرص في أضيق الأمكنة والمساحات.

٢٤ ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ رسالة لأرباب السجون ألا ينشغلوا عن حقوق المسجونين.

٢٥ ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ تذكير بألّا تضيع حقوق السجناء في أدراج مكاتب العاملين.

٢٦ ـ أكثر المسجونين خرجوا بعد زيادة مدة محكومياتهم لحاجة المسؤول لهذه الذكرى ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٢٧ ـ من فضل الله تعالى عليك أن تجد أهلاً وخلاناً يسألون عنك، ويطالبون بخروجك من ضيق تلك المساحات ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أدرك أنه لا سائل وراءه، فجهد في إدراك ذلك بنفسه.

٢٨ ـ على المصلحين أن يتولوا شأن إخوانهم في السجون، ويبذلوا وسعهم في ذلك، ويرعوا حقوق إخوانهم من خلفهم في رعاية أسرهم والاهتمام بأبنائهم

حتى يأتي الله تعالى بالفرج ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٢٩ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً هيأ له أسبابه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أجرى الله تعالى هذه الرؤيا التي تحققت بها مصالح كثيرة للبلاد، وعولجت بها أزمة الجفاف والأيام العجاف على يد ملك لا يؤمن بالله تعالى، ومن ذلك أن الله تعالى أجرى هذه الرؤيا ليعبرها يوسف، وليخرج من سجنه، وليتبوَّأ ملكاً جديداً وعزاً وشرفاً في دولة العزيز.

٣٠ ـ من الضرورة أن يكون لكل إنسان صاحب أو قريب أو محب، يدفع إليه ببعض همومه، ويسليه في حزنه وأيام المحن في حياته ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٣١ ـ الرؤيا الصالحة ليست وقفاً على الصالحين فحسب، وإنما قد يراها غير الصالح، وينفع الله تعالى بها العباد ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٣٢ ـ حاجة الحكام والولاة والكبار إلى حاشية صالحة تبسط له الحقائق، وتيسر له الطريق، وتعينه على بلوغ أمانيه، وتتولى تبصيره فيما ينفعه ويعينه ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

التفسير

- ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾ هذه أحـــلامٌ لا تأويل لها ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾ لسنا ممن يؤوِّل الأحلام.

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾ خرج من السجن ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ تذكَّر بعد زمن: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ أخبركم بتفســير ذلك ﴿فَأَرۡسِلُونِ ٤٥﴾ ابعثوني لتأويل ذلك.

- ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦﴾ تأويــل هذه الرؤيا.

- ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ متوالية متتابعة ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ﴾ من هذه السنين ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ اتركوه في سنبله؛ لأنه أبقى له، وأبعد عن الالتفات إليـــه ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧﴾ إلَّا ما تريدون منه للأكل، فاســتعملوه وليكن قليلاً.

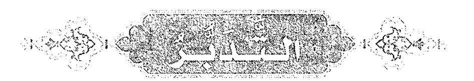
- ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ بعد تلك السنين المخصبات ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ مجدبات جداً ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ يأكلن جميع ما ادخرتم ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨﴾ تحبسون من الحب.

- ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد السنين الشداد ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ تزداد النعمة وتفيـــض الخيرات ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾ يعصرون الأشـــياء التي تعصر كالعنب والسمسم ونحوها.

• ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ بيوسف بعد أن سمع تأويل الرؤيا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ فلما قدم الرسول إلى يوسف ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى سيدك ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ اسأله ما شأنهن وما قصتهن ﴿إِنَّ رَبِّى﴾ سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ يعلم مكرهن وكيدهن وما أردن من ذلك.

• ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ما قصتكن وشأنكن ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ معاذ الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ مما يسوء ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ ظهر وبان ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ولم يكن له من ذلك شيء ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ فيما قال: إنني أنا راودته.

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ قلت هذا ﴿لِيَعْلَمَ﴾ يوسف ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ لم أخنه في حال سجنه وغيابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ لا ينفذه ولا يسدده.



١ ـ من دفع بأمانيه في غير موضعها لم ينل ما تمناه ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

٢ ـ قضاياك الكبرى لا ترمِ بها على أسماع الجهلاء، احفظها حتى تلقى من يحتفي بها، ويعينك على بلوغ أمانيها ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

٣ ـ الجهل يبسط واقعه في حياة صاحبه إلى أبعد مستوى ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ كان يكفيهم أن يعتذروا لجهلهم أو يسألوا أصحاب الشأن، فإذا بهم يتولون تصنيفها ويسمونها بأضغاث أحلام فحسب!

٤ ـ إذا رأيت من يقفز لكل مسألة، ويبادر للفتيا في أي شيء، ويشارك في غير فنه ومجاله؛ فذاك جاهل لا يفقه شيئاً ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

٥ ـ لا أعلم! أدب وكمال عقل ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

٦ ـ الجهل يلقي بسوء الأدب دون تورُّع ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ حاكم يسأل وجاهل لا يتورَّع أن يقول له: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾.

٧ ـ للصحبة زمن تؤتي ثمارها فيه، وإن طالت أيام ربيعها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

٨ ـ انشر علمك، ولا تتوانَ عن بذله، واترك للزمن أيام فرحه وعزه وأثره ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

٩ ـ لا تستهِنْ بأحد ممن حولك! فكم جاءت البشرى على يديه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ لم ينفع الملك من تلك الحاشية سوى الساقي!

١٠ ـ لله تعالى حكم كثيرة في تأخير الفرج وأيام الربيع في حياة كثيرين ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

١١ ـ كن شريكاً في مد مساحة الربيع في واقعك بما تستطيع ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

١٢ ـ لا تحتقر ما لديك وإنْ كان مجرد دلالة على خير ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

١٣ ـ كم من منسّق في مكتب دعـوة أو جهة خير وبر جلـب لواقعه الخيرات! ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

١٤ ـ امتلك فكرة، وتميّز في مشروع، وسيأتيك الناس أسراباً يتهادون لضوء العلم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

١٥ ـ الكبار يتفوقون على حظوظ النفوس، ويستعلون على شهواتها العاجلة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ عبّر له رؤياه، ولم يسـأله أو يذكّره ما صنع في وصيته التي عهد بها إليه قبل خروجه من السجن!

١٦ ـ فن صناعة المواقف: في ظلام السجون يبذل علمه ويفسّر الرؤيا، ولم يطلب مقابلاً لتعبيـره، ولا طلب فكاكـه من السـجن ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٧ ـ العزة تأبـى أن تأخذ مقابـل العطاء شـيئاً ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٨ ـ الادخار كمال وعي ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

١٩ ـ الادخار، وتأجيل الرغبات أعظم وصيتيـــن في ترتيب وضعك المالي ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝٤٧﴾.

٢٠ ـ أيام القحط مخلوفة بمســاحات الربيــع ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾.

٢١ ـ ما من عسر إلَّا وهو مخلوف بيسرين ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾.

٢٢ ـ أيام العناء تعلّم صاحبها رباطة الجأش والصبر والأناة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾.

٢٣ ـ استثمار الفرص ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ لما بعث إليه الملك يطلبه استثمر ذلك في دفع التهمة عنه.

٢٤ ـ دفع الإنســان التهم العالقة به ضرورة عقلية وشرعية ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾.

٢٥ ـ ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فن في رعاية المشــاعر، وإدارة المواقف، لم يذكر امرأة العزيز بشيء وعبّر بالنسوة وأحال قضيته على موقفهن معه في الختام.

٢٦ ـ النفوس الكبيرة لا يمكن أن تسترق بسهولة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾ يدعوه الملك للخروج فيرفض خروجاً بارداً مليئاً بالتهم والعثرات.

٢٧ ـ العناية بعوالق السمعة أولى من العناية بعوالق الجسد ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٢٨ ـ التوكل على الله تعالى يفرض أرواحاً فوق العادة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٢٩ ـ أصحاب الأحلام والأهداف الكبرى ورؤى الحياة العظيمة لا يستغرقون في اللحظات الحاضرة والظروف المحيطة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٣٠ ـ لا تنشغل بأمد الحقائق! تأتي ولو بعد حين ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٣١ ـ النفوس المستعلية لا تقنط لحوادث الفتن ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ كان يمكن أن يقال: اقفلوا القضية ودعوها، ولا تنبشوا أمراً يخص ملكاً وزوجه، لكن النفوس الكبيرة تأبى الأحداث التي مبناها على الظنون.

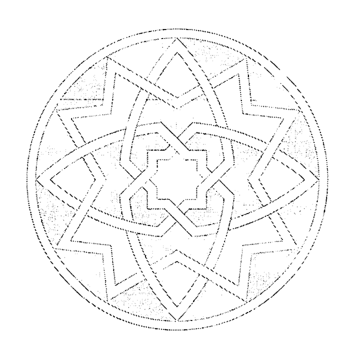
٣٢ ـ كن مع الله تعالى والزم طريق الصدق، وسيبعث الله تعالى لك شهوداً وأعواناً لم تخطر لك على بال ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ

مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٣٣ ـ امرأة العزيز تعترف بكل ما صنعت، ولا يصنع شيئاً، هكذا حين تدير النساء قصور الملوك ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٣٤ ـ لا تتفاجأ بشيء! غالب النساء إذا أدارت أمر زوجها وبيتها صنعت له العجائب ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.





۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ
أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ
لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا
لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ
يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا
رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ
مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

التفسير

- ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾ من مراودة يوسف ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ لكل قبيح ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ فعصمه من ذلك ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ ﴾ لكل ذنب ﴿ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ بكل إنسان.
- ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ ﴾ أجعله لخاصة نفسي، لا يشاركني فيه أحد ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ ﴾ لما كلم يوسف الملك أُعجب بكلامه ﴿ قَالَ ﴾ الملك ﴿ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا ﴾ عندنا ﴿ مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ ﴾ متمكن أمين على الأسرار.
- ﴿ قَالَ ﴾ يوسف ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ مسؤولاً على ما يخرج من الأرض ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ ﴾ على ما أتولاه ﴿ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ ﴾ بتدبيره وتصريفه.
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ بهذه الأسباب ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ جعلنا له مكانة عالية حتى صار الملك يصدر عن رأيه ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ ﴾ ينزل منها حيث أراد ﴿ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ ﴾ من الخلق ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ بل نؤتي كل محسن في الدنيا أجره وافياً.
- ﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ ﴾ أفضل وأحسن ﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالله تعالى ﴿ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يجعلون بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.
- ﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ ﴾ أنهم إخوته ﴿ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ لم يعرفوه.
- ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ ﴾ أكمل لهم ما يريدون ﴿ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ ﴾ يقصد بنيامين، وذلك بعد أن سألهم، وعرف حالهم، قال لهم

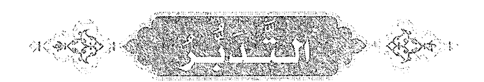
ذلك ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ وقد أحسنت معكم وأكرمتكم بوفاء المكيال ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾ وأنا خير من عُنِيَ بنزولكم وضيافتكم.

• ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ لن أعطيكم شيئاً من طلبكم ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠﴾ لا تأتون مطلقاً.

• ﴿قَالُواْ﴾ إخوة يوسف ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنحاول إقناع أبيه في مرافقته لنا ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١﴾ ما تأمرنا به.

• ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾ العاملين معه ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ الأثمان التي دفعوها في مقابل الشراء ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ في أمتعتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ أي يعرفوا الأثمان التي دفعوها أنها عادت إليهم ولم نأخذها منهم ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٦٢﴾ يعودون ويأتون بأخيهم.

• ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ في المرة القادمة ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٦٣﴾ من أن يصيبه شيء.



١ ـ حين يقتاد العلم صاحبه من السجن إلى الملك ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾.

٢ ـ من أقام الله تعالى في قلبه أقامه الله تعالى في قلوب العالمين ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾.

٣ ـ استثمار الفرص ومبادرتها فقه بالواقع ووعي بالنفس ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾.

٤ ـ ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾ رسالة لأصحاب الورع البارد في كل زمان ومكان.

٥ ـ ثغور كثيرة جداً مفتوحة في الأمة، وقد يتسلل منها العدو، ولا تزال تبحث عن مبادرين لملئها ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

٦ ـ أسوأ شيء في واقع إنسان حين لا يرى نفسه أهلاً لحمل راية أو سد ثغر! ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

٧ ـ ما أحوج الأمة اليوم إلى حُماة الثغور ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

٨ ـ معرفة الإنسان لقدراته وإمكاناته ومهاراته فن يبلغ به آماله، ويكتب من خلالها حظوظه ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

٩ ـ حين تتحوّل الفرص العارضة إلى إمكانات ضخمة لصالح الأمة ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

١٠ ـ كم من مبادرة أدارت رحى الحياة ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

١١ ـ لا حرج في الإخبار عن النفس لمصلحة أو ضرورة، وليس ذلك من التزكية في شيء ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

١٢ ـ المؤهلون يصنعون فارقاً في واقعهم ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) ﴾.

١٣ ـ التمكين نتيجة طبيعية للنجاح في الابتلاء ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾.

١٤ ـ من قعر الجب الضيق إلى ملك مصر ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ هكذا هي الحياة! ويقول الشاعر:

وبالجـد تخـوض البحـ ـــر إن شـئت بـلا فُلْـكِ
بـه سـار ابـن يعقـوب مـن الجـب إلـى الملـكِ

١٥ ـ إذا أراد الله تعالى بعبده شأناً أجرى عليه السنن ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

١٦ ـ من كمال عقلك ووعيك أن تبحث جاهداً كيف تبلغ هذا الطريق ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ﴾.

١٧ ـ ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ رسالة لأولئك الذين يهبون للناس من جميلهم وإحسانهم ولا يرجون منهم جزاءً ولا شكوراً.

١٨ ـ كم بين هذا الدخول من إخوة يوسف على يوسف عزيز مصر ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ واللحظة التي دلّوه فيها في البئر! وكل آت فهو قريب. ما أحوجنا للصبر!

١٩ ـ ثمة قضايا لا يصلح فيها تفويض الأمور ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ مارس العزيـز إدارة العمل إما لأنه في بدايته ويحتاج إلى عناية خاصة حتى يستوثق من الواقع، أو لأن مثل هذه المسؤوليات من الضرورة مباشرتها، ولا يصلح فيها التفويض.

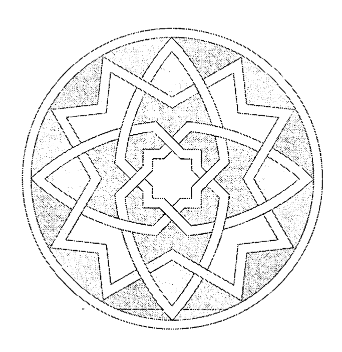
٢٠ ـ من فقه الآمر والراعي ومن يدير شأناً في واقعه أن ينوّع أساليبه بين الترغيب

والترهيب ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾.

٢١ ـ الأحداث وقف على أسبابها ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾.

٢٢ ـ إدارة العمل فن ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أرجع بضاعتهم في رحالهم ليعجّل بعودتهم إليه مرة أخرى.

❀ ❀ ❀



قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

التفسير

• ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ هل أستأمنكم عليه ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ لا أحفظ منه لعباده ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ خير وأفضل من رحم.

• ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ الذي جاؤوا به من مصر ﴿وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ الأثمان ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ ماذا نطلب من الإكرام أفضل من هذا ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ فلم نخسر شيئاً ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نجلب لهم الميرة وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ فلا يضيع منا ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ حمل بعير؛ وهو ما يأخذه بنيامين ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ كيل بنيامين لن يكون شاقاً على الملك أن يعطينا.

• ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عهداً ألا يضيع منكم ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ بابنه بنيامين ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأمر لا تستطيعون دفعه عنكم ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ عاهدوه على ذلك ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ حسيب ورقيب.

• ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ خوفاً عليهم من العين ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أنني أرشدكم إلى الأسباب، والأمر بيد الله تعالى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فالملك ملكه والتصرف في الكون له وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ فليعتمد المعتمدون.

• ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ من أبواب متفرقة ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ لم يكن يدفع عنهم قدر الله تعالى ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي

نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ وهي شفقته عليهم ورحمته بهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ من التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ حكم الله تعالى ومراده في الكون.

• ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ ضمَّه إليه وقرَّبه منه ﴿قَالَ﴾ يوسف لبنيامين: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ يوسف ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ فلا تحزن على ما يفعلون.



١ ـ من كمال عقلك أن تدلي بالحجج الكافية لبلوغ عذرك ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

٢ ـ الأصل ألا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٣ ـ من أراد شيئاً بلغه ولو بعد زمن من الإلحاح والمطالبة ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

٤ ـ الإقناع فن ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

٥ ـ إذا كنت صادقاً في الطلب ومقتنعــاً به بلغت مناك ولو بعد حين ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

٦ ـ صدق توكل الكبار وحسن رجائهم في الله تعالى ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾.

٧ ـ من كمال وعي الإنسان أن يرعى مصالحه من أن يتطرق إليها ما يشين ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

٨ ـ من كمال توكل الإنســان أن يفعل الأســباب الداعية إلى وقايته من أسباب العطب والهلاك ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

٩ ـ العين حق، ومن كمال فقهك ألا تعرّض نعمك لعيون الحاسدين ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

١٠ ـ بذل الأسباب مطلب على أن يقوم في قلبك أن لله تعالى الأمر من قبل ومن بعد ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

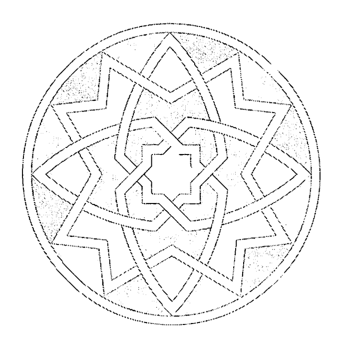
١١ ـ من وعي الإنســان وكمال فقهه إعداد العدة وترتيب الخطــة الكافية لبلوغ المقصــد ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا

تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أبلغ أخاه مباشرة عن خطته حتى يتم نجاحها فيما بعد.

١٢ ـ لن ينجي حذر من قدر ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ رغم كل ما صنعه يعقوب أجرى الله تعالى قدره كما يشاء.

١٣ ـ قدر الله تعالى ألطف وأقر لعين الإنسان من تقديره لذاته ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أراد يعقوب أن يعود إليه بنيامين، وأخذ كافة الأسباب الكفيلة لعودته؛ وأراد الله تعالى أن يعيد إليه كلا الأخوين.

❀ ❀ ❀



فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أعطاهم طعامهم ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ صواع الملك الذي يشرب فيه ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ متاع بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ يا أصحاب العير ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ بأخذكم صواع الملك في رحالكم.

• ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾ إخوة يوسف ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١﴾ ما الذي ضاع منكم؟!

• ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾ وجده ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ۝٧٢﴾ ضمين وكافل على ذلك.

• ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالسرقة ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ۝٧٣﴾ ليس من عادتنا السرقة.

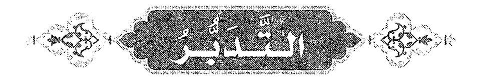
• ﴿قَالُوا۟﴾ أصحاب الملك: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ۝٧٤﴾ ما جزاء من كان في رحله ﴿قَالُوا۟﴾ إخوة يوسف: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أن يؤخذ صاحب الرحل ومتاعه ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٥﴾ من سرق منا هذا جزاؤه.

• ﴿فَبَدَأَ﴾ من يبحث عن الصواع ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ حتى لا يلاحظ أن الأمر مدبّر ومرتّب ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ وجدها في متاع بنيامين ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ يسّرنا له هذا الكيد ورتبناه له ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ في شريعته التي يسير عليها، فإن شريعة ملك مصر لا تجيز أن يسترقَّ السارق سنة فيبقيه عنده، وإنما

كانت شـريعته تقضي بالضرب والتغريم، ولذلك أخذ يوسف بحكم السارق في شـريعة يعقوب، وهذا كله من تدبير الله تعالى له ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أمراً فيدبر له من الأسباب ما يريد ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ وهذا كله ينتهي إلى علم الله تعالى.

• ﴿قَالُوٓاْ﴾ إخوة يوسف: ﴿إِن يَسۡرِقۡ﴾ بنيامين ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ يقصدون يوسف ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾ كتم ما سمعه من أذى ﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ منزلاً وموضعاً بهذا القذف ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ من الباطل.

• ﴿قَالُواْ﴾ إخوة يوسـف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ في سـنه ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ﴾ بدلاً عنـه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾ مع الناس عموماً ومعنا على سبيل الخصوص.



١ ـ الحيل المفضيـة إلى مقصد صحيح مشـروعة ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ

قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.

٢ ـ كم من كلمة قالت لصاحبها: دعني! ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

٣ ـ من كمال وعي الإنسان عنايته بكلمته وألا يصيب بها غافلاً في الطريق دون دليل ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

٤ ـ اللحظات المفجعة مفضية لوقائع اللســان في غير طريق ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

٥ ـ إذا رُزق الإنسان الحلم والصبر فقد رزق كل شيء ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

٦ ـ التلطُّف بعرض ظروفك قبل سؤالك أدب وجمال ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ نادوه بالعزيز، وذكروا حال أبيه، وعرضوا بديلاً للموقف، ووصفوه بالإحسان.

❀ ❀ ❀

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ أي بنيامين ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ لو أخذنا أحداً مكانه.

- ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾ يئسوا من أخذ أخيهم ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾ اجتمعوا وحدهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ أكبر إخوة يوسف: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في حفظ بنيامين ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَ﴾ فلم تحفظوا عهد أبيكم فيه ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ لن أزول من هذه الأرض ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ بالعودة ﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ فأعود مع أخي ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠﴾ أحسنهم وأفضلهم حكماً.

- ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ﴾ بنيامين ﴿سَرَقَ﴾ صواع الملك ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ حين أخرجوا صواع الملك من متاعه ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾ ما كنا نعلم أنه سيأخذ الصواع وإلّا لما أعطيناك مواثيقنا.

- ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أهل القرية ﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَا﴾ أصحاب القوافل الذين كانوا معنا ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾ فيما نقول لك.

- ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾ زينت لكم أمراً في بنيامين ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌ﴾ وهو كل صبر لا تسخُّط ولا جزع فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ يوسف وأخيه بنيامين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحالي في فقد أبنائي ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ في تدبير شؤون الخلق.

• ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أعرض عنهم ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ ذكّره حدث بنيامين بقصة يوسف فتأسف على فواته ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ من شدة الحزن ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) ﴾ ممتلئ من الحزن الشديد.

• ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ ﴾ ما تزال ﴿ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ تحنّ إليه وتشتاق لرؤيته ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ مشرفاً على الهلاك ﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ (٨٥) ﴾ بالكلية.

• ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي ﴾ أي همي ﴿ وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وحده فهو الذي يعلم حالتي ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾ في لطفه وإحسانه وإكرامه.

التَّدَبُّر

١ ـ ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ (٧٩) ﴾ أدب وتلطّف واعتذار بفن.

٢ ـ من كمال عقلك إذا بليت بأمر ألا تبحث عن حله على رؤوس الأشهاد ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٨٠) ﴾.

٣ ـ الأمور الكبيرة، والقرارات الخطيرة تحتاج إلى شورى تأخذ بها إلى الطريق الصحيح ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ

أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

٤ ـ لا بد أن يكون في المتشاورين مبادرون يتحملون تبعات الأحداث، ويتولون شأنها الكبير ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

٥ ـ ما جرى منك في سالف الدهر سيظل قريناً لك ما لم تمحه الأحداث ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ رغم صدقهم واعتذارهم الصحيح إلَّا أنه أوكلهم إلى ما حصل منهم في سابق الأمر.

٦ ـ ما لاذ إنسان وقت المحن والأزمات والظروف العارضة بمثل هذا الخلق الجميل إلَّا نال خيراً ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ وليس صبراً عارضاً، وإنما صبر جميل!

٧ ـ الكبار يحسنون اختيار الأبواب التي يلجونها في أوقات الأزمات ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾.

٨ ـ لم يبرح هذا الباب عند الفجيعة ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ففتح الله تعالى له من خلاله كل مقصود.

٩ ـ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ نوافذ الأمل تطل به على مساحات الربيع.

١٠ ـ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ رسالة للمكروبين والمجهدين والمتعبين، والذين ضاعت أحلامهم، أو وقعوا في جوانب من الأسى، ويحتاجون إلى فواتح الفرج.

١١ ـ الأمل في الله تعالى، وحسن الظن به، واللجوء إليه، والتضرع وقت الحاجة، وتعليق القلوب به كفيل بكل شيء ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

١٢ ـ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ دليل علم وفقه وعقل ووعي، فإذا كان الله تعالى عليماً حكيماً لم يبق لسؤال غيره محل.

١٣ ـ الحزن شعور طبيعي يأخذ حقه من قلوب المكلومين ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ المهم ألا يكون شعوراً ملازماً لصاحبه في كل حين.

١٤ ـ مهما بلغ إيمان الإنسان ومكانته إلَّا أن مشاعره تنداح بالشكوى في ساعة ألم الفراق والنجوى ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

١٥ ـ الإنسان مشاعر فياضة إذا صادفتها المواقف المجهدة درَّت بكل ما فيها ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

١٦ ـ الأحداث الجديدة تنكأ جراح الماضي الدفين ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

١٧ ـ كم من موقف أثار لواعج الشوق القديمة! ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

١٨ ـ يا أيها الأبناء! ارفقوا بآبائكم، فقد بلغ بهم الشوق إليكم مداه ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

١٩ ـ يا أيها الأبناء! تلمَّسوا دفء مشاعر آبائكم، وهبوا لهم من أوقاتكم، وكونوا بالقرب منهم لا تفجعوهم بكثرة الغياب والترحال ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

٢٠ ـ أحداث القلوب قد تفضي بأصحابها إلى إعاقات جسدية ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

٢١ ـ ما تراه في أجساد بعضهم ما هو إلَّا نتيجة لأحداث قلوبهم ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

٢٢ ـ القلوب التي لا تكلمها الأحداث لا تحسن التعبير في مواقفها ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٢٣ ـ الذين لم يجربوا لواعج الشوق على الأبناء لا يدركون مواقف الحزن التي تغتال قلوب الآباء ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٢٤ ـ إذا لم يأت لك ولد بعد فلا تحكم على مشاعر أب ووجدان أم ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٢٥ ـ من لم يقف موقفك، ولم يجرب قصتك، فلا يمكن أن يتخيَّل مشاعرك ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٢٦ ـ أسوأ لحظات عمرك ألا تجد صديقاً عند مصيبتك يعينك على حمل مشاعرك، وإنما تجد مثرِّباً ولائماً لك على بلواك ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٢٧ ـ من حسـنات الدنيا أن يهبك الله تعالى صديقاً تفضي إليه بمشـاعرك وقت الآلام ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

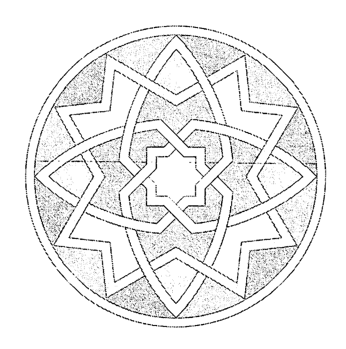
٢٨ ـ إذا دهمتك الحوادث فشـدَّ مشـاعر قلبك إلـى الله ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

٢٩ ـ ماذا لو فقهنا هذا المعنى ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ وأدرنا شأنه في مصائبنا بعمق!

٣٠ ـ مشكلة العالم كله أنه لا يفقه هذا المعنى وقت مصيبته ومشكلته وأزمته ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

٣١ ـ من توفَّق لهذا المعنى ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ وقت ألمه أفضى به إلى كل شيء.





يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

التفسير

- ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ استقصوا خبرهما ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ لا تقطعوا رجاءكم فيه ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ ﴾ لا يقنط وينقطع رجاءه ﴿ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ رحمة الله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الجاحدون لنعم الله تعالى.

- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ ﴾ عادوا إلى يوسف ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ القحط والجدب ﴿ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ ﴾ ثمن رديء قليل ﴿ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ ﴾ أتمه ﴿ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ ﴾ بفضلك وإحسانك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يوفيهم أجر صدقتهم.

- ﴿ قَالَ ﴾ يوسف: ﴿ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ ﴾ من إلقائه في الجب ﴿ وَأَخِيهِ ﴾ بنيامين وذلك بما أدخلوه عليه من الغم بسبب ما فعلوا بأخيه يوسف، وقيل: ما فعلوه ببنيامين هو لمزه بالسرقة ﴿ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ وقت جهلكم بكبير ما فعلتم.

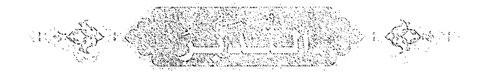
- ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ عرفوه ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ﴾ بنيامين ﴿ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ ﴾ بالإيمان والتقوى والتمكين في الأرض ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ ﴾ يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿ وَيَصۡبِرۡ ﴾ على ما يصيبه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الذين أحسنوا مع الله تعالى ومع خلقه.

• ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فضّلك علينا ورفع مقامك ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ فيما فعلنا معك.

• ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ لا ألومكم ولا أعيِّركم بما فعلتم ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في فعلكم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

• ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يعـود إليه بصره الذي فقده ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ من الآباء والأبناء.

• ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي خرجت مـن أرض مصر إلى أرض فلسـطين ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ أي تسفهوني ﴿قَالُواْ﴾ أي الحاضرون عنده تلك اللحظة قبل مقدم أبنائه إليه: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ أي ما زلت على خطئك القديم.



١ ـ بوارق الأمل في انتظار الفرج ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٢ ـ من مباهـج قلبك ألا يصيبـه اليأس من طوارق السـوء ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٣ ـ مهما بلغ مرضـك وجراحك وآلامك وأمضّ مشـاعرك لا تيأس من فواتح الأمل وإن طال زمانها! ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

٤ ـ أياً كانت فواجع حالك وظروف واقعك إيـاك أن تبرح باب الفرج ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٥ ـ لا شيء أَوْصَدُ لأبواب الأمل والفرج مثل اليأس ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٦ ـ اليأس من أخلاق الكافرين ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٧ ـ المتعلقون بالله تعالى والراجون له أقرب ما يكونون إلى الفرج ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

لولا الرجاءُ بــأنْ يُعجِّل بيننَا وَشْكُ التلاقي لاشتهيتُ مماتي

٨ ـ في لحظة الضيق تبدأ مسارب الأمل بالإشراق ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٩ ـ حينما يبلغ بنا الأسى مداه تبدأ خطوات الفرج في الطريق إلى واقعنا ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

١٠ ـ الجهل سبب كل مشكلاتنا التي نعانيها وأحداثنا المؤسفة التي نعيشها ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

١١ ـ كم من إنسان استرق واقعه وجهده وحياته بسبب الجهل ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

١٢ ـ التقوى والصبر والإحسان ثلاثة أمور تصنع مجدك، وتطوف بك على رؤوس الخلائق مكرماً ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

١٣ ـ الأسرار الثلاثة التي بلَّغت يوسف مجده وأمله وأحلامه وأمانيه ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فلتبدأ بصناعة حلمك من خلال أحداثها في واقعك.

١٤ ـ الكبار يعرفون للنعمة قدرها ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾.

١٥ ـ كل ما يصيبك من أحـداث النجاح والتوفيق فذلك بعـض نعيم الله تعالى عليك ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾.

١٦ ـ إذا رأيته يلهج بهذا في كل موقف، وقد انعقد عليه قلبه في الأصل فاعلم أنه بالغٌ مناه ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾.

١٧ ـ مَنْ يوسـف لولا الله؟! ومن أنت وأنا لولا الله؟! ومَنْ هذا العالم كله لولا الله؟! ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾.

١٨ ـ لا تستطِلْ يوماً وعد الله تعالى فيه بالنهايات ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

١٩ ـ إلى كل المخطئين في حق غيرهم: ستأتون على النهاية ذاتها ولو طال يومها! ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

٢٠ ـ لئن تأتي اليوم معتذراً من خطئك خير لك من أن يوقفك الله تعالى على نهاياته مجبراً ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾.

٢١ ـ النفوس الكبيرة تستعلي على الثأر وقت القدرة ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

٢٢ ـ هي الكلمة ذاتها التي قالها نبينا ﷺ يوم فتح مكة لأفواج قريش[1]. ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

٢٣ ـ المنتصرون في اللحظة لا يصلحون للقدوة ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

٢٤ ـ إذا عُرف سبب الداء سهل علاجه ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

٢٥ ـ لواعج الشوق لا تطفئها إلَّا روائح المحبوب ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

٢٦ ـ إذا بلغك وَجْدُ حبيبك فابعث له برسالة حب، أو حدِّثه بمشاعرك، أو أفض إليه بقلبك ووجدانك؛ فإن لم تجد سبيلاً إلى ذلك فابعث له بجزء من روائح طيبك وجسدك ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

٢٧ ـ في مرات كثيرة تكفي ثياب حبيبك لشفاء مرضك ودواء أحزانك ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

---

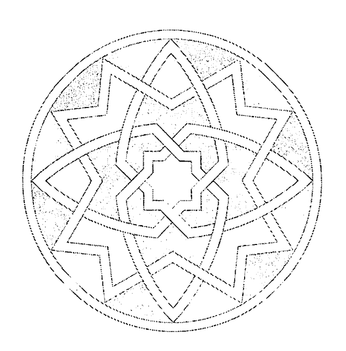
(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١/٤.

٢٨ ـ جزء كبير من أمراضنا الحسية سببه كدماتُ قلوبنا، واجتياح الأحداث لمشاعرنا ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾.

٢٩ ـ والقلب على ما ينتظر من أمل ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾.

٣٠ ـ ليت الأبناء يدركون هذه الأشواق في قلوب آبائهم! ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾.

❀ ❀ ❀



فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ عاد بصيراً بعد أن كان أعمى ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ من رحمته وكرمه وإحسانه.

• ﴿قَالُوا۟﴾ أبناء يعقوب: ﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ التي فعلناها معك ﴿إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ في كل ذلك.

• ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾ وعدهم الإجابة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للمذنبين ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ بخلقه.

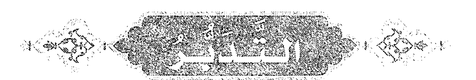
• ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ هم وأهلهم جميعاً ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ضمَّهما إليه، وأكرمهما وبرَّهما ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ من جميع المكاره والمخاوف.

• ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ على سرير الملك ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ سجد أهل يوسف جميعاً سجود تكريم وتشريف ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ﴾ هذا هو تأويل الرؤيا التي قصصتها عليك أيام الصغر ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ صارت حقيقة بعد أن كانت حلماً ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ بعد أن مكثت فيه زمناً ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أفسد ﴿بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ فأورث الحسد وحصل العداء ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ يوصل بره وإحسانه بعبده من حيث لا يشعر ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوال الخلق ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ بتدبير شؤونهم.

• ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ وهو ولايته على خزائن المال في مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبيرها وتفسيرها ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ من يتولاني ويرعى شؤوني ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ على الإسلام ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ من الأنبياء ومن سار على منهجهم.

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما قصصناه عليك يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نوصلها إليك عن طريق الوحي ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾ على وضع يوسف في الجب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ بأخيهم.

• ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ فمهما بلغ حرصك لن يؤمن أكثر الناس.



١ ـ الأدواء الكبيرة لا تشفيها إلَّا الصدمات المثيرة ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

٢ ـ إذا أردت أن تعرف قدر الحب فانظر كيف شفى جراح العمى ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

٣ ـ ما خاب ظن صاحب الأمل يوماً ما ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

٤ ـ حسن الظن بالله تعالى موردٌ بصاحبه للنعيم ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

٥ ـ الاعتراف بالذنب فضيلة ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾.

٦ ـ كثيرون لا يتوبون حتى يقفوا على الحقائق بأنفسهم ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾.

٧ ـ هذا تأويل الرؤيا آن أوانه، وقد بلغ زمناً طويلاً في الانتظار ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

٨ ـ ضم إليه أبويه، وبشَّرهما بدخول مصر آمنين، ورفعهما على العرش، وذكَّره بالرؤيا التي قصها عليه بنداء الأبوة ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ هكذا يصنع الأدب في حياة أصحابه.

٩ ـ كلما أصاب يوسف وارف من النعمة أعاده إلى ربه ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ وكم من إنسان في المقام ذاته نسبه لعلمه وشأنه ومكانته!

١٠ ـ الكبار يدركون أن المهارات والقدرات والإمكانات منح من الله تعالى ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

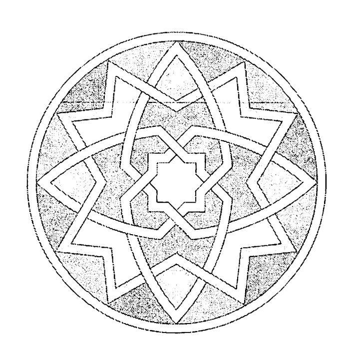
١١ ـ تذكَّر وارف النعمة في قلبه، فسأل الله تعالى أن ينعم عليه بالوفاة على الدين، وهي خواتم النعم وأجلها ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

١٢ ـ من عظيم منة الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى أمته من بعد رواية هذه القصة وما فيها من معالم تستحق الاقتداء ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٣ ـ ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ رسالة للنبي ﷺ وللدعاة من بعده: لا ترهقوا أنفسكم بسبب إدبار المعرضين!

١٤ ـ ليس من شأن الدعوة والدعاة رصد أعداد المهتدين، وأرقام المضافين في وسائل التواصل الاجتماعي، والحاضرين للمحاضرات، والمشاركين في الدورات والندوات؛ فالعبرة بالعمل وليس بالنتائج والثمار ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.





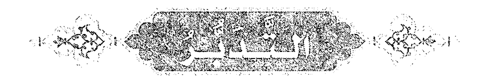
وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم
مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ
ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ
إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ
وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ
وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى
قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ
وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

التفسير

- ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ على بلاغ القرآن إليهم ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ يتذكرون به ما ينفعهم ويدلهم على الطريق.
- ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ وكم من آية ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ كل وقت ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ لا يلتفتون إلى العبرة منها والعظة من أحداثها.
- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ فهم وإن آمنوا بربهم لا يزالون مشركين به.
- ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ هل اطمأنوا على أنه لا يأتيهم عذاب من الله تعالى يغشاهم ويأخذهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ وهم لم يستعدوا لها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ ما الذي جاءهم من قدر الله تعالى.
- ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدعوة ﴿سَبِيلِيٓ﴾ أي طريقي الذي أسير عليه ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على حجة واضحة بيِّنة لا لبس فيها ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ ومن تبعني يدعو على الطريق نفسه ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عن كل ما نسب إليه ولا يليق به ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ بالله تعالى في عبادته.
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ ذكوراً ﴿نُّوحِيٓ إِلَيْهِم﴾ بالوحي ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المدن ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يمشوا فيها ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ يتأملوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كيف كانت نهايتهم وعاقبتهم ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أفضل وأحسن من الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ أمر الله تعالى.

• ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ يئسوا من أقوامهم ﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾ أيقنوا ﴿ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾ أُخلفوا ما وعدوا به من النصر والتمكين ﴿ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ الذي وعدناهم به ﴿ فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ﴾ أي الرسل ومن آمن معهم ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ بل يصلهم ويحيق بهم.

• ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ ﴾ قصص الرسل إلى أقوامهم ﴿ عِبْرَةٌ ﴾ درسٌ بليغ ﴿ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ لأصحاب العقول ﴿ مَا كَانَ ﴾ أي القرآن ﴿ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ يُختلق ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ مصدقاً لما سبقه من الكتب المنزلة على الرسل ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ من الشرائع المجملة ﴿ وَهُدًى ﴾ هداية للخلق ﴿ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ لكل مؤمن.



١ ـ الأصل ألا يأخذ الدعاة على بلاغهم لدين الله تعالى شيئاً ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

٢ ـ إذا وجدته يشترط مالاً موفوراً لأداء رسالته فدعك منه، فلا بركة في قول غير متبع لهدي الأنبياء ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

٣ ـ إذا لقيتم في الطريق سائلاً مالاً وأجرة على دين الله تعالى فبلغوه رسالة الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

٤ ـ كم من آية في الكون لا تحتاج سوى نظرة تأمل واعتبار ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

٥ ـ التأمل والنظر في كون الله تعالى عبادة مفضية بصاحبها للاعتبار ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

٦ ـ لم تتمحّض عبادة كثير من الخلق من الشـرك ونواقض التوحيد ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٧ ـ غالباً ما تجد خللاً عند كثير من المؤمنين في توحيدهم لله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٨ ـ ما أحوج القلوب للتعرّف إلى الله تعالـى والقيام بحقوقه ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

٩ ـ كم من مصيبـة أصابت قلب صاحبها وأذنت بموته وهو ينتظر مصيبة الأجسـاد ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

١٠ ـ من عـرف الله تعالى حقيقـة قـام له بحقـه، وخشـي عواقـب التفريط ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

١١ ـ الدعوة مسؤولية ضخمة تحتاج إلى استشعار ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

١٢ ـ كل دعوة لا تأخذ حظها من الكتاب والسنة والسيرة فلا حظ لها في البلاغ والتأثير ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

١٣ ـ الرجال هم المكلفون بسياسة الأمم، وليس للمرأة في ذلك شأن، ويكفيها صناعة الرجال في البيوت ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

١٤ ـ من توفيق الله تعالى لعبده أن يرزقه الاستبصار في آياته المبثوثة في الكون ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

١٥ ـ مهما بلغ أثر الدنيا في عين صاحبها فهي بالنسبة للآخرة لا شيء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

١٦ ـ قد يتأخر النصر حتى لا يصبح في قلب المؤمن شيء سوى الله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

١٧ ـ لو أعطى الله تعالى النصر لعباده من أول وهلة لبطلت عبودية الصبر والجهاد والإيمان في كثير من مواقفها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

١٨ ـ إذا تأخر النصر فثمة حِكَمٌ لله تعالى لم تبلغ نهايتها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

١٩ ـ لا تستبطئوا نصر الله تعالى وإن طال! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

٢٠ ـ مضت سنة الله تعالى أن بأسه لا يرد عن المجرمين في كل زمان ومكان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

٢١ ـ في القصص عبرة وذكرى لأولي العقول والألباب ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

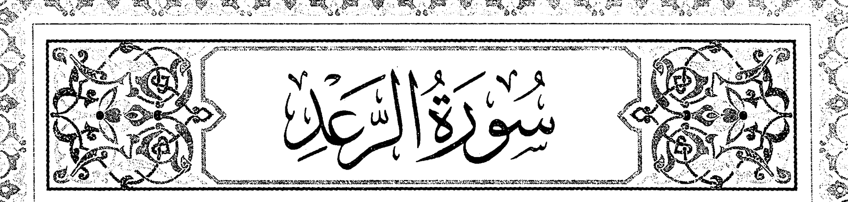
٢٢ ـ القصة مورد عذب للتذكير؛ فينبغي أن يُحْسَنَ استثمارُها ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

٢٣ ـ ينبغي أن يكون التركيز على القصة القرآنية وما صح من سنة النبي ﷺ وهي الأصل في الدعوة والبلاغ والبيان ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

٢٤ ـ ليس أضر على الدعوة من القصص الواهية والموضوعة التي يختلقها الوعَّاظ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

٢٥ ـ الذين يريدون أن يرتعوا في الهدى وينالوا رحمة الله تعالى فليحسنوا الإقبال على كتاب الله تعالى قراءةً وحفظاً وتدبراً ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

❀ ❀ ❀



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ
ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ
يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِي
مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا
زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ
(٣) وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ
صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ
فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٤) ۞
وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ
جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ
أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٥)

التفسير

• ﴿الٓمٓرۚ﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ آيات القرآن الكريم ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن الكريم كله حق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ بهذا الحق الذي أنزل إليك.

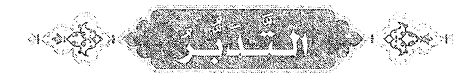
• ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على عظمها واتساعها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ليس لها عمد يقلها ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ على سرير الملك وهو أعظم المخلوقات استوى استواءً يليق بجلاله ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ذلَّلها لمصالح العباد ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لوقت محدد ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يصرّف أمر الكون على ما يريد ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يبينها ويوضحها ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ تعتقدون عظمته فتؤمنون به.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسطها وسوّاها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً تثبتها ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ تجري لمصالح العباد ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من كل جنس نوعين ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يغطي أحدهما الآخر وقت مجيئه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ لعبر وعظات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ في ملك الله تعالى.

• ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ أراضي يجاور بعضها بعضاً تختلف كلياً عن بعضها البعض؛ فبعضها صالحة للنبات وأخرى سبخة، وبعضها قاسية وأخرى سهلة لينة ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾ بساتين من عنب ﴿وَزَرْعٌ﴾ حبوب مختلفة الأنواع ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ مثل بعض، والصنو بمعنى المثل ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ ليست متشابهة، مع أنها تنبت في الأرض

نفسها ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ لا فرق ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ في اختلاف الطعم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ عبر وعظات كونها تزرع في أرض واحدة، وتسقى الماء ذاته، وتختلف عن بعضها البعض ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ لمن يعقل عن الله تعالى أمره.

• ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ من شيء ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ فأعجب منه قول المشركين ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنكارهم للبعث ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ من كان منكراً للبعث غير مؤمن بالله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ القيود ﴿فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ أي في رقابهم يوم القيامة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ لا يحولون عنها.



١ ـ القرآن أعظم الدلائل والبينات على الحق ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ لو أن الناس منحته أوقاتها وألقت إليه بقلوبها لكان لهم ما يأملون.

٢ ـ ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ دعوة للإقبال على هذا القرآن والعناية به ومنحه كل شيء.

٣ ـ ألق بقلبك ومشاعرك وجوارحك في هذا الكون لترى مظاهر قدرة الله تعالى في أبهج معانيها ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ

قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

٤ ـ التفكُّر والتأمــل في الكون عبادة لها مقاصد كبرى لم تحظ بعد بشــيء من أوقات المتدبرين والمتأملين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

٥ ـ المنصرفون عن الحقائق لا يمكن أن يهتدوا إليها بشيء ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ لو لم يكن في دلائل البعث إلّا هذا الخَلْقُ الدال على قدرة الكبير المتعال لكان كافياً!

٦ ـ كم من يوم سيأتي على المنكرين للحقائق! ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ
ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ
ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ
وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن
جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ
مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ
ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ
وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ
فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

التفسير

- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالعقوبة ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قبل العافية والسلامة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ العقوبات المماثلة للمكذبين من قبلهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ فلا يعاجلهم بالعقوبة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ إذا أحل بقوم عقاباً فما أشد وطأته عليهم!

- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هلَّا أنزلت عليه آية من ربه تعالى تؤيد ما يقول غير ما جاء به، يقولون ذلك على سبيل التعنُّت ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ إنما أنت منذر لهم عمَّا يحلُّ بهم، والآيات لله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ يدلهم على الحق ويرشدهم إليه.

- ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ في بطنها سواء كان علقة أو مضغة، ذكراً أو أنثى، سعيداً أو شقياً، حيَّاً أو ميتاً ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ وما تنقص مما فيها إما بنقصان حجم الحمل أو بهلاكه ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ من كبر الأجنة ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ لا يتقدم عليه ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص.

- ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ لا يغيب عنه من علمها شيء ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ في ذاته وصفاته ﴿ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ العظيم المستعلي على كل شيء.

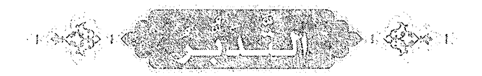
- ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ يستوي عنده تعالى وفي علمه ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ أخفاه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ أعلنه ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ مستتر في ظلمته ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ داخل في سربه بالنهار، وهو كل ما يختفي فيه الإنسان.

- ﴿لَهُۥ﴾ للإنسان ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ من الملائكة يتعاقبون فيه بالليل والنهار

﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ من جميع جوانب بدنه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ بأمر الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من النعمة ورغد العيش أو من المعصية وسوء الحال إلى غيره ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ إن كانوا في النعمة فغيروها إلى الفساد غيّر الله عليهم، وقلب حالهم إلى سوء، وإن كانوا في السوء والمعاصي فغيروها إلى الخير والهدى غيّر الله حالهم إلى أحسن حال ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا﴾ عذاباً وشدَّةً، أو أمراً يكرهه ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ فلا دافع له ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿مِن وَالٍ ١١﴾ يتولى أمورهم، ويدفع عنهم ما أراد الله بهم.

- ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ﴾ النور في السماء ﴿خَوۡفًا﴾ من العذاب ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ السحاب المحمّل بالمطر.

- ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي تسبيحاً مقروناً بحمد الله تعالى ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾ وتسبح الملائكة من خوفه تعالى ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ المحرقة ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ من الخلق فتهلكه ﴿وَهُمۡ﴾ أي الكفار ﴿يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ يخاصمون في وحدانية الله تعالى ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ شديد الحول والقوة لا يريد شيئاً إلّا فعله سبحانه وتعالى.



١ ـ إذا بلغ ظلام القلب مداه لا تستغرب أن تجد متهكماً في الطريق، مستعجلاً لعقاب الله تعالى ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾ من يجرؤ على الله تعالى ويستعجل عذابه!

٢ ـ ماذا لو استجاب الله تعالى لهؤلاء وغمرهم بعقابه! ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ ما أقبح الضلال! وما أجهل الإنسان بعواقب السوء! وما أضله إذا لم يهده الله!

٣ ـ الجرأة على الله تعالى فرع عن الجهل به ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ لو فقهوا مَنِ الخالق لأدركوا قبح ما يقولون!

٤ ـ الحلول التي يطرحها أهل الضلال ليس المراد منها معرفة الحق وإنما خلق مسافات من العناد ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ فلا تكترث لهذه الحلول أو تنشغل؛ فالمسألة أكبر من ذلك بكثير.

٥ ـ لا تجهد نفسك في استرضاء المعرضين، بلِّغهم دين الله تعالى، ويكفي ذلك نجاحاً في مهمتك وأداء رسالتك ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

٦ ـ كمال علم الله تعالى، وأنَّه يعلم ما يجري في الكون، لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ ولا يغيب عنه من علم حالك شيء.

٧ ـ لا تقلق على ولدك في بطن أمه؛ فالله يرعى كل أحداث ذلك المولود ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾.

٨ ـ ولد ابنه قبل أوان ولادته، ووضعوه في الحاضنة، وعاش مكدود الخاطر خوفاً

ألَّا يراه، وفاتَهُ أنَّ الذي أجرى فيه الحياة هو ألطف به منه في تلك الحال ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾.

٩ ـ حملت به بعد زمن طويل، وتتحرّج من كل ما يمكن أن يجهض ما في بطنها، وتجري همومها في كل لحظة ألم، وفاتَهَا أنَّ ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لن يكون ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾.

١٠ ـ حتى الولد والبنت قدر الله تعالى وأمره ومشيئته؛ فإياكم وفوات الإيمان بأعظم ركائز الحياة! ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾.

١١ ـ افرح بكل ما يأتيك من مولود ذكراً كان أو أنثى؛ فكم من قادم وضع والديه في مباهج الحياة ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾.

١٢ ـ إذا لم يقدِّر الله تعالى لك ذَكَراً فافرح، فلعله تعالى أراد أن يزيح عنك هموم الدارين ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ وإذا لم يكتب الله تعالى الحياة لذلك المولود فاحمد الله تعالى فربَّما أراد ألا يشقيك ما بقي الزمان.

١٣ ـ كل عملك، وما تديره في شأنك، وما تجتهد في بنائه في حياتك: يراه الله تعالى ويرقبه، ولا يغيب منه على الله تعالى شيء ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ الصالح من نياتنا وأعمالنا أو القبيح منها، ما يأتي في ظلام الليل، أو في ضحى النهار، كله لا يتخلف من ذلك شيء.

١٤ ـ يستطيع الظلام أن يحجب أعين الناس عنك، ولكنه لا يستطيع أن يخرج بك

من علم الله تعالى لحظة ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

١٥ ـ أحاديث الليل مرصودة مكتوبة، فلا يغرك ظلام الليل الساتر لها ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

١٦ ـ مكالماتك في ساعات الليل المتأخرة، وتواقيعك التي تجريها في الظلام، وأوراقك المبعثرة: كلها تجري على عين الله تعالى، لا يغيب منها شيء ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

١٧ ـ في اللحظة التي تبلغ فيها وسعك من ستر أعين الناس عنك هي ذاتها التي يبلغ فيها جهرك في عين الله تعالى مداه ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

١٨ ـ كم من مستور في الأرض مفضوح في الملأ الأعلى! ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

١٩ ـ يجتهدون في التواري عن أعين الناس، ويبلغون في ذلك وسعهم، وتجري مشاهد تلك المنكرات في صحفهم وسجلات أعمالهم ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

٢٠ ـ ثمة ملائكة تدير شأنك في كل لحظة؛ فتحرَّس أن يروك في مشاهد الفضيحة ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾.

٢١ ـ من توفيق الله تعالى أن يسر لك ملائكة السماء تحفظ عملك، وتقف حائلاً دون الشرور الواصلة إليك ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾.

٢٢ ـ حياة العالَم كلها وقف على هذا المعنى الكبير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ وأول ذلك حياتك أنت.

٢٣ ـ لا تنتظر حلماً غائباً ما لم تطرق هـذا المعنى الكبير باجتهادك وعزيمتك! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٢٤ ـ الذين ينتظرون أملاً كبيراً عليهم أن يفتحوا نوافذ ربيعه بأعمالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٢٥ ـ كل حياتنا وآمالنا ومستقبل أيامنا وقفٌ على الخطوة الأولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٢٦ ـ انتظار مستقبلك، ونوافذ الربيع في حياتك، وأيام الأمل لا تأتي إلَّا من خلال استقبال هذا المعنى الكبير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٢٧ ـ الذين يحلمون بالإصلاح الكبير عليهم أن يبدؤوا بأنفسهم أولاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٢٨ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ رسالة لكل الذين يعانون ديوناً، وقلقاً، وأحزاناً، وظروفاً بائسة: أنتم مسؤولون عن صناعة أحلامكم القادمة بكل اقتدار.

٢٩ ـ إلى كل الذين يبحثون عن سعادة بيوتهم، ويرجون أولاداً صالحين، ويجهدون في بلوغ أحلامهم التي تختال في قلوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٣٠ ـ قدر الله تعالى نافذ، ومشيئته ستجري في العالمين كيف شاء ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

٣١ ـ لا تستطِلْ طريق الهالكين ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

٣٢ ـ إذا وقع قدر الله تعالى على فرد أو جماعة أو أمة؛ فلا تتأسف على فوات

نصيبك من دفعه فهو واقع لا محالة ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾.

٣٣ ـ لا تحزن على ما أصابك أو تتأسف أنك لم تتخذ التدابير الواقية لدفعه؛ سيحل بك ولو بلغت كل جهدك ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾.

٣٤ ـ كم في سحاب السماء وبرقها من آمال وأفراح! وكم فيها من عذاب وأتراح! ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾.

٣٥ ـ حلَّت أحداث السماء بقوم فحوّلت صحراءهم إلى ربيع، وألقت بهم إلى ساحات الأفراح مستبشرين، وحلَّت بآخرين فألقت بهم إلى الهلاك والنكال والعذاب ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾.

٣٦ ـ حتى الجمادات تعترف بفضل الله تعالى، وتقيم له حقًّا، وتؤدي له واجباً ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ وبعض الخلق عاقٌّ لا يقيم لله تعالى واجباً، ولا يقوم له بحقٍّ.

٣٧ ـ الصواعق جند من جنود الله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

٣٨ ـ كم مرة ألقت هذه الصواعق بأحداثها على أناس وحيوانات وجمادات فلم تُبقِ فيها شيئاً من الحياة! ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

٣٩ ـ سبحانه إذا أراد بعباده سوءاً فلا رادَّ لقضائه ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾.

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

التفسير

- ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي لله تعالى دعوة الحق، وهي عبادته وحده لا شريك له ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأوثان والأنداد ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ لمن يدعونهم ويعبدونهم ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ إلَّا كمن يمد يده إلى الماء ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ ليصل إلى فمه ليرتوي من العطش ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ والماء لن يبلغه؛ فكذلك الآلهة لا تنفع صاحبها مهما دعاها واستغاثها ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ فلا ينفعهم بشيء.

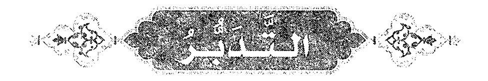
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كل الكون يسجد لله تعالى ﴿طَوْعًا﴾ طائعين من قبل أنفسهم ﴿وَكَرْهًا﴾ أو كارهين مجبرين عليه ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ وظل المخلوقات تسجد كذلك لله تعالى ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ أول النهار ﴿وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ آخره.

- ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول للكفار الذين يعبدون مع الله تعالى غيره ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ مَنْ خالق السماوات والأرض ومدبِّر أمرهما ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم﴾ لأنفسكم ﴿مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يقدرون على نفع أنفسهم ولا ضرها، فكيف ينفعون غيرهم أو يضرونهم؟! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الكافر بالله تعالى ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ المؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ ظلمات الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾ ونور الإيمان ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أم أن هؤلاء المشركين جعلوا لله تعالى شركاء في الملك والتدبير من الأوثان ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ خلقوا خلقاً كخلق الله تعالى ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ فيكون شركهم لهذا التشابه فيما بين الخلقين. وهذا على سبيل التهكم،

وإلَّا لم يروا خلقاً كخلق الله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فلا خالق معه ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ لا شريك له ﴿ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ لكل مخلوق.

• ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ﴾ بالماء الجاري فيها ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بقدر ما فيها من ماء ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ﴾ الماء ﴿زَبَدٗا﴾ غثاءً ﴿رَّابِيٗا﴾ عالياً مرتفعاً على الماء، وهذا مثل شَبَّه الله تعالى فيه الحق وأهله في الثبات والنفع بالماء الصافي الذي ينزل من السماء فتمتلئ به الأودية وينتفع به الناس، وشَبَّه الباطل في ذهابه وعدم نفعه بالزبد الذي يحمله الماء فوقه مهما بلغ علوه؛ فإنه إلى زوال ولا نفع فيه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ ومما يوقد الناس على النار من الذهب والفضة ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ يريدون بذلك حلية يلبسونها ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ أو يريدون متاعاً يتمتعون به من الأواني والأدوات ونحوها ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ يخرج منها كذلك زبد لا نفع فيه، ويبقى بعد ذلك المعدن الصافي النقي، وكذلك الحق والباطل كما أن الزبد لا يثبت مع الذهب والفضة؛ فكذلك الباطل لا يثبت في مقابل الحق ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ في ثباته وبقائه ﴿وَٱلۡبَٰطِلَ﴾ في زهوقه وعدم ثباته ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ الباطل ﴿فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾ غثاءً لا يثبت ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الحق ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يثبت ويقوى ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ لتستقر في عقول الناس.

• ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ لم يقوموا بما أمرهم به ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ يملكونه ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ ويملكون مثل الأرض زيادة على ذلك ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓ﴾ من عذاب يوم القيامة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أسوأه ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ مقرهم النار ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾ المستقر الذي يستقرون فيه.



١ ـ يدعون أولياء من دون الله تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ ما أقبح الجهل!

٢ ـ كل العالم يسجد تعظيماً لله راضياً وراغماً ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ حتى ظلال الأشياء في الغدو والآصال تذهب عابدة ساجدة منيبة لربها. ما أغفل الإنسان!

٣ ـ لم يبق في الكون غير معظِّم لربه إلَّا منكر وجاحد ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

٤ ـ ليس من الحكمة أن تدفع على عقول الكافرين بأدلة شرعية لإقناعهم، واجههم بالعقل، واحكم على فساد باطلهم بالحجج والبراهين العقلية ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾.

٥ ـ من الشؤم ألا يكون للمعرفة واقع في حياتك ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾.

٦ ـ الحق كأودية السيل التي تجري على الأرض اليابسة فتهبها النعيم وتعود خضراء بعد أن كانت بلقعاً جدباء، وكالذهب الباقي بعد كير النار ﴿أَنزَلَ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ والباطل كغثاء السيل لا نفع فيه، والذاهِبِ من شوائب الذهب الذي أخرجه كير النار.

٧ ـ الحق وحده الذي سيبقى في قلوب العالمين، وما عداه فزاهق باطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فكونوا على الطريق، وصابروا على لأوائه، وامضوا مستبشرين بالآمال!

٨ ـ لا تحتقر شيئاً من الحق! فستجد أرضاً صالحة للإنبات وإن طال زمانه ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

٩ ـ رسالة الحق أثمن بكثير من رسالة باطل مزخرفة مزيَّنة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

١٠ ـ مؤلفك الذي تكتبه في دعم فضيلة الحق أبقى وأثمر وأصلح من حبر مسكوب في تزيين باطل رخيص ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

١١ ـ حتى لو رأيتهم كأسراب القطا حول الروايات الرخيصة في معارض الكتب أو في أجنحة المكتبات ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

١٢ ـ إذا لم تجد لفكرة الحق رواجاً في وقتك فلعل ربيعها لم يحن بعد ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

١٣ ـ جهد واحد من الحق كافٍ لمدافعة ألف مشهد للباطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

١٤ ـ ما زلنا نعيش على كلمة صاحب الحق وفكرته ومشروعه وقد مات صاحبه من مئات السنين ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولم يبق للباطل إلَّا حسرات الخذلان.

١٥ ـ كم مرة صار لمشروع باطل أو فكرة وهمية صوت وجلبة، ثم ماتت في مستقبل الأيام كأنها لا شيء ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

١٦ ـ إذا رأيت فكرة الباطل تمتد فليس لقوتها وإنما زيادة في إضلال صاحبها ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

١٧ ـ بشِّروا الذين يجتهدون في باطلهم بأنهم إلى بوار ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

١٨ ـ هذا المعنى ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يلقم أفواه القاعدين عن العمل برمادٍ حارٍّ!

١٩ ـ استجابتك لله تعالى هي خطواتك العجلى نحو الجنان ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٢٠ ـ كم مرة عُرِضَتْ هذه الصور ولم تلق رواجاً في قلوب المعرضين! ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

❀ ❀ ❀

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

التفسير

- ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ لا يستوي من يعلم الحق ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عنه لا يعرفه ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ أصحاب العقول.
- ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وهو كل حق لله تعالى طلبه من العباد ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ فلا يخلفون العهد الذي عاهدوا الله تعالى عليه.
- ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وهو كل ما أمر الله بوصله من الحقوق التي بينه وبين عباده أو بينه وبين خلقه ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ويعظمونه ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ وسوؤه أن يحاسبهم الله تعالى على أخطائهم وآثامهم كلها.
- ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على طاعة الله تعالى وعن محارمه وعلى أقداره ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ من أجله ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فعلوها في أوقاتها كما أمرهم الله تعالى ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ بذلوه في سبيله تعالى ﴿سِرًّا﴾ لا يراه أحد ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ على مرأى من الخلق ليتأسى بهم الناس ويقتدوا بهم في ذلك ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يدفعون سيئة من أساء إليهم بالحسنة من العفو والصفح ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من يفعل هذه الأفعال ﴿لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ العاقبة الحسنة في الجنة.
- ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بساتين خالدة وإقامة دائمة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يوم القيامة ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ يلحقونهم في الجنة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ من أبواب المساكن التي يسكنون فيها.
- ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ يقولون لهم أثناء الدخول: سلام عليكم؛ أي سالمين من الآفات والعوارض التي تحول بينكم وبين النعيم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ جزاء صبركم ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ ما أجمل تلك العاقبة التي يصلون إليها!

• ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ الذي أمرهم بالوفـاء به، وذلك جملة طاعته والقيام بأمره ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ من بعد ما أكَّد عليهم التزامه والوفاء به ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ فيما بينهـم وبين الله، أو فيما بينهم وبين خلقه ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر وارتكاب المعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ مطرودين من رحمة الله تعالى ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ سـوء العاقبة والمستقر.

• ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يوسِّعه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيِّقه ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بمتاعها الزائل ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ شيء حقير زائل.

• ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هلَّا أنزلت آية من الله تعالى تؤيِّد أنك رسـوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بعدله ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ من رجع إلى الحق.

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله تعـالـى ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ تهدأ وتسـتريح لذلك ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ تسكن وتستقر وترتاح.



١ ـ لا يستوي مؤمن على الصراط، وضالٌّ في تيه الظلام ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ لا يتخيَّل هذا الفرق الكبير إلَّا من جربه واقعاً أو رآه.

٢ ـ حين تفقد عقلك لا يبقى شيء صالح للتمييز ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ كم هو الفارق بين الحق والضلال؟! وكم هي المسافة بين الحقيقة والعمى؟ ولكن الخذلان لا حدَّ له في النهاية.

٣ ـ هذه صفات المتقين الأبرار ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٤ ـ إذا رأيته مُجلاً للعهود التي يبرمها مع ربه أو مع خلقه؛ فاعلم أنه كبير ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ رغم ظروفه العارضة ولكنه أصرَّ على إتمام ما بينه وبين الله تعالى.

٥ ـ فرق كبير بين إنسان يتوقف عند عهده لا يستطيع أن يجاوزه في شيء وآخر يعاهد وينكث مراراً لا يبالي بشيء ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٦ ـ يصل رحمه، ويخشى ربه، ويخاف سوء الحساب، هذه صناعة المتقين ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾.

٧ ـ فرق كبير بين واصلٍ لرحمه وقاطع له، الأول في رياض الجنان، والآخر في شتات الضلال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾.

٨ ـ له جدول أسبوعي لزيارة رحمه. هذه أول عتبات طريق الفالحين ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾.

٩ ـ هؤلاء يزورهم، وأولئك يهبهم من ماله، وآخرون يأخذهم بسيارته لقضاء حوائجهم. إنَّها نوافذ على صلاح الطريق ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾.

١٠ ـ ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ مفقودٌ كبيرٌ في زمن وسائل التواصل الاجتماعي.

١١ ـ ما أحوج الذين يديرون مشاريع المصالح العامة إلى قراءة هذا المعنى كل حين ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾.

١٢ ـ إلى كل الذين يديرون شأناً في الظلام: ارعوا حقوق هذا المعنى الكبير! ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾.

١٣ ـ ليتنا حين ندير شيئاً من شأن الدنيا نقرأ واعظ القرآن ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾.

١٤ ـ هذه معالم القدوات ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

١٥ ـ الصبر لله من أعظم ما يبلِّغك شأنك في الدارين ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا يصبرون لجاه أو سلطان أو سمعة أو مال أو رغبة في عارض الدنيا، وإنما لغايات الآخرة الكبرى.

١٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ يصبرون على طاعة الله تعالى، ويجاهدون في الحفاظ على أوراد الطاعة، ويتعبدون لله تعالى مراراً، وإذا حلَّت بهم فجائع الزمان تجلَّدوا لها ابتغاء ما عند الله تعالى، وإذا عُرِضَت عليهم الشهوات وقفوا مستعصمين من أجل ثواب الله.

١٧ ـ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ليست المسألة أداءً، وإنما معنًى وإقامةً!

١٨ ـ الصلاة أعظم شعيرة في الأرض تستحق هذا الإجلال ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ما حاجة الناس اليوم إلى شيء كحاجتهم إلى إجلال هذه الفريضة، واستشعار أهميتها وأثرها وغاياتها الكبرى.

١٩ ـ ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ لا يبالون بالمال إذا كان في جنب الله تعالى!

٢٠ ـ ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ هذا المال الذي في يدك وجيبك ليس لك منه شيء، وإنما هو من الله ولله!

٢١ ـ في مرات يهبون منه سرّاً، ويجلون به خبايا صالحة، وفي مرات يهبون منه على مرأى من العالمين، ليفتحوا أبواباً للخيرات، ويصنعون من أنفسهم قدوات ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

٢٢ ـ كلما قام في طريقهم سفهاء الأحلام تَجَمَّلُوا بهذا الخلق الكريم ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

٢٣ ـ ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يستعلون عن الردود الآنية والعاجلة!

٢٤ ـ لا يكترثون بعاجل الفوضى وقطاع الطريق. ينتظرون شأن الآخرة ولو طال ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾.

٢٥ ـ من حق هؤلاء هذا النعيم العاجل ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٦ ـ إذا أردت أن تعرف مقام تلك الصفات الكبرى فانظر إلى نعيمها في الختام ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٧ ـ هكذا هم قطاع الطريق ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٨ ـ ناقضون لعهود الله تعالى، وقُطَّاعٌ لأرحامهم وأقاربهم، ومفسدون في الأرض، وتطاردهم لعنة الله تعالى في كل مكان ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٩ ـ نافذة على بناء العقائد في النفوس ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟

بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾ ما بلغك من مال الله تعالى هو قدره تعالى واختياره ومشيئته؛ فإياك والاعتراض!

٣٠ ـ لا تنظر إلى ما في يد الآخرين من أموال؛ فالآخرة أبقى وأمتع ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾.

٣١ ـ كم من كثيرٍ هنا يجري عليه سؤال القيامة! وكم من قليل يسلم به صاحبه من سؤال مواقف الحساب! ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾.

٣٢ ـ ليس من شأن الرسل إنزال الآيات، وإنما شأنهم البلاغ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ وما وجد من الآيات والبينات والدلائل كافٍ في هداية الراغبين وحجة على المعرضين الضالِّين.

٣٣ ـ لا حدود للسفه! حتى شريعة الله تعالى وأحكامه يريدونها كما يشاؤون ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٤ ـ مسألة الهداية ليست وقفاً على مشاهد الآيات ونزولها ومعاينتها، يكفي المؤمن وحي الله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ يا لقبحهم وجهلهم!

٣٥ ـ الأسئلة الشاقة من أجل الإيمان من دلائل الإعراض عن دين الله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٦ ـ لا حدود للضلال! عبيد ويتعنتون في الإيمان ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٧ ـ من أراد أفراح القلوب وعاجل مباهجها؛ فليقبل على ذكر الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٣٨ ـ السعادة ليست في سياحة خارجية، ولا في مال كثير، ولا في سلطان ومنزلة، هتافها الكبير في القلب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٣٩ ـ ذكر الله تعالى هنا هو القيام بأوامره وترديد آلائه ونعمه في القلب وعلى اللسان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٤٠ ـ أقم شأن الصلاة، واقتطع من وقتك لبيوت الله تعالى، وأقبل على كتاب ربك تالياً متدبراً، وسترى الحياة كما تشاء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٤١ ـ يترددون على مصحَّاتٍ نفسية، ويشعرون بالقلق، ويجدون مضض الأيام، وفَاتَهُم أن ساحات السعادة في دين الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٤٢ ـ حتى الشقاق في الأسرة، والنزاع في العمل، وعدم الراحة في الوظيفة، والآلام التي تطارده في كل لحظة سببها ضياع هذا المعنى من واقعه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ
مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ
لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ
هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوۡ
أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ
ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ
فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾
أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ
سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ
بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ
أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾

التفسير

- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ فرح وقُرَّة عين ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ مستقر جميل وآمن.
- ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا رسول الله ﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ فليست أمتك هي أول أمة تأتيها كرسول ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن وما فيه من العبر والعظات ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالله تعالى، فلا يأتمرون بأمره، ولا ينتهون عن نهيه ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ توبتي وإنابتي.
- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ تحركت من أماكنها من أثره ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ شُقِّقت وصارت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ صاروا أحياءً بقراءته عليهم لكان هذا القرآن الذي أنزل عليك يا رسول الله، وهذا كله بيان لعظمة القرآن الكريم ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته ومشيئته ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أفلم يعلموا ويتحققوا ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ بدون أن يشاهدوا الآيات ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على كفرهم ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ كارثة ومصيبة ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ تنزل ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ وهو موتهم أو قيام الساعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ فما وعدهم به آتٍ.

• ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فلست أول رسول استهزئ به ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ أي فكان عقاباً شديداً.

• ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ رقيب ومهيمن عليها ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بما عملت ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ في ملكه ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ اذكروهم بأسمائهم إن كانوا موجودين ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أم تخبرون الله تعالى بشركاء لا وجودَ لهم في الأرض ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أَوَتُسَمُّونهم شركاء بظاهرٍ القول من غير وجودٍ حقيقيٍّ لهم ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم وصدهم عن سبيل الله تعالى ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ضلوا عن الطريق الموصل إلى الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ من كتب الله عليه الضلالة، فما له من أحد يهديه، ويدله على الطريق.

• ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كالأسر والقتل ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشدُّ وأنكى ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ يقيهم عذاب الله تعالى.



١ ـ الإيمان والعمل الصالح يصنع لصاحبه كل شيء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾.

٢ ـ كم من مثيرٍ لهذه الأحداث في واقعه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ وكم من مغبونٍ بفواتها من حياته!

٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩﴾ هذه ليست حكاية تُقال، ولا مواعظ تردد، هذه أحاديث العمل الجادة في تاريخ صاحبها.

٤ ـ يتكلم عن السعادة، ويبحث عنها، وما زالت صلاة الجماعة تعيش شتاتاً، ولا ورد له يشعر بأثره، وضعيف الصلة بربه في مواطن الخيرات، هيهات. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩﴾.

٥ ـ لم يتخلف عن صلاة الجماعة منذ زمن، وما فاتته تكبيرة الإحرام، ويجهد في إثراء واقعه التعبدي من خلال ورد ثابت في صلاته وصيامه وحجه وعمرته وقراءته للقرآن. لَيَجِدَنَّ ما لم يكن له في الحسبان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩﴾.

٦ ـ الإيمان حركة وفاعلية وجهاد، وليس ادعاءً مفصولاً عن العمل والجهاد والتحديات ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٧ ـ فرق كبير بين مؤمن محافظ على صلاة الجماعة، وآخر متخلِّف فيها، وثالث مرابط على الورد الشرعي، ورابع لا يعرف معناه، وخامس يتحرج من كل منهي عنه، وسادس لا يدرك فيما يقع كل يوم، وعلى قدر هذه المشاهد تطيب الذكرى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩﴾.

٨ ـ نافذة على الحقائق الغائبة ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٠﴾ نكران الإنسان وجحوده للجهود التي تصله أصل ضارب في عمق التاريخ.

٩ ـ الإعراض عن الله تعالى سنة لم تكن عذراً للخلود إلى الأرض أو ترك الطريق ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣٠﴾.

١٠ ـ إسـماع الناس القرآن أكثر المواعظ أثراً وأجلها معنى في القلوب ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾.

١١ ـ أعظم وسائل الدعوة تأثيراً على الإطلاق صوت الوحي ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾.

١٢ ـ الذين لم يعرفوا قدر هذا القرآن ليقرؤوا هذا المعنى الذي يصفه الله تعالى به ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾.

١٣ ـ مهما بلغت الحوادث في واقع صاحبها إذا لم تلق قلباً يستقبلها وإلَّا صارت لا قيمة لها في واقعه ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

١٤ ـ كم من الأحداث التي نزلت بديار الكفر دون عظة وعبرة! ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

١٥ ـ لن يتوقـف الأعداء عن ضلالهم حتى يحيـن موعد اللقاء ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

١٦ ـ المستهزئون بالمصلحين إنما ينتظرون العواقب ذاتها ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ كم من قارئ لهذه الحقيقة، وما زال يجري في فلك الخذلان!

١٧ ـ العداء بين الحق والباطل سنة جارية ما بقيت الدنيا ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

١٨ ـ لا يستوي القائم الرقيب على أنفس العباد بما كسبت، والشركاء الذين لا يغنون من شيء ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ الضلال يصنع مقارباتٍ مستحيلةً، يوهم بها كثيرين.

١٩ ـ لا تستغرب هذا الإغراق في الضلال، تلك الزينة تأخذ حظَّها من النفوس ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٢٠ ـ الزينة الوهمية والصدود عن دين الله تعالى نتائج لأثر النيات والأحوال ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٢١ ـ المعرضون أشقياء في الدارين ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾

التفسير

- ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ في صفتها وجمالها ﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وهم من جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ مادتها دائمة لا تنقطع ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائم كذلك ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ نهايتهم وعاقبتهم ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ ونهاية أمر الكافرين إلى نار جهنم.

- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والإنجيل ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن لكونه مصدِّقاً لما معهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ من طوائف الكفر ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ بعض ما في القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ كما أمرني بذلك ﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾ إلى الله تعالى ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ المرجع والمصير.

- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلسانٍ عربيٍّ مبين ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ آراء الكافرين وشهواتهم ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ من الحق عن الله تعالى ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يلي أمرك وينصرك ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ يقيك من العذاب.

- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ فلست بأول رسول ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ فهم من جنس البشر يتزوجون ويلدون ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾ علامة على صدقه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ما لم يأذن الله تعالى بذلك ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ لا يتقدم ولا يتأخر عنه.

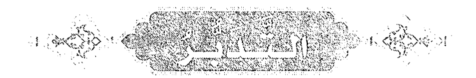
- ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من الأقدار ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء منها ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ اللوح المحفوظ، وهذا المحو لا ينافي ما كتب في

اللوح المحفوظ، وجرى به القلم أولاً؛ لأن هذا المحو والإثبات من جملة ما جرى به القلم ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ما يجري عليهم من العذاب ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ فلست مسؤولاً إلَّا عن بلاغ الدعوة إليهم ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي الكفار ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بفتح البلدان وإهلاك الظالمين ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ لا يتعقَّب أحدٌ حكمه تعالى في شيء لتمام ملكه وعظيم سلطانه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ إذا أراده بقوم لم يتأخر عنهم.

• ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ برسل الله تعالى، وبالحق الذي معهم، ومكرهم هو معاندتهم للحق ومعارضتهم له ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ فلا يفوته من مكرهم شيء يرده ويبطله، ويأتيهم من حيث لا يحتسبون ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير أو شر ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ لمن النجاة والفوز.

• ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ من عند الله تعالى ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يكفيني دليلاً إرسال الله تعالى لي ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ وشهادة من عنده علم التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام ونحوه.



١ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ رسالة للمجتهدين في الخيرات، والسادرين في الظلام!

٢ ـ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾.

٣ ـ ما تصنع لهم حضارة الدنيا وهم ينتظرون هذا الشقاء ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾.

٤ ـ ما أشقى الحضارة التي تبني مجدها على حساب الآخرة! ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾.

٥ ـ أهل الإيمان يشعرون ببعضهم ويسعدون بتراثهم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ ﴾.

٦ ـ كل حقيقة تفضح صاحبها فالخلاص منها أسهل الطرق وأقربها ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾.

٧ ـ رأيت بعضهم يبقي أخطاءه التي اعترض عليها للأيام، ورأيت بعضهم لا يبقي لها أثراً ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾.

٨ ـ لا يهمك من يستقبل الحقائق أو ينكرها، سِرْ على طريقك ولا تلتفت ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ الحقائق ستقف على قدميها ولو طال زمان النكران لها.

٩ ـ الذين يملكون رؤية واضحة لا يبالون بناعق السفهاء ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾.

١٠ ـ البينة بين يديك، وتركُها بعد قيام حجتها ضلالٌ يستحق العقاب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

١١ ـ الدعوة لا تقوم مصالحها من أفواه معارضيها، خذوها من كتاب الله تعالى فقط ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ والهوى لا يقيم منهجاً جاداً للحق الذي تحمله.

١٢ ـ أنصاف الحلول لا تقيم منهجاً للحياة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾.

١٣ ـ الرسالة أمانة، ومن تتبع رخص المفلسين استحق وعيد الله تعالى وعقابه في الدارين ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾.

١٤ ـ لم يعد لمُعْرِضٍ حجة حتى الرسل منهم بالصفات ذاتها ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

١٥ ـ صاحب التجربة وحامل المشروع أصلح لواقعه من كثير من المنظِّرين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

١٦ ـ إذا أردت أن تنجح في إبلاغ رسالتك فكن صاحب تجربة وحامل راية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

١٧ ـ لا يصلح لحمل راية العلم إلَّا طالب علم، ولا للتَّحدث عن المال إلَّا صاحب خزانة، ولا للجهاد إلَّا فارس الرايات ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

١٨ ـ يجري علم الله تعالى وحكمته في كل شـيء ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

١٩ ـ قدر الله تعالى سـيبلغك، وما كُتب نائلك، وما لم يكن لك منه شـيء فليس بواصلٍ إليك؛ فاطمئن ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٠ ـ لا تحزن على فوات شيء، فإن ما يجري في أقدار الله تعالى ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢١ ـ ابذل وسـعك من الأسـباب، وتوكل على ربك، ولن يأتيك سـوى قدرك ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٢ ـ ليس من شـأن الدعاة والمصلحين انتظار ما يحـل بِعَدُوِّهِمْ، عليهم إبلاغ رسـالة الله تعالى للعالميـن ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٣ ـ تصفية المواقف مع العدو ليست من شأن الدعاة في شيء ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٤ ـ الارتفاع عن خصومة الأشخاص استعلاء يمليه القرآن على حملة الوحي ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٥ ـ لو تفكر متدبر في أحداث الكون لكانت بالغـةً به للعبر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

٢٦ ـ كل يوم يدخـل في دين الله تعالى ألوف من المعرضين، أليسـت كافية في العودة إلى دين الله تعالى! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

٢٧ ـ رغم كل عوارض الطريق من شبهات وشهوات إلَّا أن المقبلين على دين الله تعالى في ازدياد، شواهد تحتاج إلى فقه ووعي ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

٢٨ ـ لا تقلق على عدوان، أو تيأس لحادث في الزمان، إنما يُجْرِي الله تعالى الكون لحكمة ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾.

٢٩ ـ ضرورة الأمة إلى فقه حكمة الله تعالى في كل ما نراه في الواقع ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾.

٣٠ ـ من الحقائق التي تحتاج إلى قراءة ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ رغم كثرة المعارضين لدين الله تعالى الماكرين بمنهجه، فإنه لم يتوقف لحظة في ساحة مكان.

٣١ ـ ليس بالضرورة أن يعترف بك الخلْق، امضِ في منهجك، ولا تلتفت لقطَّاع الطريق ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

٣٢ ـ الدعوة لا تحتاج إلى رخصة، أو شهادة، أو إذن من مسؤول، يكفي أنك تعرف شريعة الله تعالى، وتقوم بدعوة الناس إليها في ضحى النهار ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

التفسير

• ﴿الٓر﴾ من الحروف المقطَّعة التي تدلُّ على إعجاز القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ أي القرآن الكريم ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ من ظلمات الكفر والضلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إلى نور الإيمان والحق ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ أي إن ذلك الإخراج والتوفيق للحقِّ بإذن الله تعالى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ إلى طريق ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ من لا غالبَ لأمره ﴿ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ المحمود في أمره.

• ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿وَوَيۡلٌ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ شَدِيدٍ ٢﴾ عذاب عظيم.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يؤثرون الدنيا ويقدِّمونها على ما عند الله تعالى من الجزاء ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن الطريق التي أرادها الله تعالى لعباده ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي سبيل الله ﴿عِوَجًا﴾ غير مستقيمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين هذا وصفهم ﴿فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ٣﴾ ضلال واضح بيِّن.

• ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ بلغتهم وبلسانهم الذي يفهمونه ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ ما يحتاجون إليه من الدين ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بعدله ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ بفضله؛ لأن الهداية والضلال وإن كانت بيد الله إلَّا أنها مترتِّبة على أسبابها التي هي من فعل أهلها ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمره ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ في حكمه وقدره.

• ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ حججنا الواضحة البيِّنة؛ وهي التسع الآيات ﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ من ظلمات الكفر

والجهل ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ نــور الحق ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ ســنن الله تعالى في المؤمنين والكافريــن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ عبر وعظات ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ كثير الصبر والتحمُّــل ﴿شَكُورٍ ۝٥﴾ لله تعالى على ما يصيبه مِنْ خيرٍ أو شر.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أعظم أثر القرآن على الإنسان لَوْ فَقِهَ معانيه! ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾.

٢ ـ الدعوة بالقرآن كفيلةٌ بإزاحة الظلام العارض في النفوس (لو أتقنوه) ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾.

٣ ـ ماذا لو أخذنا من أوقاتنا للقرآن قراءة وتدبُّراً! ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾.

٤ ـ قال لي ذات مرة: قبل أن يؤذن المؤذن بربع ســاعة إلى وقت الإقامة من كل صلاة جعلته لكتاب الله تعالى، ورأيت آثاره في جوانب كثيرة من حياتي ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ وقال آخر: ألزمت نفسي بعد كل صلاة بخمسة عشر دقيقة لكتاب الله تعالى ووجدت الحياة.

٥ ـ من فواتح الله تعالى علــى بعض المجالس أن جعلوا لهم فــي كلِّ لقاءٍ بدايةً تدبريَّةً مع آيةٍ أو بضعِ آياتٍ من كتــاب الله تعالى ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾.

٦ ـ من يدير شأن الكون حقيقٌ بالإجلال! ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾.

٧ ـ لو فقهت القلوب هـذا المعنـى ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ لأقبلت إلى ربها بشوق!

٨ ـ يا أيها المحزونون، ويا أيها المرضى! ويا أيها المكلومون! اسـتدبروا هذه الدنيـا، وأقبلوا إلـى الله، فهو يملك لكـم كلَّ شـيء ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾.

٩ ـ ما أكثر نسخ هذه الصورة في واقعنا! ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

١٠ ـ هل تتصوَّر أن إنسـاناً يعيش بهذه الدنيوية والعدوانية! ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

١١ ـ طابت لهـم الحياة فصـاروا عقباتٍ فـي طريق الحـق، وهيهات ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

١٢ ـ من شؤم الإنسان في الحياة أن يعيش لرسـالة الباطل، يطاردُ الحقَّ ويتعبَّد للشهوات ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

١٣ ـ حين تُزيِّن شهوةً بقلمك، أو كلمتك، أو رسالتك، أو لقائك، أو تفتح طريقاً لشبهة، تكون من حملة هذا المعنى في مساحتك ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

١٤ ـ بعضهم تسنّم وظيفةً ومسؤوليةً ومكاناً عالياً، فتحوّل خصماً لدين الله تعالى مع الأيام ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

١٥ ـ لم يُبقِ الله تعالى حجّةً لمخلوق ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

١٦ ـ من شفقة الله تعالى بخلقه أن بعثَ إليهم رسلاً بلسانهم، يفقهون عنهم ما يقولون، ويدركون ما يريدون ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

١٧ ـ «**حدِّثوا النَّاس بما يعرفون، أتريد أن يُكذَّبَ الله ورسوله**»[1]: رسالة في المعنى ذاته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

١٨ ـ لا تُلْقِ على الناس حديثاً لا يفقهون مرادك منه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

١٩ ـ الدعوة فنٌّ! والبيانُ من أعظم مقاصدها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

٢٠ ـ حَسْبُ الداعية العنايةُ بموعظته، أمَّا بلوغ هدفها ورسالتها في القلوب؛ فذلك شأن الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٢٧) من كلام علي رضي الله عنه.

٢١ ـ من رحمة الله تعالى بالإنسان أن اختار له رسولاً وبلسانه، حتى لا تبقى له حجَّةٌ في الاعتذار ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

٢٢ ـ من شؤم الإنسان أن لا تلقى هذه الرسالة طريقاً إلى قلبه مع الأيام ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

٢٣ ـ من كمال رحمة الله تعالى أَنْ بعثَ رسله مؤيَّدين بالآيات والحجج والبراهين، حتى يحصل بهم المقصود في هداية الخلق ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

٢٤ ـ الذين لم يجربوا الاستقامة، لم يعيشوا ظلالها الوارفة بعد ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ لن يتخيَّل هذا الظلام إلَّا مَنْ عاشه، ولن يتخيَّل هذه الطمأنينة إلَّا من جرب أحداثها، وذاق لذائذها مع الأيام.

٢٥ ـ ما أكثر أثقال الدعاة! كم من محرومين من هذه الهداية، لم يجدوا من يدلُّهم عليها بعد! ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

٢٦ ـ التذكير بنعم الله تعالى طريقٌ لتقريب القلوب إلى مراد الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

٢٧ ـ التذكير بأيام الله تعالى في المعرضين، وسننه في الأولين: طريقٌ لهداية الناس ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

التفسير

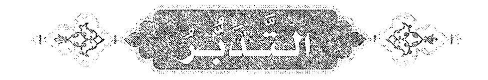
• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بألسنتكم وبقلوبكم ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه وجنده وحاشيته ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذلُّونكم ويحتقرونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدَّه وأذلَّه ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الذكور، حتى لا يولد منكم من ينازع فرعون في ملكه ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يتركونهن أحياءً لإهانتهن وإذلالهن ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ ما يفعلون بكم ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ⑥﴾ ابتلاءٌ لكم كبير.

• ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أعلم ووعد ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمه وآثاره عليكم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من النعم ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم فضله عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ⑦﴾.

• ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن عبادتكم ﴿حَمِيدٌ ⑧﴾ مستوجب للحمد لكثرة إنعامه تعالى.

• ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خبرُهم وقصَّتُهم ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من كثرتهم وتطاول أزمانهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ وضعوا أيديهم في أفواههم استنكاراً لما جاءت به الرسل، وردّاً له ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ فلن نؤمن به ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ⑨﴾ ما تدعونا إليه لم نتحقَّق منه؛ فهو عندنا غير بيِّنٍ ولا واضح.

• ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ فلا أظهر منه بهذه الدلائل التي أراكم من خلقه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمان ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ التي اقترفتموها بكفركم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل موتكم، فلا يعاجلكم بالعقوبة في الدنيا ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الكفار: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أيُّها الرسل ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فرق بيننا وبينكم ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ تصرفونا عن آلهة آبائنا ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ١٠﴾ حجَّة بيِّنة ظاهرة على صدقكم.



١ ـ من فقه الداعية أن يتسلل إلى قلوب المدعوين بأخبار النعم والأحداث السَّارَّة في حياتهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٦﴾.

٢ ـ التركيزُ على السُّنن الإلهية وبعثها في نفوس الناس بابٌ يلج منه الداعية إلى مقاصد كثيرة في دعوته للآخرين ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾.

٣ ـ الشكر هو الطريق الأوسع إلى بقاء النعم واستمرارها في حياتنا ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾.

٤ ـ اعتراف القلب بالنعمة، واللهج بها باللسان، واستثمارها في الطاعة والبرِّ والمعروف، هو الشكر الحقيقي لنعم الله تعالى على صاحبها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾.

٥ ـ كلُّ نعمةٍ لم يحفل بها صاحبها لا تدوم في رحابه طويلاً ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾.

٦ ـ الدعوة فنٌّ، بعد أن فتح لهم نبيُّ الله تعالى آفاقَ نِعَم الله تعالى عليهم ذكَّرهم بغنى الله تعالى عنهم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾.

٧ ـ التوازن في الدعوة ضرورةٌ، وهو أصلٌ في كلِّ شيء ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ ترى ذلك من خلال الجمع بين الترغيب والترهيب.

٨ ـ الدعوة التي تركِّز على الخطاب الوجداني البحت تخرج بشخصياتٍ لا تحمل مشروعها باقتدار ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ والدعوة التي تركِّز على خطاب الترهيب فقط تخلِّف شخصيات مهزوزةَ الثقةِ ضعيفةَ التأثير، والتوازن يصنع ذلك الجمال، ويأتي على الرسالة التي يجب أن تكون.

٩ ـ الكِبْر والإعراض عن الحق لا يخلِّف في حياة أصحابه إلَّا الحسرات ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾.

١٠ ـ قراءة التاريخ بابٌ لاستلهام قصص الماضين، وأحداث الغابرين ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا

﴿كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ المهمُّ أن يُقرأ للعبرة! ويكون بوابةً لاستلهام درس الذكرى منه بوعي.

١١ ـ مشكلة الكِبْر ظلَّت وما تزال عائقاً في طريق كثيرين عن مباهج الهداية ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ تراه لا يرضى أن يستفيد من غيره، ولا تطيب نفسه من ذلك بشيء.

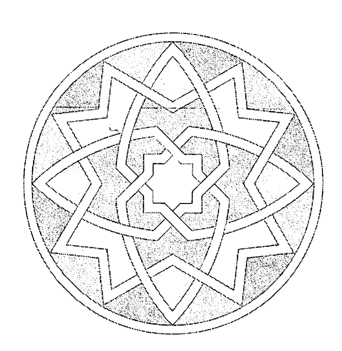
١٢ ـ تأجير العقول مشكلةٌ مزمنة ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

١٣ ـ كم مرَّة وقفت العادات السلبية عائقاً أمام طموحات وأحلام صاحبها ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

١٤ ـ ليست المشكلة في نقص الحجج والبراهين، وإنما في التكبُّر على الحقائق ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ في الحقِّ يطلبون سلطانه وحجته، وفي الأوهام يأخذون بدون وعي!

١٥ ـ كم مرَّة وقف مطالباً بالحجج والأدلة على جملة من حقائق الوحي، ويأخذ أقلَّ من هذه المواقف من مجاهيل ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.





قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

التفسير

• ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالرسالة ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ حجَّة بيِّنة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ليس لنا في ذلك شيء ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ يعتمدون عليه ويفوِّضون أمورهم إليه.

• ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لا عذر لنا في ألَّا نتوكَّل عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ بصَّرنا ودلَّنا على الحق والهدى ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ لنستمرنَّ على دعوتكم مهما كان إيذاؤكم لنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ يعتمدون عليه ويفوِّضون أمورهم إليه.

• ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ نخيِّركم بين أن تعودوا في ملَّتنا، أو نخرجكم في حال عدم إجابتكم إلى ذلك ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ نعذِّبهم ونهلكهم بالعقوبات.

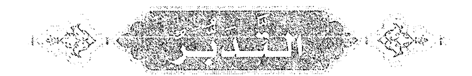
• ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ ننصركم عليهم، ونجعل لكم ميراث الأرض بعدهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ ما تقدم من إهلاك الظالمين واستخلافكم في الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ موقفي يوم الحساب ﴿وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ وعيدي بالعذاب.

• ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ طلب الكفار فتح الله تعالى بينهم وبين أوليائه فجاءهم ما استفتحوا به، وحلَّ بهم ما توعَّدهم الله تعالى به ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متجبِّرٍ على الله تعالى وعلى الحق ﴿عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ مُعانِدٍ للرُّسل.

• ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ من أمامه، وهي جزاؤه ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ ما يسيل من أجساد أهل النار.

• ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ يتكلَّف شربه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ يبتلعه ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ يأتيه العذاب من كلِّ جهةٍ من الجهات، ومن شدَّته يبلغ به إلى الموت ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ حتى يستريح، وإنما يبقى حياً زيادة في عذابه ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ ﴾ من أمامه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ شديد.

• ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ التي عملوها في الدنيا ﴿ كَرَمَادٍ ﴾ كالرماد الذي يُذَرُّ في يومٍ شديدِ الريح لا يبقىٰ منه شيء ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ لا ينالون من أثره شيئاً ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ غاية الضلال.



١ ـ الرسالة اصطفاء واختيار ومنَّة من الله تعالى على عبده ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

٢ ـ حتى الاستقامة التي منَّ الله تعالى بها عليك هي منَّة منه وفضل، وكم مِنْ محرومٍ في الطريق! ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ ولذلك الحاجة ملحَّةٌ جداً لإدراك هذا المعنى والفرح به، والمحافظة عليه، والقيام بحقوقه.

٣ ـ التوكل على الله تعالى أصلٌ متينٌ يجب أن يأخذَ حظَّه من قلوب المؤمنين ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

٤ ـ الفرح بالهداية داعٍ للقيام بحقوقها ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ حين شعروا بها صارت موجبةً للتوكل على الله تعالى، والقيام بحقوقه كما يشاء.

٥ ـ من توفيق الله تعالى لعبده أن يردَّ نعمه وفضائله إلى مسديها في الأصل ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٦ ـ ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ رسالة في أنَّ كلَّ نعمةٍ تجد أثرها في حياتك هي من ربك ومولاك.

٧ ـ التجرُّد من حظوظ النفوس موجبٌ للفرح بمواهب الله تعالى ونعمه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾.

٨ ـ بعض مظاهر العدو إذا استحوذ على مساحة من الأرض ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾.

٩ ـ الأرض أوسع من هذا الخيار، لكن الشهوات تأبى إلَّا هذا الضيق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾.

١٠ ـ جعلوا من أنفسهم مُلَّاكاً للأرض، وأعلنوا فيها الخيار الذي يريدون ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾.

١١ ـ منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، لم يكن هناك وفاقٌ بين الرسل وأصحاب الضلال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾.

١٢ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ رسالةٌ في وأد الحُرِّيَّات، وإجهاض حقوق الآخرين دون عذر!

١٣ ـ ﴿مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ ليست أرض الله تعالى، وإنما أرضهم وهم ملَّاكها؛ فإما أن تكون عبداً في أغلال المتكبرين، وإما أن تخرج من أرضهم.

١٤ ـ ينصر الله تعالى رسله؛ ويردُّ كيد الكائدين عن أوليائه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

١٥ ـ ليست العبرة بما يقال، وإنما العبرة بقصة النهاية في كلِّ شيء ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

١٦ ـ جزء من عاقبة الظلم والظالمين ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

١٧ ـ إذا سمعتم كافراً يتبرَّع بأمواله، أو يهب منها صدقاتٍ، أو يوقف بعض حساباته، فهذه نهايات مشاريعه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ إذا ضاع التوحيد لم يُبْقِ له شيئاً! وهو الأصل وما عداه فرعٌ لا قيمةَ له إلَّا به.

١٨ ـ رعاية الشريعة للأولويات، وإدارتها لشأن حاجة الإنسان بفقه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ لم تقبل من الإنسان شيئاً إلَّا بعد التوحيد.

١٩ ـ كل موهبة وعمل ورسالة ومشروع ما لم تكن في ميزان الشريعة فهي مجرَّد سراب ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾.

* * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لحكمةٍ عظيمة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ من الأرض ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ أطوع لله تعالى منكم.

• ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ بممتنعٍ، بل هو سهلٌ قريب.

• ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي الخلائق ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ للقادة المستكبرين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ هل تملكون أن تدفعوا عنَّا عذاب الله ﴿قَالُوا۟﴾ القادة ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإيمان ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ إليه ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ﴾ من العذاب ﴿أَمْ صَبَرْنَا﴾ عليه ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ من ملجأ منه.

• ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ حين دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ بما جاء على ألسنة رسله من البعث والجزاء ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ بأنه لا بعث ولا جزاء ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ فلم أوفِ لكم بما وعدت ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ تسلُّط على إكراهكم ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ بإرادتكم ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ على دعوتي لكم ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ فهي سبب ما أنتم فيه ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم مما أنتم فيه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ بمغيثيَّ من العذاب ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بطاعة الشيطان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ مؤلمٌ شديد.

• ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يحولون عنها ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ يحيِّي بعضهم بعضاً فيها بالسلام.

التَّدَبُّرُ

١ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ رسالة في تعظيم الله تعالى، والقيام بحقِّه وقدره وإجلال شعائره.

٢ ـ السماء والأرض من أعظم مخلوقات الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ وما حاجتنا إلى شيء فيها كحاجتنا لتدبُّر خلقها، والاستدلال بمشاهدها على الكبير المتعال.

٣ ـ ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ هذا يوم سيجري على التابع والمتبوع، لا فرق!

٤ ـ يستحقُّ الذين أجَّروا عقولهم لغيرهم هذا العناء يوم القيامة ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

٥ ـ نافـذةٌ على خصام ونزاع المتكبِّرين المسـتعلين على الخلـق، والمؤجِّرين عقولهم لهم في يوم الحسرات ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١﴾.

٦ ـ كم من قارئ لهذا النزاع والخلاف، وهو مؤجِّرٌ عقلَهُ لصحيفةٍ أو قناةٍ فضائيَّةٍ أو عمودِ كاتبٍ صحفـيٍّ أو محلِّل، وسـيجري عليه ما جرى على السـابقين! ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١﴾.

٧ ـ إذا قامت ساعة الجد تلاشت الأوهام، ولم يَبْقَ منها شيء ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾.

٨ ـ كثيرون سيحاضرهم رئيسهم غداً في سـاحات النار، وسيقول لهم: أيها الهمج الرعاع ليس لكم سوى النار! ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾.

٩ ـ لعل عظةً وذكرى تبلُغُ هذه اللحظة تابعاً لهـواه، يجري خلف عدوه دون إمعان ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ

وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾».

١٠ ـ سيأتي في هذه الساحة مغترٌّ بهواه، ومنصبه، ومسؤوليته، وماله، ورعاع همج، سلَّموا عقولهم لكبرائهم كعبيد، لا فرق بين كل هؤلاء! «وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾».

١١ ـ من حقِّ الأتقياء عناقُ هذه النهايات «وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾».

١٢ ـ الجزاء من جنس العمل «وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾».

١٣ ـ إذا رأيت مرهقاً في الطريق فانفث على قلبه بهذه الذكرى «وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾».

١٤ ـ لا تشتكي مضض الأيام؛ فقد قاربت الحقائق على الوصول «وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾».

❀ ❀ ❀

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

التفسير

• ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أيها الرسول ﴿ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ وهي كلُّ كلمة خير أعلى ذلك وأسناه لا إله إلَّا الله، وما دون ذلك ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ في الأرض ﴿ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ من بركتها وأثرها.

• ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا ﴾ ثمرتها ﴿ كُلَّ حِينٍ ﴾ كل وقت ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ بفضله ومنته، وكذلك كلمةُ الإيمان قارَّةٌ ثابتةٌ متأصِّلةٌ في قلوب الناس، وفروعها من الكلم الطيب والعمل الصالح تؤتي آثارها بأوسع ما يكون ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ بالأمثال ما ينفعهم.

• ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ ككلمة الشرك، وما دونها من كلمات السوء ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ قُطِعَتْ واستؤصلت ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ هشَّةٍ لا قرارَ لها في الأرض، وكذلك كلمة الكفر والباطل، نهايتها إلى الفناء، لا ثبات لها في الواقع، ولا أثر لها في قلوب الناس.

• ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ وهو كلمة لا إله إلَّا الله ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بالثبات على الدين ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ في القبر وقت السؤال، ويوم القيامة وقت الجزاء ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ عن كلمة الحق في الدنيا والآخرة ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ من تثبيت من شاء وإضلال من شاء.

• ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ بإرسال الرسل، وبيان الحق لهم ﴿ كُفْرًا ﴾ جحوداً وإنكاراً ومعارضة ﴿ وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ دار الهلاك.

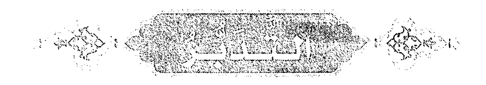
• ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يقاسون حرَّها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ بئس المقر نار جهنم.

• ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ونظراء ﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ عن طريق الحق ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ بما أنتم عليه من الشهوات ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مردَّكم ومرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يؤدُّونها كما أمرهم الله تعالى ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ يبذلون أموالهم في سبيل الله ﴿سِرًّا﴾ فيما بينهم وبين أنفسهم ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ على مرأى من الناس ليقتدي بهم غيرهم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ لا يستطيع المقصِّر أن يدفع العذاب عن نفسه بعوض ﴿وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ ولا تدفعه عنه صداقةٌ ولا خلَّةُ صديق.

• ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ على هذه الصورة العظيمة ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وهو الغيث النازل من السماء ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تعيشون به ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾ ذلَّلها لكم لتشربوا منها، وتسقي أنعامكم وحرثكم.

• ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ لا يفتران من السير ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ يتعاقبان دائماً.



١ ـ الكلمة الطيبة تبلُغُ مداها، وتكتب حظَّها من الحياة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

٢ ـ عَوِّدْ لسانك على كلمة الحقِّ، والفأل، والأمل، وإياك ولغو البطَّالين ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

٣ ـ لا تستهيننّ بكلمةٍ صادقةٍ فقد تبلغ الآفاق ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

٤ ـ لا شيء أثمن من كلمة التوحيد جذراً وأصلاً وساقاً وثمراً ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٥ ـ إذا أُعطيت كلمة التوحيد حقَّها من العناية في قلوب أصحابها ألقت بضلال الشرك والشبه والشهوات صرعى على قارعة الطريق ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٦ ـ لا إله إلَّا الله تنفخ في قلوب الخائفين والقلقين والمحزونين الفأل والأمل ومساحات الربيع ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٧ ـ لا إله إلَّا الله لا تبقي في قلبك خوفاً من مخلوق، ولا يأساً في مشروع، ولا تردُّداً في طريق ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٨ ـ لا إله إلَّا الله ضمادُ جراحٍ لكلِّ صاحبِ محنةٍ، ولواءُ نصرٍ لكلِّ صاحبِ رايةٍ، وساحاتُ أملٍ وربيعٍ لكلِّ صاحبِ مشروعٍ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً

طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٩ ـ لا تحتقر كلمةً سجَّلتها في مناسبة، أو كتبتها في صحيفة، أو شاركت بها في موقف، فقد تعانق بك الجنان ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

١٠ ـ حتى في الطريق العام، إذا لقيت صاحب صنعة أو مهارة أو صانع معروف، فادفعه بكلمة أمل تأتيك أحداثها في يوم أحوج ما تكون إليها ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

١١ ـ وكلمة الشرك تلقي بصاحبها في السحيق ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

١٢ ـ لا تحتفل بكلمات الضلال التي يردِّدها الأعداء، هي كهذا المثال تماماً ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

١٣ ـ رأيتهم يحلِّلون كلمة رئيس دولة كافرة، ويترجمونها، ويقلِّبونها على كل وجه، وهي لا تعدو هذه الحقيقة ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

١٤ ـ لا تحتقر كلمتك السيئة في أي موقف، أو مساحة، أو مكان، فقد تدلف عليك بفجائع المواقف في يوم الجزاء والحساب ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

١٥ ـ كتب كتاباً، وسجل رسالة صوتية، وشارك في محفل، فتَرَكَ بها إرثاً سيئاً، ومات وهي تدرُّ عليه بالشقاء في كل صباح ومساء ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

١٦ ـ حتى الكلمة التي تقولها في مجلس ما، قد تُغِيْرُ عليك، وتلقي بك في مهاوي الـرَّدى يوماً ما ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

١٧ ـ بشارة لكل مؤمن في الحياة بحسن الختام ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ وبشارة في الوقت ذاته لكل ظالم جاحد.

١٨ ـ تستحقُّون يا أهل الإيمان هذه الخواتيم المبهجة في النهايات ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وتستحقون يا أهل الضلال هذه النهايات البئيسة في الحياة ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

١٩ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ ليست حكايةً لتاريخ قريش فحسب، بل لكلِّ من خلَّف آثار الفوضى في حياة مجتمعه وقومه وأمته.

٢٠ ـ ثمَّة أناسٌ هم سبب الضياع فيما يحلُّ بمجتمعاتهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ هم الذين بدَّلوا نعمة الله تعالى، ومَنْ حولهم كان دورهم الفرجة أو المشاركة العملية أو حتى المشاركة الوجدانية؛ فصاروا في النهاية كلُّهم إلى لا شيء.

٢١ ـ المنافقون رأس هؤلاء، وقاعدتهم، وذروة سنامهم، ما أكثر ما صنعوا فواجع في مجتمعاتهم، لا كثَّرهم الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٢ ـ كانت الأمة في حالةٍ رخاءٍ حتى دقُّوا باب المنكرات، وفتحوا أبواب النزاع والخلاف ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٣ ـ مِنْ هؤلاء من يشترطون في زواج ابنتهم أن تغنِّيهم مطربةٌ أجرتها آلاف الريالات ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ ومنهم من ينفقون أموالاً طائلة على كراسي الحضور، وعلى أكواب الورد، وعلى رؤوس العرائس والحضور، ويدوسون على النعم دون تورُّعٍ أو خوف، ومنهم من يلقون نعم الله تعالى إلى الشوارع العامة، وهي تكفي أمماً من الجياع في الطرقات ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٤ ـ كلُّ الذين بدَّلوا نعمةَ الله تعالى كفراً متوعَّدون بأسوأ النهايات ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٥ ـ الذين ألَّهوا المخلوقين هم صنعوا بدايات الضلال ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

٢٦ ـ تسمع حفلاً فَتَتَخَيَّلُ أن المسؤول الحاضر في تلك الأمسية يؤلَّه ليكون معبوداً للعالمين ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

٢٧ ـ اعتنِ بصلاتِكَ، وأقم لجلالها معنًى، وتفوَّق في خشوعها، وَثَمِّرْ مالك في سبل الخيرات، وستكون على موعد مع الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ﴿قُل

لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾.

٢٨ ـ لا فرق بين صدقة المُسِرِّ المتورِّع المتطلِّب بها الخبايا الصالحة، والمعلن بها راجياً حثَّ الناس على السباق إلى المعالي ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ وإذا خلصت نية المعلن فقد كسب مرتين، مرة بماله، وثانية بِسَنِّه لِسُنَّةٍ حسنةٍ في العالمين.

٢٩ ـ في مرَّات كثيرة نحتاج إلى بطل يعلن صدقته ليقتديَ به المسلمون ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾.

٣٠ ـ في بعض المواقف تتمنَّى أن تضربَ صاحبَ الورعِ الباردِ بسوطٍ على ظهره ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ ربُّه يدعوه للصَّدقةِ على رؤوس الخلائق، وهو يريد لحاف الضعفاء!

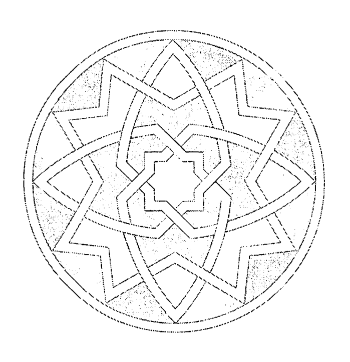
٣١ ـ الصلاة والصدقة أعظم ما يعين على النجاة يوم القيامة ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾.

٣٢ ـ هذا هو الله فما لكم عنه معرضون! ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن

تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ ماذا بقي من النعيم لم يصنعه الله تعالى للمخلوقين؟!

٣٣ ـ من حقِّ صاحبِ النِّعمةِ أَنْ يُطاع ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ يا لقبح ما يصنع المعرضون! يهبهم الله كلَّ شيءٍ، ولا يقومون له بشيء.





وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

التفسير

- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أعطاكم كل ما تحبون وتطلبون ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ عليكم ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تستطيعوا عدَّها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ لنفسه بارتكاب المعاصي ﴿كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ جحودٌ لنعم الله تعالى.

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾ ممَّا يُخاف منه ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ اجعلني وإياهم مجانباً عبادة الأصنام.

- ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ضلُّوا بسببها ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ فصار مسلماً موحِّداً ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ لم يؤمن بالله تعالى ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ فتغفر وترحم من تشاء، وهذا من كمال شفقته عليه السلام.

- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ إسماعيل وولده ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ مجدب لا زرع فيه ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لأجل إقامة الصلاة فيه ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾ قلوباً ونفوساً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تحنُّ إليهم، وتحبُّ مكانهم، وتأوي إليهم ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مما يمكنهم من العيش والاستقرار ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ نعمتك ويقومون بواجبك.

- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ بيننا وبين أنفسنا ﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾ من الأعمال الظاهرة ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ فكل شيء يعلمه، لا يغيب عنه منه شيء.

• ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾ أعطاني ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ وأنا كبير لا يولد لمثلي ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ أبناء ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٩﴾ يسمع دعاء عبده ويجيبه.

• ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ محافظاً عليها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ ممَّن يحافظ على الصلاة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ اقبله وأتمَّه لنا.

• ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى﴾ ذنوبي ﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وذنوب والديَّ ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذنوب المؤمنين ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١﴾ يوم القيامة.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أنت قادرٌ على عَدِّ نعم ربك، ومثلك لا يطيق حصرها ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾.

٢ ـ مهاراتك، وقدراتك، وإمكاناتك، وتفوقك، ونجاحك، وتميزك، ووظيفتك، ومسؤوليتك، ومكانتك، وجاهك، وسلطانك، كلُّ ذلك بعض نعم الله تعالى عليك ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾.

٣ ـ حتى جسدك الذي تجري فيه روحك، وعافيتك، وبيتك، وأسرتك من فضل الله تعالى عليك ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾.

٤ ـ لو بقيت عمرك كلَّه تعدُّ نعم الله تعالى عليك لجفَّ حبرك، وكلَّت يدك، وملَّت نفسك، ولم تأتِ على جزء من تلك النعم ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾.

٥ ـ مشكلتنا أننا نقول الحمد لله تعالى بألسنتنا، ونخفق فيها عملاً وتطبيقاً ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

٦ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ ترى من يفرز خرز مسبحته ذاكراً وشاكراً بزعمه، وهو في زحام منكرٍ لا يبالي بمن يعصيه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

٧ ـ النعم تحتاج مغتبطاً، لا يملُّ من ذكر الله تعالى وشكره وحسن عبادته ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ لا تحتاج صوراً وأشكالاً لا علاقةَ لها بشكر الله تعالى في شيء.

٨ ـ وجد رواء قلبه في المسجد، وعاش زمناً طويلاً يشارك المؤذن في الحضور، ثم ما لبث أن أخذ يتباطأ حتى فاتته الجماعة مرَّات، ثم عاد يشكو مضض الآلام ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

٩ ـ منَّ الله تعالى عليه بحفظ القرآن، وظلَّ مرابطاً على ورده والتَّرنُّم به وتدبره، ثم ما لبث أن أطلق بصره في الحرام، وضاع منه في النهاية كلُّ شيء ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

١٠ ـ عاش مغتبطاً بماله، مسروراً بعدم ديونه، ثم ما لبث أن أغراه الزملاء في تجارةٍ كبيرةٍ فأخذ يتعامل ربا، ثم غرق في الديون إلى شحمة أذنيه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

١١ ـ سيظل هذا البلد آمناً ما بقيت الحياة، هذه دعوةُ أبي الأنبياء ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ حين تدعو بأمن هذا البلد تدعو ببقاء هذا الدين.

١٢ ـ ردِّد في دعائك أن يحرس الله تعالى هذه البلاد من كلِّ فاجرٍ وظالمٍ تَلْحَقْ بركبِ الأنبياء ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾.

١٣ ـ ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ أبو الأنبياء يتضرَّع في دعائه ألَّا يكون عابداً للأصنام، ماذا أبقيتَ لمن بعدك يا إبراهيم؟!

١٤ ـ أبو الأنبياء يخافُ على نفسه الشرك، وبعضنا يراهن على أنه من الأتقياء ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾.

١٥ ـ لو أن تقياً وضع عمله بجانب عمل هذا النبي، ثم قارن ما في قلبه بقلب هذا النبي عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾.

١٦ ـ هذا النبي الكريم الذي زكَّاه الله تعالى بأنه أمَّةٌ وحده، يتضرع ألَّا يكون من المشركين؛ فماذا بقي من مفردات الدعاء لبعضنا تصلح للترديد؟! ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾.

١٧ ـ كثيرون يغمرهم الخوف على واقعهم، وهذا الكبير مشغولٌ بتلك الذرية التي ربما تغفل عن الدعاء ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾.

١٨ ـ لا تنسَ ولدك من دعائك ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ وما يدريك أن تغمره بالفرح ما بقي من عمره!

١٩ ـ نافذة على أخلاق الكبار ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ حتى الذين عصوه وخالفوه واجتالتهم الأصنام، يتضرع إلى الله تعالى أن يغفر لهم ويرحمهم، ما أوسع أخلاق الأنبياء!

٢٠ ـ حينما تتحـوَّل الدعوة إلى ذواتنا، تبدأ الانتصارات الشـخصية ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ نحتاج أن نحرِّر هذه المفاهيم في قلوبنا قبل أن نخوض رحلة الأنبياء.

٢١ ـ ما لك وله! إن أقبل فذاك المُنـى، وإن أدبر فادع الله تعالى له أن يعيده إلى التوفيـق ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

٢٢ ـ يُذكِّرني هذا الموقف بخلق نبينا ﷺ وملـك الجبال يعرض عليه أن يجتث أهـل الطائف من الأرض، فيرفض الفكرة، ويشـتاق إلى أجيـال الغد من ذلك التاريـخ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

٢٣ ـ الحدب على الفكرة، والعناية بالمشروع، وأخذ كافة السبل الكفيلة بالنجاح هو الطريق الأقصر نحـو تحقيق آمالك في الحياة ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٤ ـ نجاح المشروع وقفٌ على هذه الهموم الكبيرة التي تجتاح قلب صاحبها ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٥ ـ الغاية الكبرى التي تهتفُ بها أشواقُ هذا الكبير لذريَّته (إقامة الصلاة) فكم بذلنا لأجيالنا من هذا المعنـى البهيج؟! ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٦ ـ يُلقي بذريَّته في فِنَاءِ بيتٍ غير ذي زرع، ويسأل الله تعالى أن يفتح عليهم في أعظم شعائر الدين، كذلك يصنع الوعي ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٧ ـ هذه النعم التي تحفُّ الحرم جزءٌ من بركات دعاء ذلك النبي الكريم ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يا لشأن الدعاء لو تدبرناه!

٢٨ ـ حتى سؤال الله تعالى لهم الرزق لا ليشبعوا فحسب، وإنما لتتم عبادة الشكر ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٩ ـ يسأل الله تعالى بلواعج الشوق التي تنتاب قلبه ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾.

٣٠ ـ إذا صلحت السرائر، وصدق الإنسان في مطلوبه أقبلت عليه نعم الله تعالى تتهادى بين يديه ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾.

٣١ ـ استشعار النعم مفضٍ بصاحبها إلى استلذاذ نعيمها، وتذكار آثارها، والحرص على بقائها وعدم ضياعها ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾.

٣٢ ـ مشكلتنا أننا لا نعرف كثيراً من النعم التي أظلّنا الله تعالى بها وحَرم منها كثيرين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

٣٣ ـ هذه أماني الكبار والصالحين في الأرض في كل حين ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٤ ـ الذين يدركون عظمة الصلاة ويعرفون آثارها، يهبون لها من أوقاتهم ودعائهم وأمانيهم كلَّ شيء ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٥ ـ الشعور بالأولاد وفلذات الأكباد قضيَّةٌ أخرى، تحتاج إلى قراءة درس وإمعان ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٦ ـ يا أيها الآباء! المسألةُ أكبرُ من طعامٍ وكساءٍ ومعرفة، الصلاةُ أوّلُ الأشياء ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٧ ـ القلوب الكبيرة لا تنسى من حولها ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

٣٨ ـ ذاك تسأله وتلحُّ عليه أن يدعوَ لك، وهذا تثور في وجدانه محبة المؤمنين، ويلهج لهم بالدعاء في كل حين ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى
رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ
ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ
أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟
أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى
مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ
فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟
مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ
لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ
وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

التفسير

• ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فلا يقع في ظنِّك أن الله تعالى لا يعلم ما يفعل الظالمون ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ ترتفع ولا تطرف من هول الموقف.

• ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين إلى إجابة الداعي والمنادي يوم القيامة ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعي رؤوسهم إلى السماء، ينظرون إليها نظر فزع وذل ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا تغمض أعينهم، بل هي شاخصة ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ وقلوبهم فارغة من شدة الخوف.

• ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ عظهم وبلِّغهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ردَّنا إلى الدنيا مرة أخرى، وزدنا مهلةً من العمر ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ إلى الحق ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فيما يأمرون به وينهون عنه ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾ بالله تعالى ﴿مِّن قَبْلُ﴾ في أيام الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ من خروج من الدنيا.

• ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ حللتم في أرض الظالمين بما يكفي للعبرة والعظة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ ورأيتم ما حلَّ بهم من العذاب حين كفروا به، ولم يستجيبوا لرسله ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ الكافية للعبرة والعظة.

• ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟﴾ أي المكذبون للرسل ﴿مَكْرَهُمْ﴾ وهو كلُّ ما عارضوا به الرسل، وردُّوا به أمر الله ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ لا يفوته منه شيء علماً وقدرة ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ من قوَّته وعظمته.

• ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بالنصـر والغلبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالبَ لأمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧﴾ ممَّن أراد أن ينتقمَ منه.

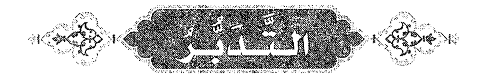
• ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ بـأرضٍ بيضاءَ نقيَّـة ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ تبدل كذلك ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ الخلائق ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ لكلِّ سلطان.

• ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ يـوم القيامـة ﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩﴾ مشدودين في القيود.

• ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ ثيابهم وقمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ وهو مادَّةٌ تطلى بها الإبل ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ تعلو وجوههم وتصليهم النار.

• ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ما اقترفت من عمل في الدنيا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾ يعاجل كلَّ إنسانٍ بما يستحق.

• ﴿هَٰذَا﴾ ما مرَّ من الوعيـد ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ موعظة وذكرى لهم ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ لعله يعظهم، ويردُّهم إلى الحـق ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾ وليتعظ أصحاب العقول.



١ ـ لا تستبطئ هلاك الظالمين؛ فثمَّة موعدٌ يدبره الله تعالى للنهايات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢﴾.

٢ ـ كل ما يجري في الكون من أحـداث الظالمين، تجري فـي قدر الله تعالى بميزان ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢﴾.

٣ ـ لله تعالى حكمٌ كثيـرةٌ في كلِّ حدث، وإنَّا لصبـح الفرج لمنتظرون ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾.

٤ ـ الدنيا ليست بدار جزاء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ فلا تجزع لتأخُّر النصر فيها، ولا تعجل على هلاك الظالمين.

٥ ـ لا يأتي على لسانك: متى يعاقب الله الظالمين! ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

٦ ـ حسب الدعاة والمصلحين القيامُ بواجبِ الدَّعوة، وما عدا ذلك فليس لهم منه شـيء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

٧ ـ ما زالت الدعوة تهتـف بقلوبنا أن تتمحَّضَ من حقوقها الشـخصية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ علينا أن نؤدِّي واجبَ الدعوة، ويجري الله تعالى قدره في حساب الظالمين.

٨ ـ الذين ينتظرون جزاءً عاجلاً لدعوتهم، يخشـى عليهم أنهم لم يصيبوا طريق الأنبياء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

٩ ـ ثمَّة يومٌ يتمنى فيه الظالمون أن لو جرى التأخير قليلاً، هيهات!! ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

١٠ ـ كم من فرصةٍ فاتت على صاحبها، وأبقت له الحسرات! ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ الغفلة حين تلقي بظلالها على صاحبها لا تُبقي له موطناً للإدراك.

١١ ـ العدو يخوض معركته مع الحق، ويبذل كلَّ الأسباب الممكنة لإعاقته ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

١٢ ـ لعلَّ القاعدين يفيقون من قعودهم، وهم يسمعون وصف الله تعالى لمكر عدوهم ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

١٣ ـ مكر العدو مُقابَلٌ بمكرِ الله تعالى، ولكن على مدد الأسباب التي يبذلها أصحابُ الحقِّ في الواقع ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

١٤ ـ الغلبة في النهاية لدين الله تعالى، رغم أنوف المعارضين ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٦﴾﴾.

١٥ ـ هذه سنَّةُ الله تعالى، لا تقبل التبديل ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾.

١٦ ـ إلى كل المجاهدين، وأصحاب المشاريع، وحملة الرايات! واصلوا الطريق وأنتم مطمئنون للنهايات ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾.

١٧ ـ إلى كل الذين أصابهم اليأس والقلق والخوف على دينهم، هذا هو وعد الله تعالى في عُرْض الطريق ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾.

١٨ ـ إلى الذين يسألون عن مشهد النهايات! ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾.

١٩ ـ إلى كل المعرضين عن الحقّ، المعارضين لدين الله تعالى! هذه خواتيم أيامكم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾.

٢٠ ـ مَنْ لم يستقبل هذا القرآن بوعيٍ فقد فاته من الحياة كلُّ شيء ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾.

سُورَةُ الحِجْر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾

التفسير

- ﴿الٓر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي الآيات الواردة في هذه السورة ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ واضح بيِّن لكل من قرأه.
- ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ يتمنَّى كل كافر يوم القيامة أنه لو أسلم لله وامتثل لشرعه.
- ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بلذَّات الدنيا ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ عن العمل للدار الآخرة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ عاقبة تفريطهم.
- ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ قد كانت مستحقة للعذاب ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ مقدَّر لهلاكهم.
- ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ لا يأتي هلاكها قبل حلول أجلها ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ وما يتأخرون إذا حلَّ أجلهم.
- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الكافرون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ تتكلَّم ولا تدري ما تقول.
- ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ إن كنت صادقاً فلتأتِ بالملائكة تشهد معك.
- ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لا ننزِّل الملائكة إلَّا وفق ما تقتضيه حكمة الله تعالى، وذلك حين موعد إهلاكهم بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ ولو أنزلنا عليهم الملائكة لما كانوا ممهلين عند حدوث المخالفة منهم.

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ فلا يناله أحد بتحريفٍ ولا تبديلٍ ولا تغيير.

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ في أممهم وأقوامهم.

• ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ لا يصدِّقون، وإنما يستهزئون به ويسخرون منه.

• ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي الكفر والضلال والتكذيب ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢﴾ فلا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه.

• ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ عادة الله تعالى فيهم بإهلاكهم.

• ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ على المكذبين ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ﴾ في ذلك الباب ﴿يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾ يصعدون ويشاهدون ما في السماء.

• ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ أصابها سُكْرٌ وغشاوة ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ أصابنا سحرٌ حتى رأينا ما لم نر.



١ ـ كم من أماني قطَّعت قلوب أصحابها حسرات بعد الفوات! ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ حين تنكشف الحقائق، لا تبقى سوى الحسرات.

٢ ـ في السِّيَرِ أن رجلاً من السلف كان في غزوة وجهاد، وكان حافظاً للقرآن، فرأى امرأة من الروم، فأعجب بها وأرادها، فقالت له: بشرط أن تتنصَّر فتنصَّر،

فلقيه من لقيه بعد زمن فقال: ما بقي من صلاتك وصيامك وقرآنك؟ فقال: لم يبقَ منها إلَّا قول الله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾.

٣ ـ ما زالت الفرص تعرض نفسها ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ أياً كانت الانحرافات التي تواجه صاحبها، ما زالت الفرصة مواتية، والأبواب مفتوحة، والنوافذ مشرعة قبل ألَّا يجدي أسفٌ أو يفيد دمعٌ.

٤ ـ كثيرون في رحاب هذه الغفلة ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ كم هم الذين يأكلون من نعم الله تعالى، وتغشاهم سُتر آلائه، وما زالوا في غياهب الضياع!

٥ ـ إذا ضاعت الرؤية ضاع من الإنسان كلُّ شيء ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾.

٦ ـ إذا لم يكن لدى الإنسان رؤيةٌ توجِّهه ولا هدفٌ يبعث فيه الأشواق كل يوم، فسيظل على الهامش لا يُرجى منه شيء ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾.

٧ ـ جرى في قدر الله تعالى أنَّ لكلِّ شيء نهاية ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾.

٨ ـ لا تتأسف على حلول قدر الله تعالى؛ فذلك موعده في اللوح المحفوظ ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾.

٩ ـ كثرة الأسئلة والطلبات لا تدلُّ على الجهل، وإنما تدل على الكبر والعناد ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾.

١٠ ـ ليست مشكلة المعاندين في ضعف الدليل كما يزعمون، وإنما في الاستكبار عليه ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

١١ ـ الآيات التي ينزلها الله تعالى ليست خاضعة لأهواء السائلين والمعارضين ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

١٢ ـ كل الجهود المعارضة لهذا القرآن ستموت في مهدِها، لن تبلغ من كتاب الله تعالى شيء ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

١٣ ـ من دلائل هذا الحفظِ: إقبال صغار المسلمين على ضبط حرفه، ومعرفة آيه، وكشف أي تحريفٍ عارضٍ فيه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

١٤ ـ كثيرون لم يؤمنوا بالرسالة، ولم ينتفعوا بها في شيء؛ فعادوا خاسرين ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

١٥ ـ الإعراض عن الحق سنَّةٌ جاريةٌ منذ فجر التاريخ إلى يومك هذا، لم يتغيَّر شيء ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

١٦ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ أعرضوا عن الحق؛ فعوقبوا بعدم الإيمان والهداية.

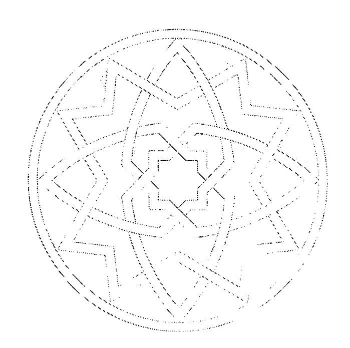
١٧ ـ القلوب المنكوبة لا تكاد تبصر الحقائق، ولو رأتها رأي العين ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

١٨ ـ يخرجـون من عنق الزجاجة، ويَسْـلَمون من حـوادث نتائجها فواجع، ثم لا تفيدهم في شـيء ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

١٩ ـ لا تحزن على فوات حظوظ الدعوة من قلوب المعرضين، لو دفعت لهم كلَّ شيء لم يؤمنوا ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ حسب الدعاة إلى الله تعالى بلاغُ الرسالة، والنهايات بِيَدِ علَّام الغيوب ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.





وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ نجوماً كالأبراج العالية ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ جعلناها جميلة في أعين الناظرين إليها.

• ﴿وَحَفِظْنَٰهَا﴾ أي السماء ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ متمرِّدٍ من الجن ﴿رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ مطرودٍ عن رحمة الله تعالى.

• ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ من الجن ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ إلَّا من استمع للملأ الأعلى خِلسةً فلحقه شهابٌ مبينٌ فيحرقه.

• ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ بسطناها وفرشناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثابتة ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ مقدَّرٍ مقنَّنٍ وفق حكمة الله تعالى.

• ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَعَٰيِشَ﴾ أسباباً للرزق تعيشون بها ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ جعلنا الأرزاق في الأرض لكم ولغيركم من الناس، ممَّن لا سبيل لكم إلى رزقه.

• ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ﴾ من الأشياء والأرزاق وكل ما يحتاج الناس ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ بيد الله تعالى تقديراً وصرفاً ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ هذا الرزق ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ مقدَّرٍ مقنَّنٍ حسب الحاجة.

• ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ تُلقِّح السحاب ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ غيثاً ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ جعلناه سقياً لكم أنتم وأنعامكم ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ بحافظين.

• ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ فخَلْقُ الخلقِ وإماتَتُهم بيد الله تعالى ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٢٣﴾ للأرض، ومَنْ عليها من الخلق.

• ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ٢٤﴾ في الولادة والموت.

• ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يجمعهم يوم القيامة فيجازي كلاً بعمله ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها ﴿عَلِيمٌ ٢٥﴾ بما يصلح أحوال الخلق.

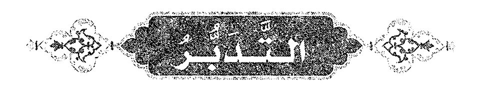
• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم عليه السلام ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ من طينٍ يابسٍ له صوت صلصلة ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ وهو الطين الأسود المتغيِّر ﴿مَّسْنُونٍ ٢٦﴾ متغيِّر.

• ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ إبليس ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ من نارٍ شديدةِ الحرارة.

• ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ٢٨﴾ آدم.

• ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فصار جسداً ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أجريت فيه الحياة ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ أَمْرٌ للملائكة بأن يسجدوا له سجودَ تحيَّةٍ وتكريم.

• ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٣٠﴾ امتثلوا أمر الله تعالى في ذلك ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١﴾ رفض أن يمتثل أمر الله تعالى.



١ ـ من بدائع خلق الله تعالى في الكون هذه النجوم المرصَّعة في السماء ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦﴾.

٢ ـ عنايتك بالجمال، وحرصك عليه، ومحافظتك على مظاهره محبوبٌ لله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ من أجل ذلك ذكَّر الله تعالى بجمال السماء!

٣ ـ جُبلت النفوس على الشعور بالجمال، والرضا به، والفرح بمشاهده ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ ومن وظَّفه في طاعة الله تعالى، ودفع به في مشاهد هذا المعنى أُجِرَ على كلِّ شيء.

٤ ـ اختر أشياءك بعناية، ورتِّب بيتك وسيارتك ومقر عملك، وكن مثيراً بمشاهد الجمال في حياتك، وأحسن نيَّتك في ذلك، تناسب هذا الكون الجميل ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾.

٥ ـ العشوائية فوضى لا ترضاها النفوس ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾.

٦ ـ لا ينبغي بثُّ العلم الذي يترتَّب على إخراجه ضياع المقاصد العامة في حياة الناس ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ علم القدر وما جرى على الخلق، لو تمكَّنت منه الشياطين لما بقيَ من المصالح شيء.

٧ ـ الأســرار التي يترتَّب عليها حفظ مقدَّرات كبرى، يجب أن تُحفظ من بطش العابثين، وكيد الماكرين ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

٨ ـ الشهب جندٌ من جنود الله تعالى، يذود بها عن الغيب، ويحمي أسرار الوحي ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

٩ ـ سُرَّاق الأسرار يستحقُّون شهب الإحراق والتعزير ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

١٠ ـ الأرض وما ألقى الله تعالى فيها آيةٌ من آيات الله تستحقُّ التأمل والتفكر ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ومن أعطى هذا المعنى حقَّه لقي ما يريد.

١١ ـ من عجائب هذه الأرض أَنَّ للإنسان فيها كلُّ ما يشاء ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

١٢ ـ كل ما تراه في الأرض من نعمٍ فبعضُ خزائن الله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ وما لا تعرفه فوق ما تتصوَّره!

١٣ ـ تقلقون على رزقكم، وتخافون على حياتكم، والله تعالى يدبر شأن الخزائن كلِّها ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾.

١٤ ـ لو فقهوا هذا المعنى لما تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكانوا عباد الله إخواناً ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾.

١٥ ـ الثقة وبثُّ روح الفأل والأمل أثرٌ من آثار هذا القرآن ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾.

١٦ ـ كل هذا الخلق الذي تراه عينك مخلوقٌ لغايةٍ ويديرُ شأناً ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

١٧ ـ الكون في غاية التنظيم والترتيب والإبداع، وما مِنْ شيءٍ إلَّا يجري في فلكه بانتظام ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

١٨ ـ يُجري الله تعالى في الكون كلَّ شيء ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٩ ـ سيأتي يومٌ يرثُ الله تعالى فيها الأرض ومَنْ عليها ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٠ ـ الأحياءُ والأموات، والغادون والرائحون، لا يغيب منهم عن الله تعالى شيء ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ وثمَّة يومٌ يُجمعون ويُسألون ويُحاسبون.

٢١ ـ العالمون بالله تعالى لا يتخلّفون عن أوامره ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٢٢ ـ إذا بلغك أمر عن ربك فامتثله، وادفع له ومن أجله كلَّ شيء، وإياك والنكوص عنه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٢٣ ـ ماذا لو أنَّ كلَّ إنسانٍ استقبل أوامر ربه بهذا المعنى من القبول ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٢٤ ـ الكبر أخطرُ الأمراضِ، وأكثرُ الأدواءِ في حياة صاحبها ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

التفسير

- ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢﴾ ما لك لم تمتثل أمري فيما أمرتك به؟!

- ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ٣٣﴾ يقصد آدم.

- ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ من الجنَّة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٣٤﴾ مطرودٌ مُبْعَدٌ مِنْ رحمة الله تعالى.

- ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ حلَّ بك الطردُ والإبعادُ من رحمة الله تعالى ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾ إلى يوم القيامة.

- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ﴾ أخِّرني وأمهلني ولا تُمِتْني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ إلى يوم القيامة.

- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧﴾ الباقين.

- ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾ يوم القيامة.

- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أجعل الدنيا جميلةً حسنةً في حياتهم، فيؤثرونها على الآخرة ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾ ولأضِلَّنهم عن طريق الحق والهدى.

- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ الذين أخلصتهم واصطفيتهم فلا سبيل لي عليهم.

- ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ حفظ عبادي من إغوائك ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ حقٌّ عليَّ ﴿مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ لا اعوجاج فيه.

- ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ لا طريق لك عليهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ رضي بولايتك ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ممَّن ترك الحق واتَّبع الضلالة.

- ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ إبليس وجنوده.

- ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ من الغاوين ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ قدرٌ معلومٌ معيَّنٌ بحسب أعمالهم.

- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وهم من جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ متفجِّرة بالماء.

- ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي الجنة ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ سالمين من الآفات، آمنين من المخاوف.

- ﴿وَنَزَعْنَا﴾ يوم القيامة ﴿مَا فِى صُدُورِهِم﴾ أي ما في صدور المؤمنين ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ حقدٍ أو حَسَدٍ ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ متقابلين على أسرَّتهم على وجه اللذة والنعمة.

- ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ مقيمين في الجنة إقامةً دائمةً أبديَّةً، لا يخرجون منها.

- ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ﴾ أخبرهم ﴿أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ أي إن ربهم يغفر زلَّاتهم وذنوبهم، ويرحم ضعفهم وعجزهم ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ الشديد.

التدبر

١ ـ المقارنات أفسدت الحياة على كثيرين ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٣٣﴾ وهي التي تطارد الناس في كلِّ شأنٍ من شؤونهم.

٢ ـ أمراض القلوب أكثر الطرق إلى سـوء الخواتيـم ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٣٣﴾.

٣ ـ من رُزق توفيقاً وفقهاً ووعياً بادر إلى معرفة أدواء قلبه، واجتهد في تخليص نفسه من عواقب السوء ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٣٣﴾.

٤ ـ هذا هو جزاءُ الكبر والإعراض ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾ تفقَّد قلبك قبل أن تجري عليك ذات النهايات.

٥ ـ كم مِنْ والغ في خطيئـةٍ أوجبت له هذه النهايـات! ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾.

٦ ـ بعض مشاهد المعاصي التي تجري في حياة أصحابها دون وعي ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾.

٧ ـ عدمُ السجودِ صورةٌ من صور الرفض لطاعة الله تعالى، فتأمَّلْ في نفسك كَمْ هي صـور الرفض في واقعـك ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾ كـم مرة قرأنا أمـراً أو نهياً، ورفضنا الاسـتجابة له، واستعلينا عليه، ورمينا به على قارعة الطريق!

٨ ـ الإصرار على الخطيئة من أعظم الأخطاء التي يبوء بها أصحابها في النهاية ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٩ ـ من شؤمه على نفسه أنه أراد ألَّا يأتي بخطاياه فحسب، وإنما أراد أن يأتي مُثْقلاً بأوزار الضالِّين ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٠ ـ طلب دوراً جديداً في الإضلال، ورفض الاستسلام لواقعه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١١ ـ بعضهم يرفض أن يأتي مسؤولاً عن نفسه يوم القيامة، يريد أن يأتي بأوزار العالمين ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٢ ـ مثل إبليس أو قريباً منه من يتولى التهيئة للباطل، ويعين عليه، ويتواصل مع صحبه لإقناعهم بالفكرة، وما يزال يرتِّب ويدفع من ماله، ويخطط لواقعه حتى يقف بصاحبه على مشاهد السوء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٣ ـ حتى لا تنقطع الآمال بمجرَّد إعلان النتائج ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٤ ـ ما أحوج الأمة لهذا النفس في مشاريع الخير والبر! ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٥ ـ الأمة اليوم لا تحتاج منك عمراً جديداً، تحتاج عمرك الآني، ووقتك الحالي، وبقايا من روحك قبل الموت وكفى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٦ ـ يعرف خاتمته السيئة ولا يؤوب، وأهل الخير يدركون نهايات مشاريع البر والإصلاح، ويتوقَّفون مراراً أو يتركون ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٧ ـ كثيرون يوقفهم الله تعالى على مشاهد الموت، ثم يعودون بعد الشفاء في الطريق نفسه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٨ ـ ما دام مصرّاً على تَنَكُّبِ الطريق؛ فالله تعالى يُمْلي له ويعطيه ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾.

١٩ ـ ليس بالضرورة أن تسأل ربك الإمهال لإتمام خطيئتك، يكفي إصرارك عليها ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾.

٢٠ ـ نَفَسُ الموت على الفكرة والمشروع ذاتهما ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ما أحوجنا إلى ذات النَفَسِ في مساحات الخير والإصلاح.

٢١ ـ ثمَّة شبهٌ كبيرٌ بين إبليس وبين من يقول ما دامت هي هكذا؛ فلنبقَ على الطريق نفسه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٢ ـ ليت من يعي المنافسة بحق، ويرفع راية مقابلة، ويقول: ما دمت مصرّاً على الغواية؛ فأنا في المقابل مصرٌّ على هداية العالمين ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٣ ـ إبليس يحمل راية الفساد، فمن يحمل في الأمة راية الإصلاح ؟! ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٤ ـ هو بالغ بنفسه إلى نهايات السوء، أليس من رجلٍ بالغ بنفسه إلى نهايات الكرامة والفلاح ؟! ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٥ ـ القناعة بالفكرة، والمنهج، والمشروع، تصنع مناضلين عنها في الحياة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٦ ـ الزينة أخطر الطرق التي يتوعد بها إبليس الناس، ويركس بها أقواماً في الضلالة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٧ ـ زيَّن له صفقة ربا ليبني بيته، ويركب سيارته، ويسافر نزهة لنفسه وأهله وأصدقائه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٨ ـ زيَّن له خدمة تلك المرأة، وقرَّب له مسافات الطريق إليها، وطالبه بأن يحسن النية معها حتى أوقعه في مشـاهد الزنــى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

٢٩ ـ رغَّب إليه السـفر، وحبَّبه إليه، وذكَّره بآثاره الجميلة في حياته، وما زال به حتى قضى على مشاهد الإيمان في حياته ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

٣٠ ـ أقنعه بضرورة الزواج، وبيَّن له مباهج الزواج العرفي، ويُسْره عليه، وتحقيقه لآماله دون عناء، فتزوَّج متعـةً في عدد من الصور ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

٣١ ـ زين له الفتوى، ومهَّد له فيها طريق الشـهرة، وأقنعه بأنه رجل كما أن غيره رجال، ثم دفع به، فأفتـى بغير علم؛ فحمل أوزار الضاليـن، ومضى في طريق الغواية ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

٣٢ ـ الإخلاص بابٌ موصدٌ أمام مشروع إبليس ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٣ ـ أثقل الخطوات، وأعسـر الطرق، وأكثر الأبواب حصانةً أبوابُ المخلصين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٤ ـ الإخلاص ليس كلمة تُردَّد، وإنما طريقٌ يتعامل فيه الإنسـان مع الله تعالى مباشرةً، لا يبالي بمخلوق ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٥ ـ الإخلاص كالذي يبلغ شأناً في العلم، وتجري على لسانه (لا أدري) كالماء البارد، يتعامـل مع الله تعالـى، لا يتعامل مـع المخلوقين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٦ ـ الإخلاص كالذي يصلي في وسـط العالمين وفي آخر الليل، لا فرق بين مشاهد العبادتين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٧ ـ الإخلاص حين تتضاءل المساحة بين الجلوة والخلوة، حتى لا تكاد تجد فارقاً بين المسافتين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٨ ـ الأصل ألَّا طريق لإبليس على المخلصين ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٣٩ ـ المتَّبعون لإبليس الراضون بطريقه، السائرون على منهجه موعودون بالجحيم ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

٤٠ ـ إذا لم تكفهم مشاهد القرآن وحقائقه وصوره؛ فليكونوا غداً ضحايا الوهم العريض ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

٤١ ـ لم يُبْقِ القرآنُ لعاقلٍ حجَّةً يوم القيامة ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

٤٢ ـ هذه نهايات المتقين ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٣ ـ لا حدَّ لمباهج الحياة التي ينتظرها المتقون ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٤ ـ الغل من أسقام الحياة التي لا مكانَ لها في الجنان ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ

سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ وكم مِنْ معلولٍ به في الدنيا مسقومٍ من آثاره في الحياة!

٤٥ ـ وانتهت أيام التعب كلها لم يَبْقَ منها شيء ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ولو عادوا بالذاكرة لأدركوا عواقب الاستثمار.

٤٦ ـ المتَّقون يتزاورون، ويجتمعون، ويلتقون، وتثور مشاعر الشوق والألق بينهم في رحاب الجنان ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٧ ـ لا تيئس لخطيئتك؛ فهذا نبأ ربك للعالمين ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ ولا تحتقرها في المقابل في جنابه وتستهن بها؛ فهذا نبأ ربك للعالمين ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

٤٨ ـ هذا النبأ لا يحملك على الاستهانة بالذنب، وإنما يحيي لديك مشاعر الحب والشوق لربك ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾.

٤٩ ـ إذا بلغك هذا الخبر ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ فَشَمِّرْ للتخلِّي عن كلِّ ذنبٍ بينك وبين ربك.

٥٠ ـ هذا النبأ ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ لا يحملك على القنوط والخوف المُقْعِدِ عن العمل، وإنما يحملك على العمل والبناء، والتوقِّي من مخلفات الطريق.

❀ ❀ ❀

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

التفسير

- ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ وهم الملائكة.
- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ محيِّين له بتحية الإسلام ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ خائفون.
- ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ أي لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ إسحاق ﴿عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ كثير العلم.
- ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ تبشروني بغلام وأنا في هذه الحالة من العمر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ من كان هذا حاله من العمر لا فرح له ببشارتكم؛ لانقطاع الأسباب الجالبة للولد ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين المتحقِّق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الآيسين من رحمة الله تعالى.
- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ الذين لا معرفة لهم بالله تعالى.
- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ما شأنكم؟ وما الذي جاء بكم؟!
- ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ قومٍ كَثُرَ فسادُهُم، وعلا طغيانُهُم؛ يقصدون قوم لوط ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ لوطاً وأهله ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾ من العذاب.
- ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ زوجه ﴿قَدَّرْنَا﴾ قضينا وحكمنا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ الباقين في العذاب.

• ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي الملائكة ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ لا نعرفكم.

• ﴿قَالُواْ﴾ الملائكة: ﴿بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بالعذاب الذي فيه يشكون ويختلفون.

• ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ العذاب من عند الله تعالى ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فيما جئناك به.

• ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ سِرْ بأهلك واخرج بهم ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ في جزء من الليل ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ امشِ خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى العذاب النازل بقومهم ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ اذهبوا إلى حيث أمركم الله تعالى.

• ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ أوحينا إليه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ إهلاك الكافرين ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ آخرهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾ بالعذاب ﴿مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ يأخذهم العذاب في الصباح.

• ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ أهل سدوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يبشّر بعضهم بعضاً بأضياف نبيِّهم لوط.

• ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ بتعرُّضكم لهم بالفاحشة.

• ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ لا تلحقوا بي الخزي والذل والهوان بما تفعلون.

• ﴿قَالُوٓاْ﴾ قوم لوط: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ عن تضييف الضيوف.

التَّدَبُّر

١ ـ القصَّةُ طريقٌ لبناء القيم والمبادئ والعادات الصحيحة، وطريقٌ لاجتثاث الأفكار والمبادئ الغريبة، والأفكار الهدَّامة، والعادات السلبيَّة ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾.

٢ ـ الخوف الطبيعي الجِبِلِّي لا حرج فيه، ولا أثر له في دين الإنسان ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

٣ ـ حتى الكبار تصيبهم طوارق الحياة، ويرتاعون لآثارها ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

٤ ـ إذا قدمت على إنسانٍ فلا تحبس أنفاسه بسبب مجيئك ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.

٥ ـ الأخبار الكبيرة تحتاج إلى تذكير بآثارها، حتى لا يصيب أصحابها الفزع أو القنوط ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

٦ ـ إدارة الأولويات فن، ألقوا إليه ما يخصه من خبر، ثم أفضوا إليه بالخبر العام ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

٧ ـ من حسن إدارة النقاش ألا تُبقي للسائل أسئلة يحتاج إلى الاستفهام عنها ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

٨ ـ استغربهم فأفضوا إليه بمرادهم تاماً كاملاً (فقه في الجواب) ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

٩ ـ التخطيط ضرورةٌ في نجاح أيِّ عمل ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

١٠ ـ إذا عميت القلوب فلا تنفعُ فيها المواعظ بشيء ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١١ ـ انتكاس الفطرة لا يرجى لصاحبه علاج، إلَّا أن يشاء الله تعالى ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

١٢ ـ حين يتحوَّل المنكر من شأنِ فردٍ إلى شأنِ الجماعة ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ لا تنتظر بعد هذا عافية!

١٣ ـ لم يعد يجدي في مثل هؤلاء واعظ الخير ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

١٤ ـ من أغرب الصور تزاحُمُ أمَّةٍ على أسوأ الفواحش وأقبحها ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

❀ ❀ ❀

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

التفسير

• ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ يعني بنات المسلمين ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ تزوَّجوهن حلالاً، إن كنتم ولا بد واقعين فيما أنتم عازمين، وأضافهم لنفسه لأنَّ كلَّ نبيٍّ أبٌ لأمته في الرعاية والشفقة.

• ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قَسَمٌ من الله بحياة نبيه ﷺ ﴿إِنَّهُمْ﴾ قوم لوط ﴿لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ حالة طغيان الفاحشة في قلوبهم وذهاب عقولهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يتحيَّرون ويتردَّدون ولا يعرفون ماذا يفعلون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ الصوت العظيم الشديد ﴿مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ في وقت شروق الشمس.

• ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قلبناها رأساً على عقب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ رميناهم بطينٍ متحجِّرٍ يتبعهم في كلِّ مكان.

• ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي تلك العقوبة التي حصلت بقوم لوط ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لعبر وعظات ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ المتأمِّلين المتفكِّرين.

• ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ طريق ثابت للسالكين يعرفونه من التردُّد عليه.

• ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ عظة وعبرة لكلِّ مؤمنٍ بالله تعالى.

• ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ أهل البستان كثير الشجر؛ يعني بذلك قوم شعيب ﴿لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ لأنفسهم بارتكاب ما حرَّم الله تعالى.

• ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالعذاب الذي حلَّ بهم ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي مدينة قوم لوط وشعيب ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ بطريقٍ واضحٍ بيِّنٍ معروف.

• ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ ديار قوم ثمود ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ رسولهم صالح.

• ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ كالناقة ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ لم يعتبروا بها.

• ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ يخرقونها في الجبال، ويشقُّونها منها ﴿ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ مطمئنين.

• ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ الصوت الشديد ﴿مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ في وقت الصباح.

• ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ ما نفعهم وما دفع عنهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ ما عندهم من القوة والأموال.

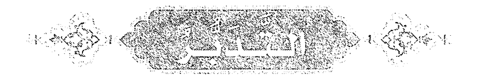
• ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لحكمةٍ عظيمة ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ متحقِّقة الوقوع ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ صفحاً لا عتابَ فيه، ولا حزنَ معه، ولا غضبَ له.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ لكلِّ مخلوق ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ لا يغيب عنه من علم الخلائق شيء.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ سورة الفاتحة ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ جميع آيات القرآن.

• ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ نظر تمتُّعٍ ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ﴾ من متاع الدنيا ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في عدم إيمانهم ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ تعامل معهم برفقٍ وحُسْنِ خلق.

• ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ الواضح البيِّن فيما لله عليكم.



١ ـ إذا بلغت الشهوة مداها سدَّت منافذ العقل والبصر ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٢ ـ كل الذين وقعوا يقولون: لا ندري كيف صار هذا الواقع الذي نحن فيه! ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٣ ـ لا تسل: لم كل هذه الأعداد في داخل السجون؟! سُكر الشهوات لا يبقي وازعاً من دين، ولا بقايا من تفكير ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٤ ـ المصرُّون على الهلاك يستحقُّون هذه النهايات ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾.

٥ ـ يمد الله تعالى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾.

٦ ـ الجزاء من جنس العمل، المنتكسون في فطرهم منتكسون في عذابهم ونهايتهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾.

٧ ـ انتكاس الفِطَرِ لا يصلح معه إلّا هذا النوع من العذاب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾.

٨ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ درسٌ يُقرأ على رؤوس الأشهاد كلَّ حين!

٩ ـ من مضى في ذات الطريق فقد يجري عليه ذات العذاب ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

١٠ ـ حتى أرضهم وديارهم ماثلة للعالمين ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) ﴾.

١١ ـ أسوأ العقوبات أن يجعلك الله تعالى درساً يُتلى، ومشهداً يُرى ما بقيت الدنيا ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) ﴾.

١٢ ـ كثير من المعاصي يُدفن ذكرها مـع الزمن، وبعضها يتجدَّد ذكرها كلَّ حين ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) ﴾.

١٣ ـ كل أمة لا تقيم لله تعالى قدراً يركسـها في العذاب، ويرديها أسوأ النهايات ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ (٧٨) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٨٤) ﴾.

١٤ ـ لا تحمل في قلبك على المعرضين شيئاً ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ الصفح الجميل: لا عتابَ فيه، ولا حزنَ معه، ولا غضبَ له!

١٥ ـ تعلَّم ألَّا تنظر إلى الوراء! ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾.

١٦ ـ قلوب الكبار أكبر من أن تبقى رهينةً لمواقف سابقة، وأحداث مضت عليها الأيام ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾.

١٧ ـ القرآن شـيء، والفاتحة منه شـيء آخر، ولو اسـتوعب صاحبُ قلبٍ هذا المعنى لَلَقِيَ النعيم ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) ﴾.

١٨ ـ إنَّ سورةً يخصها الله تعالى بذاتها، ويجعلها فرضاً في كل ركعة لهي حقيقةٌ بالقراءة والإمعان ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) ﴾.

١٩ ـ من كمال فقه الإنسان ووعيه أن يستقبل كتاب ربه بوقته ومشاعره ووجدانه، ويخص منه الفاتحة على وجه الخصوص ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) ﴾.

٢٠ ـ لا تنظر إلى مباهج الحياة عند الكفار، مهما بلغ شأنها ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾.

٢١ ـ مهما بلغت حضارتهم ونعيم أرضهم؛ فما في قلوب المؤمنين أبهج بكثيرٍ من تلك الصور ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾.

٢٢ ـ لا تحزن على إعراضهم وإدبارهم عن الحق ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾.

٢٣ ـ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ رسالة في التلطف مع هؤلاء أياً كان جنسهم ولونهم وبلادهم.

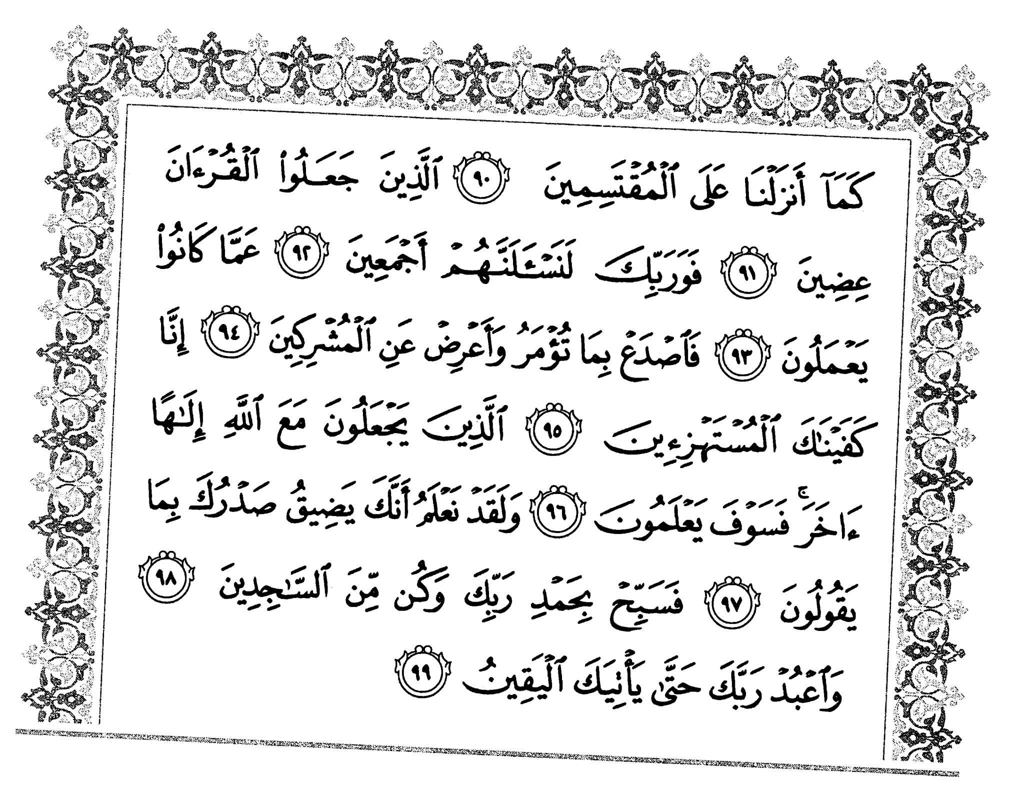
٢٤ ـ أهل الإيمان يستحقُّون هذه العناية الخاصَّة بهم ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

٢٥ ـ يا قوم! احفظوا وصية الله تعالى في عباده المؤمنين، رقُّوا لهم، واخفضوا لهم جناح التواضع، وأقبلوا عليهم، وهبوهم من مشاعر الوجدان ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

٢٦ ـ الإبانة في الدعوة ضرورة، حتى يصل البلاغ إلى حظوظه من حياة النَّاس ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٨٩) ﴾.

٢٧ ـ كم هي حاجة الدعوة إلى معاهد متخصصة تؤهِّل الدعاة، وترسم معهم مستقبل الدعوة بكلِّ وضوح ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٨٩) ﴾.

❀ ❀ ❀


كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

التفسير

- ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ العقوبة ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ المتحالفين على مخالفة الأنبياء.
- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ هؤلاء المتحالفين ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أجزاء متفرقة بين سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ يوم القيامة.
- ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ عن أعمالهم التي عملوها في الدنيا.
- ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أظهر أمر دينك الذي أمرك الله تعالى به ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ لا تُبالِ بهم، ولا تلتفت إليهم.

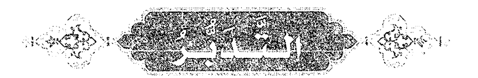
• ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ وعدٌ من الله تعالى أنه لا يضرُّه كيد المستهزئين، ولا يصل إليه.

• ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ شريكاً في الملك والتدبير ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ما عند الله تعالى من العذاب.

• ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ من قولهم ساحر وكاهن وشاعر.

• ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ أَكْثِرْ من ذكر الله تعالى وعبادته.

• ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ ﴾ استمرَّ في عبادته ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الموت.



١ ـ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ على كل إنسان أن يواجه هذه الحقيقة اليومَ قبل فجائِعِها في الغد.

٢ ـ كم مِنْ سؤالٍ سَيُدَارُ في ذلك اليوم، يحتاج إلى جواب ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

٣ ـ الصدع بالحق مظهرٌ من مظاهر العزَّة بدين الله تعالى ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٤ ـ لن تبلغ الأمَّةُ غاياتها بهذا الدين، إلَّا إذا أخذته وهي تشعر بأفراحه وأحداثه، وآثاره في قلوبهم ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٥ ـ يا أيها الدعاة! انفروا بدينكم في العالمين، وبلِّغوه السامعين في كلِّ مكان ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٦ ـ من صور الصدع بدين الله تعالـى أن تأخذَ الدعوةُ حظَّها من بيوت الله تعالى في كلِّ مكان ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٧ ـ وصية الله تعالى ألَّا تعقدَ صفقةً مهما كانت مصالحها مع مشركٍ في الأرض على حساب دينك ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٨ ـ ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ رسالة تطمين للداعية الأول أن يمضيَ في طريقه غَيْرَ آبهٍ بهيشات السـفهاء والضالِّين، وهي رسالة ممتدَّةٌ لأولياء الله تعالى من بعده إلى يوم الدين.

٩ ـ كلُّ معرضٍ عن الحق سيأتي يومٌ يعرف فيه حقائقَ ذلك الإعراض ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

١٠ ـ الرسل بشر؛ يصيبهم ما أصاب الناس، ويجدون ألماً وضيقاً وحرجاً من أثر المخالفين ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

١١ ـ كل ما يصيب الدعاة وأصحاب الرايات وحملة المشاريع من آثار الدعوة، يراه الله تعالى ويرقبه، ويجازي عليه بأثمن ما يكون ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

١٢ ـ حتى وأنت في طريق سفرك، وأنت تكتب خِطَّة عملك، وتدير شأن الدعوة في دائرتك، يـراك الله تعالى ويرقبك، ويثمِّن دورك، وسـيتولَّى جزاءك في يوم القيامة ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

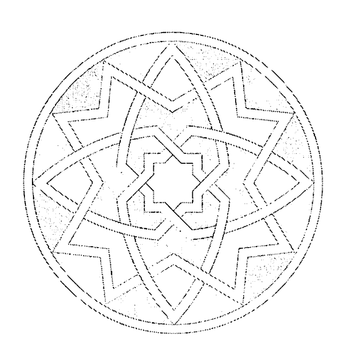
١٣ ـ لا تحسب أن شـيئاً من جهدك يذهب سـدًى، كلَّا! إنَّما توفَّى لك في يوم الحساب ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

١٤ ـ الانشـــغال بالعبادة أعظم الردود على الأعــداء ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

١٥ ـ إذا ضاق صدرك، وتألَّم خاطرك، وتوجّع قلبك من أذى الطائشين؛ فتوجه إلى ربك ذكراً وتعبُّداً وإقبــالاً ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

١٦ ـ في العبادة ســلوى لكلِّ المُجْتهديــن المُتْعبين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿أَتَىٰٓ﴾ قرُب ودنا ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فإنه آتٍ قريب ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ جلَّ وتنزَّه عن شرك المشركين.

- ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي جبريل ﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بالوحي ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ من الرسل ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ أَعْلِموا الناس ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ فلا

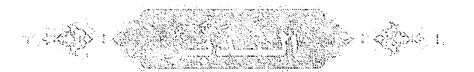
معبودَ بحقٍّ سوى الله تعالى ﴿فَاتَّقُونِ ۝٢﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

• ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة والعدل ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾ تنزَّه عن شرك المشركين.

• ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ من منيٍّ ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾ شديد الجدال بالباطل.

• ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لأجلكم ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الثياب، التي هي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ كألبانها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ من لحومها.

• ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة في الصورة والكثرة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ وقت عودها إلى محلِّها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ وقت ذهابها إلى المرعى.



١ ـ الجهل بالله تعالى يأتي بمثل هذه الطوام ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ هل تتصوَّر أن خلقاً يستعجلون عذاب الله تعالى!

٢ ـ العلم بالله تعالى موجبٌ للخوف من غضبه وسخطه وسوء عقابه ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ يشركون ويعصون الله تعالى، وفي النهاية يستعجلون عذابه ويستهزئون بمقامه، وهذه آثار الجهل!

٣ ـ من عرف الله تعالى قام له بحقِّه من الخشية ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ يؤمنون به، ويقومون بواجبه، ويخافون ألَّا يتقبَّل منهم شيئاً بخلاف هؤلاء العجلى، «أحشفاً وسوء كيلة»!

٤ ـ كثيرة هي حكم الله تعالى من خلقه؛ فلا تخلق شيئاً من الشكوك في أمرٍ لا تعرف أسراره ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾.

٥ ـ اختيار الرسل والأنبياء فضل من الله تعالى، واصطفاء يهبه تعالى مَنْ يشاء بعلمه وحكمته ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾.

٦ ـ من فواتح الخير وبوادر التوفيق لإنسان، أن هيَّأه الله تعالى ليكون حاملاً لراية الإصلاح، وسائراً في طريق الكبار ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾.

٧ ـ من فتح الله تعالى له في هذا الطريق؛ فليحمد الله تعالى، وليفرح، وليقم بواجب الدعوة كما أراد الله تعالى، وليحسن اقتفاء آثار الأنبياء؛ فإن ذلك من كمال التوفيق ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾.

٨ ـ إذا رأيت قاعداً بعد أن ملّكه الله تعالى وسائل هذا الطريق؛ فلعله لا يصلح لحمل راياته وتبليغه للعالمين ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾.

٩ ـ التوحيد هو المقصود الأعظم والأهم من كلِّ دعوةٍ يُراد لها القيام بمصالح الدارين ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾.

١٠ ـ القلوب التي لا يتملَّك منها التوحيد، ويصنع فيها أحداثه، لا تصلح لقبول أيِّ دعوةٍ فيما بعد ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾.

١١ ـ كل العبادات التي يحدثها الإنسان في قلبه وقفٌ على قضية التوحيد أولاً ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾.

١٢ ـ إذا أردت شاهداً على جلال الله تعالى، وعظيم سلطانه؛ فانظر إلى هذا الخلق البديع في الكون ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾.

١٣ ـ هذا أصل الإنسان في أوله، وهذه قصة نهايته في كثيرٍ من الأحيان ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ أوله نطفةٌ وآخره خصامٌ ونزاعٌ وشقاق! ألا ما أجهله!

١٤ ـ خلقهم الله تعالى من نطف، وإذا بهم عقبات في طريق دينه ووحيه ورسالته ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ ما أقبح الجزاء!

١٥ ـ ماذا لو تذكر المعارضون أن هذا هو بداية خلقهم وأول أمرهم؟! ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾.

١٦ ـ بعض مشاهد خلقه تعالى في الكون ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾.

١٧ ـ كل ما خلق الله تعالى في الكون مسخَّر لهذا الإنسان، ومُدبَّرٌ له ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ نِعَمٌ بحاجةٍ إلى شكر.

١٨ ـ الجمال والإبداع في خلق الله تعالى ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ ولا يسع المتأمل في هذ الكون إلَّا أن يقف مدهوشاً في كلِّ شيء!

❀ ❀ ❀

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

التفسير

- ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ وهو ما يثقل حمله من المتاع ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾ واصلين إليه ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ تعبها وإرهاقها ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧﴾ لا يريد أن يشق عليكم في شيء.

- ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ﴾ سخَّرناها لكم ﴿لِتَرۡكَبُوهَا﴾ وقت حاجتكم ﴿وَزِينَةٗۚ﴾ تتمتَّعون بها ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ مستقبلاً من وسائل الركوب.

- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ بيان الطريق إلى كل مطلوب ﴿وَمِنۡهَا﴾ من الطريق ما هو ﴿جَآئِرٞۚ﴾ مائلٌ عن الاستقامة منحرفٌ به عن الهداية ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾ إلى الحق؛ فلم يتخلَّف منكم أحد.

- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ﴾ بفضله ونعمته ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ تشربون منه أنتم وأنعامكم ﴿وَمِنۡهُ﴾ أي من الماء ﴿شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠﴾ يُسقي الشجر لترعوا فيه أنعامكم ومواشيكم.

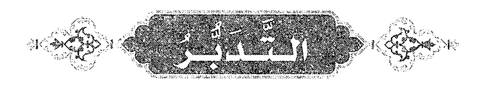
- ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ﴾ بالماء ﴿ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ﴾ فتستقي منه وتنبت على استواء ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ ما ينبت من أثر الماء بفضل الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١﴾ في قدرة الله تعالى.

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ جعلها مسخَّرةً في مصالح العباد ومنافعهم ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ كذلك لما فيها من

المصالح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢﴾ يعقلون عن الله تعالى أمره وقدره.

• ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وما خلق لكم فيها ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أشكال وأنواع كثيرة آية من آيات الله تعالى كذلك دالة على قدرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣﴾ من الذكرى والعظة والعبرة من آيات الله تعالى.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ فيسَّرَ ركوبَهُ والصيدَ فيه ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ من السَّمكِ ونحوه ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ من اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ أي السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ أي تشقُّ البحر ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من الأرزاق والنعم التي تحصلون عليها من ذلك ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤﴾ نعم الله تعالى التي تحصلون عليها من ذلك.



التَّدَبُّر

١ ـ من كمال نعم الله تعالى على الإنسان ورعايته لمصالحه أن وهبها لهم وأرشدهم إلى استثمارها ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ ومن كمال رحمته أن جعل له ما يقومُ بحاجاته، ويعينُهُ على بلوغِ أمانيه.

٢ ـ «**إنَّ الله تعالى جميلٌ يحبُّ الجَمال**»[1] ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ ومِنْ أدبِكَ في هذا الباب أن تكون كما أراد الله تعالى في كل شيء.

٣ ـ ماذا لو أن الإنسان حرص على مظاهر الجمال في عبادته وسلوكه وتعامله مع ربه في كلِّ شيء ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

٤ ـ نتجمَّل للعالمين، ويفوتنا أن نحسن خطاب الله تعالى أو رجاءه أو حتى دعاءه والأدب معه في كثير من الأحيان ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

٥ ـ يعتني بمظهره، ويرتِّب مكانه، ويجهد في نظافة بيته وسيارته، شعورٌ منه بأثر الجمال الذي يحبُّه ربه تعالى ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

٦ ـ كل ما تراه مِنْ جديدٍ في واقعك، هو جزء من قدرة الله تعالى في مشاهد الكون ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٧ ـ ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ممَّا لا تتخيله في واقعك، ولم تكن تتوقَّعه في مستقبلك.

٨ ـ إذا رأيت آلةً أبدعها الإنسان؛ فتأمل في بديع خلق الله تعالى أولاً لصانعها ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٩ ـ جزءٌ من مشكلاتنا أنَّنا نغرق في الثناء على صُنَّاع الحضارة، وننسى أن هذه فواتح الله تعالى، وأصلُهُ بديع خلقه في ذلك الإنسان ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١٠ ـ خيارات النجاح والإخفاق بين يديك فاختر ما تريد ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

١١ ـ كل الذين ضلُّوا إنما صنعوا ضلالهم عن قصد ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

١٢ ـ طريق الحق بيِّن لا يشكلُ إلَّا على صاحب هوى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

١٣ ـ هداية العالمين جميعاً خلاف الحكمة الكبرى التي أرادها الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ فانظر لهذا الخلاف بين الخلق على أنَّه جزءٌ من حكمة الله تعالى.

١٤ ـ سيأتي كلُّ إنسانٍ يوم القيامة فيُسأل عن الطريق الذي اختاره والنهايات التي بلغها في النهاية ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

١٥ ـ الماء النازل من السماء، وما يترتب عليه من مصالح آية من آيات الله تعالى، تدعو للتفكُّر والتأمُّل ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾.

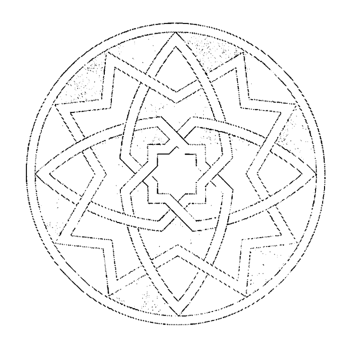
١٦ ـ تسخيرُ البحرِ للإنسان آيةٌ من آيات الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤﴾ ما أحوجنا للشكر!

١٧ ـ مَدَّ بساطه وبقي على الشاطئ ساعات، وذاك قرب قاربه، واصطاد ما يريد من نعم الله تعالى، ثم أدبر لم يفقه درس الذكرى منه بعد ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٨ ـ في كل أسبوع يذهب بأولاده إلى الشاطئ، ثم يأخذ جزءاً من أوقاتهم لتعظيم الله تعالى في قلوبهم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٩ ـ في كل مرة تذهب إلى البحر أو تراه، سَلْ نفسك عن امتداد هذه الآية وعمقها، وما فيها من أحداثٍ، تحتاج إلى إمعان ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.





وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

التفسير

• ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ حتى لا تضطرب بكم الأرض ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ من المياه ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ تتوصَّلون بها إلى مقصودكم.

• ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ أمارات ومعالم يهتدي بها الناس ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ يصلون إلى مقصودهم.

• ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ هذه النعم والمعالم العظيمة الدالة على قدرته ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ لا يقدر على خلق شيء من ذلك ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ تتعظون وتعتبرون.

• ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تستطيعون حصرها وعدَّها من كثرتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ يغفر لعباده ويرحمهم.

• ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ في أنفسكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ تظهرون.

• ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة والمعبودات ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ لا يقدرون على خلق شيءٍ من المخلوقات مهما صغر ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ فكيف للمخلوق أن يخلق شيئاً.

• ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ آلهتهم ميّتة لا حياةَ لها ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ هذه الآلهة ما تشعر متى يبعث عابديها من الكفار.

• ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ لوحدانية الله تعالى، لا يؤثِّر فيها وعظٌ ولا تذكير ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ عن قبول الحق.

• ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في أنفسهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ بل يبغضهم لاستعلائهم وكبرهم.

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ قصص من قصص الأولين.

• ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ ذنوبهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ويحملون مع أوزارهم أوزار من كانوا سبباً في ضلالهم ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بئس ما حملوا من الأوزار والذنوب.

• ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ احتالوا وخدعوا رسلهم ولم يؤمنوا بهم ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ اقتلع بيوتهم من الأساس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ فسقط عليهم ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ من المكان الذي لم يكونوا يتوقَّعوه.

التَّدَبُّر

١ ـ حِكَمُ الله تعالى في خلقه تجلُّ عن الوصف ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٢ ـ هذه الأرض المبسوطة، والأنهار الجارية، والطرق الممتدَّة في كلِّ مكان آياتٌ تدعو لهداية الإنسان وتدلُّه على الطريق ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٣ ـ كم من طريق سلكته في الطاعات! ومساحة ألقيت فيها برسالة التوحيد! وبقعة وسَّعت فيها أثراً لدين الله تعالى! هذه هي الذكريات ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٤ ـ هذه الأرض الممتدَّة ستأتي شاهدةً على خطواتك فيها يوم الحاجات ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٥ ـ اجعل أكثر خطواتك فيها لدين الله تعالى، وفي سبيله، ومثلك أوعى بالتاريخ ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ وإياك أن يأتي جزء من هذه الأرض باعثاً للحسرات!

٦ ـ حتى هذه النجوم في سماء ربك خلقت لهدايتك الحسية؛ فَلَعَلَّها تكون هي وغيرها باعثاً لهدايتك المعنوية! ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٧ ـ هذا اهتدى بالنجم لإقامة صلاته، وسفره في طاعة ربه، وحديثه عن أسرار هذا الكون، وذاك استدلَّ بها على طريق الحرمان، وباتَ يسامر فيها الشياطين، ما أبعد الفرق؟! ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٨ ـ إذا لم يُفلح هذا الكون في هداية الإنسان وعودته إلى ربه؛ فما تصنع فيه بقية الأحداث! ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٩ ـ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ دعوةٌ لمباهلة العقول التائهة عن الهداية!

١٠ ـ لا تجهد في حصر نعم الله تعالى عليك، سيصيبك الكلال! ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ سَلْ نفسك أين هي من ساحات هذا الدين؟!

١١ ـ نعم الله تعالى أكبر وأكثر وأعظم من أن تطولها عقول العادين ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

١٢ ـ لا تنشغل بحساب الكثرة على حساب الكيف ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ سل نفسك كيف تثري هذه النعم واقعك!

١٣ ـ أعظم الأسئلة إلحاحاً في واقعك كيف تستخدم هذه النعمة في مساحة دينك، وتثري بها مستقبله الكبير! ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

١٤ ـ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ قرأها أو سمعها؛ فأدار رأسه متعجباً، ثم عهده بها من تلك اللحظة!

١٥ ـ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ لا تدر رأسك لها متعجباً ثم تولِّي، انظر كيف تصرِّفها في طاعتك لربك، وتقوم بحظوظها قبل الفوات!

١٦ ـ لن توفي حقَّ نعم ربك، ولا سبيل لك إلى ذلك، ولا تقلق؛ فالله تعالى سيجبر عثرات هذا الطريق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

١٧ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ليست أعذاراً لترك مساحات شكر هذه النعم، وإنما دعوة لاستنفاد كل طاقاتك في هذا الطريق.

١٨ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ رسالة تأكيد، لا يفوت على الله تعالى من شأنك شيئاً.

١٩ ـ إذ السرائر لا تغيب عنه؛ فما بالك بالعلانية! ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٢٠ ـ كل الذي واريته عن أعين المخلوقين مرصودٌ محفوظٌ، لا يغيب عن علم الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾.

٢١ ـ لا تجهد في إقفال بابك؛ فالله تعالى يرى كل شيء ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾.

٢٢ ـ أرقام جوالك السرية تسترك عن أعين المخلوقين، ولكنها لا تمنع من نظر الله تعالى إلى أسرارك ودسائسك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾.

٢٣ ـ تخيَّل نفسك عارياً من الثياب، والله تعالى يرقب تصرُّفك وحركتك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾.

٢٤ ـ ارقب سيرك، واحفظ عملك، ولا تصنع شـيئاً تفر به من رقابة ربك؛ فالله تعالى يرى منك الخلوات، كما يرى العلانية، لا فرق ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩﴾.

٢٥ ـ غاية الضلال أن تهب قلبك ومشاعرك لمخلوقٍ مثلك ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠﴾.

٢٦ ـ العقول المؤجَّرة لا تكاد تفيق من فجائع أحداثها ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠﴾.

٢٧ ـ هل تصـوَّرت يوماً أن مخلوقاً في الأرض يسـتغيث بميِّت، تلك حكايات الضلال ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾.

٢٨ ـ لا تجهدوا أنفسكم في البحث عن الحقيقة، هو إله واحد فإياه فاعبدوا ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٢٩ ـ كم مرَّة وقف الكبر حائلاً عن الهداية ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٣٠ ـ من سنن الله تعالى أنَّ الأرض المرتفعة لا تصيبها نعم السيول ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وكذلك القلوب!

٣١ ـ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ فكيف يهديهم ويدلهم على طرق الحقائق والهدايات؟!

٣٢ ـ محرومون من كلِّ شيءٍ حتى من أبهج معاني الحياة (الهداية) ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

٣٣ ـ ما لهم ولهذا الحرمان ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾؟!

٣٤ ـ مساكين! لا هم الذين بلغوا غاياتهم، ولا هم الذين سلموا في النهايات ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

٣٥ ـ من لا يحبُّه ربه كيف يجد رشداً وتوفيقاً! ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

٣٦ ـ يترك فتوى أهل العلم، وإذا قيل له في شأن الفتوى قال: هم رجالٌ ونحن رجال ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

٣٧ ـ يسمعون الحق، ويتنكَّرون له في الوقت نفسه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٣٨ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ أسلمُ حيلةٍ للخلاص، وأقربُ عذرٍ للفرار!

٣٩ ـ من السهولة بمكان أن تلقي عذراً، تخرج به من تكاليف الوحي ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ ولكن قد يعسر عليك الجواب بين يدي الله تعالى.

٤٠ ـ الزمن تبدَّل، والفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان، هي الأعذار ذاتها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾.

٤١ ـ الذي لا يصلح للتشريع في ذهنك وواقعك هو ذاته قول سابقيك، لا فرق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾.

٤٢ ـ إذا رأيته يشرِّع خلاف الوحي، أو لا يقيم له رايةً في مكانه؛ فهو يردِّد قول الأولين بطريقةٍ عمليةٍ تطبيقية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾.

٤٣ ـ بشارة لكل الواقفين في طريق المهتدين بكلماتهم وأقلامهم ومسؤولياتهم ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾.

٤٤ ـ يا لشؤمهم يوم القيامة! ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ كلُّ إنسانٍ يأتي مسؤولاً عن خطئه، وهذا يأتي مسؤولاً عن أخطاء العالمين.

٤٥ ـ قد كانوا في حلٍّ من ذلك، إلَّا أنَّ الشقاء لا نهاية له ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾.

٤٦ ـ يكتبون في وسائل التواصل الاجتماعي محذِّرين من الأفكار الضالَّة، ويحرِّضون على المصلحين، وكلَّما رأوا الهداية تخفق في قلب صالح أقبلوا إليه محذرين، يا ويحهم ليتهم استبقوا شيئاً يقيهم العذاب ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٤٧ ـ هذا يأتي محمَّلاً بأوزاره، وذاك يأتي محملاً بأثقاله وأثقال الضالِّين، ما أشأم العلم والجاه والسلطان في حياة هؤلاء! ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٤٨ ـ يسَّر الله تعالى له طريق العلم، وقضى بقيَّة عمره يصنِّف، ويوالي، ويحارب، ويسبُّ، ويشتم ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٤٩ ـ إلى الذين أقنعوا شاباً واقتادوه في مقتبل عمره إلى السياحة، ثم رموا به هناك في لجج الشهوات ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٥٠ ـ ما زال به حتى دخَّن، ثم لازمه حتى تعلم منه تعاطي المخدِّرات، كم كان في عافيةٍ من هذه الحسرات ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٥١ ـ استقام على طريق الحق، وأقبل على بيوت الله تعالى، ثم لقيه في الطريق وخوَّفه باسم الإرهاب حتى ترك دينه وهدايته، وعاد ضالاًّ في الطريق ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

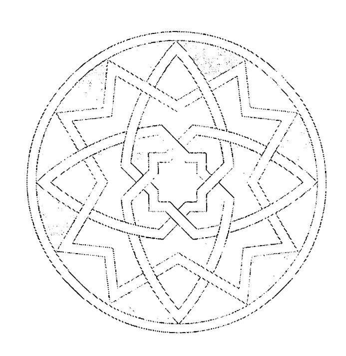
٥٢ ـ كلَّما أراد مشهداً من مشاهد الفضيلة وقف له أبوه محذِّراً ومانعاً ومعاقباً، ثم ترك الطريق من أصله ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٥٣ ـ فتح موقعاً، واستلَّ قلمه يخوض في العلماء وطلَّاب العلم؛ فانحرف كثيرون عن الحق ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٥٤ ـ لا جديد! كل ما يصنعه الضالُّون اليوم هو ذاته ما صنعه الضالُّون في الأمس ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وجرت عليهم النهايات نفسها!

٥٥ ـ هذه بعض مشاهد الضلال في الختام، وليست كلها ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

التفسير

• ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يفضحهم على رؤوس الخلائق ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ تحاربون وتعادون الله تعالى وحزبه لأجلهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من العلماء الربانيين: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿وَالسُّوءَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧)﴾ الجاحدين لأمر الله تعالى.

• ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا وتركوا المشاقَّة لله تعالى ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ ينكرون ما اقترفوا ﴿بَلَىٰ﴾ كنتم تعملون السوء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا مخرجَ لكم منها ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)﴾ ما أسوأ مقرَّهم ومقامهم!

• ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فجعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أنزل خيراً ورحمةً وبركة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾ بتقوى الله تعالى وطاعته ﴿حَسَنَةٌ﴾ من رزقٍ واسعٍ، وعيشٍ هنيءٍ ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ وما أعد الله تعالى في الدار الآخرة أفضل وأوسع ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)﴾ ما أحسنها وأجملها!

• ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دائمة ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من أنواع النعم ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١)﴾ مثل هذا الجزاء يجزي الله تعالى المتَّقين.

• ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تقبض أرواحهم ﴿طَيِّبِينَ﴾ مطهَّرين من كلِّ رذيلة ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ أمان عليكم من الله تعالى ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ادخلوها بسبب أعمالكم.

• ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت، فتنزع أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بإنزال العذاب عليهم وإهلاكهم ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ظلموا واستكبروا وأعرضوا عن الله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ بمخالفتهم لأمر الله تعالى.

• ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ فما أصابهم من العذاب كان بسبب سيئاتهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يسخرون.

التَّدَبُّرُ

١ ـ هذا هو جزاء الله تعالى للضالِّين ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢ ـ أسئلة الضُّلَّال زيادة في تبكيتهم وعذابهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣ ـ الاعتذارات المتأخِّرة لا تجدي أصحابها شيئاً ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٤ ـ ما زالت مساحات الاعتذار مبسوطة لكثيرين ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٥ ـ قرأ هذه الآية فاتَّخذ قراراً بالتوبة من كلِّ أحداث السوء في حياته، وتاب توبة نصوحاً ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٦ ـ كل أخطائك التي قارفتها يمكنك أن تتوب منها الآن ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٧ ـ تُبْ إلى ربك، وجَدِّد عهدك به، وألقِ كلَّ ماضيك جانباً، واحمده أن يسَّر لك رؤية هذه الحقائق قبل الفوات ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٨ ـ إذا صلحت القلوب استقبلت الوحي بفرح وإجلال ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

٩ ـ الألسن مغاريف القلوب ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

١٠ ـ المحسنون مع الله تعالى ومع خلقه موعودون في الدنيا ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ

وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ «**في الآخرة ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر**»![1]. ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

١١ ـ لا تقلقوا على صالح ودَّع الأرض، إنما استقبل هذه النهايات ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٢ ـ ماذا لو قرأنا هذا الاحتفاء الكبير على الراحلين في النهايات ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ **القلقون من الموت؛ إما أنهم متخلِّفون عن العمل، أو لم يقرؤوا هذه النهايات بإمعان.**

١٣ ـ كل نجاح إذا لم يكن موصولاً بهذه النهاية فلا قيمةَ له ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٤ ـ إلى كلِّ مُعْرِضٍ: هذا بعض ما ينتظركم في مستقبل الأيام ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٥ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٦ ـ انظر عملك وانتظر جزاءه على الطريق ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

---

(١) أخرج البخاري رقم (٤٧٧٩) ومسلم رقم (٢٨٢٤) واللفظ للبخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ**».

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

التفسير

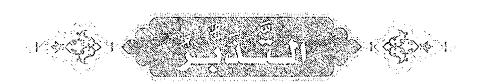
- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لو أراد ﴿مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ من الآلهة التي نعبدها ﴿نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ من قبل ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ من الأنعام ونحوها؛ فإنهم كانوا يحرِّمون بمجرَّد أهوائهم ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فليسوا سابقين إلى هذا الضلال ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ فليس على الرسل سوى البلاغ الواضح البيِّن.
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ فما من أمَّةٍ إلَّا وقد بعث الله فيها رسولاً يدعوها إلى عبادته ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ قوموا بما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ ابتعدوا عن كل ما عُبِد من دون الله تعالى ﴿فَمِنْهُم﴾ من هذه الأمم التي بعث فيها الرسل ﴿مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إلى الحق ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ وجبت وثبتت عليه الغواية ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ امشوا في الأرض، وتأمَّلوا فيها معتبرين ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ كيف كانت نهايتهم.
- ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ فتجتهد في دعوتهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ فإن من أضله الله تعالى لا سبيل إلى هدايته، مهما كانت الأسباب المبذولة في ذلك ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ينصرونهم من عذاب الله تعالى، ويدفعونه عنهم.
- ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ حلفوا أيماناً مغلَّظة على تكذيب خبر الله تعالى، وأن الله لا يبعث الموتى ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ إحياء الموتى وحسابهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أمر الله تعالى وقدره في ذلك.

• ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ يبعثهم ليبيِّن الله الحقَّ فيما كانوا يختلفون ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ۝٣٩﴾ ويتبيَّن لهم أنهم ليسوا على الحق.

• ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ أن يكون ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ بأمرنا وقدرتنا.

• ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ تركوا أوطانهم وانتقلوا منها ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ من بعد ما وقع عليهم الظلم والعذاب والفتنة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾ لننزلنَّهم ﴿فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً﴾ من رزقٍ واسعٍ وعيشٍ هنيءٍ ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ﴾ وما أعد الله لهم يوم القيامة أعظم بكثير مما رأوا ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾ ما عند الله تعالى من الثواب.

• ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أوامر الله تعالى، وعن نواهيه، وعلى أقداره ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢﴾ يعتمدون في كل أمورهم.



١ ـ القلوب التي لا تجلُّ الله تعالى لا تأبه بالكذب على جنابه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٥﴾.

٢ ـ إذا سهلت البدايات لم تستقبح فجائع النهايات ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٥﴾.

٣ ـ تاريخ الضلال واحدٌ عبر القرون ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن

دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾.

٤ ـ مهمَّة الرسل الضخمة تقفُ عند حدِّ البلاغ ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وما عدا ذلك فموكول إلى أهله وأصحابه.

٥ ـ عبادة الله تعالى اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٦ ـ لا تستقيمُ عبادةُ الله تعالى إلَّا باجتناب الطاغوت أصلاً وفرعاً ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٧ ـ كثيرٌ من عبادات المسلمين مشوَّهة، تحتاج إلى تخليصٍ ممَّا يشوبها من أخطاء ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٨ ـ تشويه العبادة يأتي من خلل في مفهومها، فبعضهم يحصرها بالمسجد، وما بينه وبين الله تعالى، ولا يعدُّ العلاقة مع المخلوقين ديناً ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٩ ـ ويأتي تشويهها من خلال صور الطاغوت الذي يخالطها، في تحكيم العادات، وتقديمها على بعض العبادات ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٠ ـ ويأتي من خلال خلط العبادات، وتشويهها بجملة من المنكرات، التي تعارضها من أصلها، أو في بعض مظاهرها (كأفراح العيد والأعراس أنموذجاً) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

١١ ـ من سنن الله تعالى أن يبقى في الأرض معارضون للحقّ مناضلون من أجل باطلهم ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ﴾ وفئة أخرى تستقبله، وتسعد به، وتعيش له ما بقيت الحياة.

١٢ ـ قراءة التاريخ منهل عذب لبناء الوعي ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٣ ـ لم يبقَ لمعتذرٍ حجّة، فأحداث الغابرين درسٌ وعبرة ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٤ ـ إذا وجدت في كتاب الله تعالى سيرةَ غابرٍ هلك، أو أمّةٍ تاهت، فألقِ إليها بوعيك، واقرأ أسباب تلك النهايات، وخذ منها العبر ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٥ ـ واجب عليك أن تبذلَ كلَّ ما يُنْجحُ مشروع دعوتك، وليس من حقّك السؤال عن هدايتهم؛ فذلك أمر الله تعالى ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٦ ـ لا تقلق على قوم، يرون بصائر الحق، ثم لا يهتدون، حسبك دعوتهم للحياة ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٧ ـ بذل نبيك ﷺ كل ما يملك لهداية عمه أبي طالب، ولم يبلغ من ذلك أملاً ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٨ ـ في دعوتك لولدك، وزوجك، وأهل بيتك، والقيام بدورك في مسجدك وجامع حيِّك، ومشروعك، حسبك أن تقدم لهم الهداية في أجمل أثوابها ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٩ ـ يمكنك أن تجرَّ الحصان إلى نبع الماء، ولكنَّك لا تملك أن تجبره على شربِ الماء ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

٢٠ ـ المنكرون للحقائق، على موعد مع أحداثها الكبار ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢١ ـ كم من حقيقةٍ ستفضح أصحابها يوماً ما ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾!

٢٢ ـ الكبير المتعال، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٣ ـ هذا الخلق الكبير شاهدٌ على هذه القدرةِ العظمى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٤ ـ وإن طالت أيام القَرْح؛ فإن غداً لناظره قريب! ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

التفسير

• ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ يا رسول الله ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾ من الناس لم يكونوا ملائكة ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ بالشرائع والأحكام ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ من أهل الكتب السابقة فسيخبرونكم أَنَّ الرسلَ كانوا بشراً ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ خبر الله تعالى وقدره.

• ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والبراهين ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ الكتب ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ في هذا القرآن من الأحكام الشرعية ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يتأمَّلون في شرع الله تعالى وقدره.

• ﴿أَفَأَمِنَ﴾ هل عاشوا في مأمنٍ واطمئنانٍ أولئك ﴿ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فسعوا بالفساد، ولم يأتمروا بأمر الله تعالى ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يغيِّبهم فيها ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ وهم في حال غفلة.

• ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ وهم مشغولون بأسفارهم وتجاراتهم وأعمالهم ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بفائتين ولا ممتنعين من ذلك.

• ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ وهم في حال نقص من الأموال والأنفس ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ موصوفٌ بالرأفةِ والرحمةِ لا يعاجل الناس بالعقوبة.

• ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ أولم ينظروا ويتأمَّلوا فيما خلق الله تعالى ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ تميل ظلالها ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ ظلالها يميناً وشمالاً تبعاً لحركة الشمس ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ أي هذه الأشجار ساجدة لربها خاضعة له ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ذليلون خاضعون لله.

• ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ فكل ما في

الكون ساجدٌ وخاضعٌ لله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ كذلك سُجودٌ لله تعالى ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ عن عبادته.

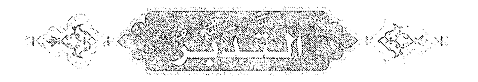
• ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ ويفعلون كل ما أمرهم الله تعالى به.

• ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ خافوني ولا تخافوا سواي.

• ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وتدبيراً ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ ثابتاً دائماً لا يزول ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فتقومون بأمره، وتنتهون عن نهيه.

• ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ دنيوية أو دينية ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ فهو المتفضِّل بها عليكم ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ من خوف أو مرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ تضجُّون إليه بالدعاء والتضرُّع.

• ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾ أزاله ورفعه ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يجعلون له شريكاً في العبادة.



١ ـ اختيار الطريق الأبلغ لوصول الرسالة، مطلبٌ ملحٌّ في نجاح الدعوة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ رجال مختارون بعناية ومزكّون لبلاغ هذا الدين!

٢ ـ القدوة الواقعية الأقرب مكاناً وزماناً أبلغ في إيصال المقصود من القدوة البعيدة زماناً ومكاناً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ لم يبعث الله تعالى ملائكة لتبليغ دينه، وإنما بعث بشراً.

٣ ـ كلَّما كانت الأمثلة المضروبة في الكلمة، والمحاضرة، والخطبة، أقرب لواقع السامع كانت أكثر أثراً، وأمتن واقعاً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٤ ـ احترام التخصص ضرورة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أهلُ الذكر كلٌّ فيما يخصُّه؛ أهل العلم في العلم، والطبيب في الطب، والمهندس في الهندسة، والفلاح في الزراعة، وهكذا.

٥ ـ العاطفة الجياشة والجمال المثير (المرأة) لا تصلح لحمل الراية العلنية، إلَّا في أوساطها من النساء، أو في بيتها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٦ ـ كلمة (لا أدري) فيما لا تحسنه رصانةُ عقلٍ، وعظمة وعي ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٧ ـ أقبح الصور تلك التي ترى فيها أصحابها، يتسابقون لكل سؤال، ويشاركون في أيِّ شيء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٨ ـ إغاثة الناس بالعلم، وفكاكهم من أسر الجهل، مهمَّة الوحي ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٩ ـ حاجة النَّاس للوحي كحاجتهم للهواء، لا فرق ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

١٠ ـ كل العلوم والمعارف تتضاءل أمام مباهج الوحي ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

١١ ـ الغفلة تصنعُ الطامات ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

١٢ ـ ما لهم ولمكر الله تعالى! ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ لا يأمنُ مكرَ الله تعالى إلّا جاهل.

١٣ ـ بينه وبين الله تعالى خبايا سيئة، ومواقف مخجلة، وخلوات فاضحة، وما زال يتمادى ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

١٤ ـ إذا قرأت هذه الآيات ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ فعد إلى قلبك، وأعد شريط ذكرياتك، وتأمل في تاريخك، وفكَّ نفسك من مدلهمّات الزمان، وقوارع الأحداث.

١٥ ـ حتى ظل الأشجار يَتَعبَّدُ لله تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فما لقلوب كثيرين، ما زالت متكبِّرةً متجبِّرة!

١٦ ـ جمادات تدرك حقَّ الله تعالى، وتسجد لربها إجلالاً وإعظاماً، فمتى يفيق الإنسان؟ ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾.

١٧ ـ دعوة لإقامة التوحيد ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

١٨ ـ القلوب التي لم تستقم على منهج الله تعالى، لـم تتمكَّن منها بعد عقيدة التوحيد ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

١٩ ـ ما أشـدَّ حاجة الناس لإعادةِ درسِ التوحيد مِنْ جديد ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

٢٠ ـ لا أعني كلمة التوحيـد المجرَّدة (لا إله إلّا الله)، وإنمـا أعني معانيها التي تجري لأحداثها الحيـاة ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

٢١ ـ التوحيد أَنْ تحبَّ ربك، وَتُعَظِّمَهُ للدرجة التي تستهين من أجله كل شيء ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

٢٢ ـ التوحيدُ أن تُعظِّمَ ربك، فلا يبقى في قلبك سواه ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

٢٣ ـ التوحيدُ «**أَنْ تَعْلَـمَ أَنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئـك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الأمة لو اجتمعوا على أَنْ يصيبوك بسوءٍ لم يصيبوك إلَّا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ**

قد كتبه الله تعالى لكَ، رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف»[1]. ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢)﴾.

٢٤ ـ إذا حلَّت برحابك نعمةٌ، فهي من عطايا ربك، وأفضاله عليك ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣)﴾.

٢٥ ـ نعيم قلبك، وطمأنينة نفسك، وخفتك من ثقل الديون، واستقرار بيتك، ووجود مشروع في حياتك، وإقبال قلبك على الخيرات، وموارد الطاعات، بعض معاني توفيق الله تعالى لك ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

٢٦ ـ إياك أن يتطرَّق إلى قلبك ومشاعرك ونفسك، أنَّ ما فتح الله تعالى به عليك، ناتجٌ عن قدراتك، ومهاراتك، وإمكاناتك الشخصية، فتلك دعاوى الضالِّين ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

٢٧ ـ شرح الله تعالى صدرك، وفتح قلبك، وهيَّأ طريقك، وألهمك، وصرف عنك عقبات التوفيق، فلقيت ما تتمنَّاه، مَنْ أنت لولا الله! ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

٢٨ ـ هل رأيتهم! يُهْرَعُوْنَ إلى الله تعالى وقت الضراء، ثم إذا أغاثهم عادوا للضّلال ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٤)﴾.

٢٩ ـ تنتابه العوارض والظروف والمشكلات، فيقبل على ربه، ثم يتعافى فيعود للإعراض ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٤)﴾.

---

(١) انظر حديث ابن عباس في مسند الإمام أحمد برقم (٤٠٩/٤) وطرفه: «**يا غلام إني أعلمك كلمات...**».

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

التفسير

• ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ يجحدون ما آتيناهم من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ في دنياكم ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥﴾ عاقبة ما تفعلون يوم القيامة.

• ﴿وَيَجۡعَلُونَ﴾ أي المشركون ﴿لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ للآلهة التي لا تعلم شيئاً ﴿نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ يتقرَّبون إليهم بالأموال، من ذبح، وقرابين، ونحو ذلك ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ أيها المشركون سؤال توبيخ وتقريع ﴿عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾ من الكذب على الله تعالى.

• ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ﴾ فيقولون: الملائكة بنات الله تعالى ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزَّه وتعالى عن ذلك ﴿وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾ وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور.

• ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ﴾ مولودة ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ متغيِّراً من سوء ما أخبر به ﴿وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨﴾ حزين على ذلك.

• ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ يستتر عنهم ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ سوء ما يلحقه من العار والفضيحة بذلك ﴿أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ يبقيها حيَّةً مع ما يلقاه من إهانةٍ وذلٍّ من قومه ﴿أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ﴾ يدفنها في التراب وهي حيَّة ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾ ما أسوأ حكمهم!

• ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ﴾ المثل الناقص الذميم من ذلك كلِّه ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ صفة الكمال والعلو في كلِّ شيء ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ لا غالبَ لأمره ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٦٠﴾ في تدبير خلقه.

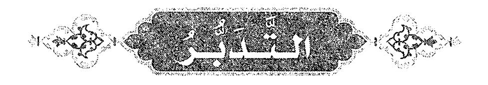


• ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ ما يقع منهم من ظلمٍ لأنفسهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ لهلكوا جميعاً، لهلك العاصون بسـبب معصيتهم، والدواب بسبب ما يحلُّ عليهم من شـؤمِ المعصية ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ عن تعجيل العقوبة بهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجل كلِّ إنسانٍ كما مضى به القدر ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ المقدَّر في الكتاب ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ عن وقته ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ عن زمنه.

• ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ أن لله تعالى البنات ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الصفة الحسنة، ومن ذلك أَنَّ لهم الذكور، ولله الإناث ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ يوم القيامة ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ متروكون منسيُّون في النار.

• ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أرسلنا لهم رسلاً يدعونهم إلى الحق ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ مع سوئها وقبحها ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ في الدنيا أطاعوه واتَّبعوه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من التوحيد والجزاء والحساب ﴿وَهُدًى﴾ لقارئه وتاليه ﴿وَرَحْمَةً﴾ بما يدلُّه إليه من الحق ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ لكلِّ من آمن بالله تعالى.



١ ـ الكفر بنعم الله تعالى أسوأ ما يواجه الإنسان في حياته ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٢ ـ إذا عطَّلَ الإنسانُ عقلَهُ سقط في مستنقع الضَّلال ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٣ ـ الجهل يصنع الخرافات ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

٤ ـ الجاهلية تُلقي بظلالها على المجتمعات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

٥ ـ حين تصبح الجاهلية عادةً تتحكَّمُ في عقولِ النَّاس، وتجري بهم في ساحات الضَّلال ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

٦ ـ التي أنجبته امرأة، وزوجته التي يعيش معها ويعاشرها امرأة، ثم يضيق في الليلة التي تولد له امرأة! هكذا تصنع الجاهلية واقعها ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

٧ ـ كل قضية لا تُحاكم للشريعة، تجدها محمَّلة بالمتناقضات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

٨ ـ ما زالت بعض هذه الجاهلية باسطة واقعها في نفوس بعض الرجال ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

٩ ـ إذا جلس في مجلس رجال وتحدث عن المرأة قال: أعزكم الله! جاهلية في ثوب قدر وشرف ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

١٠ ـ تقدم بسجلِّ الأسرة إلى حملة حجٍّ من أجل إخراج التصريح، بعد أن شطب اسم زوجه وبناته، وكل الإناث، بعض من إرث تلك الجاهلية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

١١ ـ لا تستغرب، إذا لم تجدها أخذت إرثها، من أرض زراعية حتى اليوم؛ لأنها تعيش في الجاهلية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

١٢ ـ الحاجة للولد والزوجة لا تصلح أمثالاً لله تعالى، لكنَّه الجهل حين يضرب بأطنابه في واقع الأحياء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

١٣ ـ كم من ذنب استحقَّ أهله العقوبة العاجلة، ولكن سنن الله تعالى تقتضي التأخير ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

١٤ ـ لو أنَّ الله تعالى أخذ الناس بذنوبهم، لهلكوا، ولم يبقَ منهم أحدٌ في الكون ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

١٥ ـ لا تظنَّنَّ الله تعالى أخَّر عذابه عن أحد لكرامته، وإنما لأن سننه تقتضي ذلك التأخير ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

١٦ ـ الجهلُ يخلقُ العبثَ إلى أقصى مدى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

١٧ ـ الذين يتقوّلون في شريعة الله تعالى كما يشاؤون، عليهم أن ينتظروا هذه النهايات ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

١٨ ـ كل الذين تاهوا في الطريق، أغرتهم الزينة العارضة، التي صنعها لهم الشيطان ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

١٩ ـ لا تستغرب حين تجدهم غارقين في قعر الشهوات والشبهات ولا يرون أنهم صنعوا منكراً، تلك الزينة التي ألبس بها الشيطان ذلك الطريق ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

٢٠ ـ لو لم تُلبس المنكرات بذلك الوهم (الزينة)، لاستقبح العقلاء ما يصنعون ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

٢١ ـ حين تجد كبيراً في ضحالة الفوضى، فتلك صناعة الشيطان بامتياز ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

٢٢ ـ جعله الله تعالى رأساً في وظيفة، وإماماً في مسجد، وكبيراً في موقع، ثم تحوَّل إلى عقبة في طريق دينه ومنهجه ورسالته ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

٢٣ ـ على رحاب الوحي تجتمع الكلمة ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

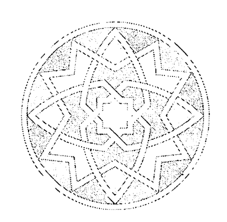
٢٤ ـ القرآن كفيل بحلِّ الخلافات، وجمع الكلمة، وصلاح القلوب ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

٢٥ ـ المتربي على القرآن، والمتدبر لآياته، ستتقلَّص لديه دوائر النزاع والخلاف إلى النهاية ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

٢٦ ـ لو أن الأسرة والمجتمع والأمة، جعلت هذا القرآن منهجاً لحل خلافتها لسعدت في الدارين ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

٢٧ ـ كم من مَعِيْن لا ينضب في هذا القرآن لو تدبَّرناه! ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.





وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

التفسير

- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ماء الغيث ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بما نبت على ظهرها من نبات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ عظة وعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ كلام الله تعالى، ويفهمون ما فيه، من العبر والعظات.

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ من الإبل والبقر والغنم ونحوها، مما سخَّرها الله تعالى ﴿لَعِبْرَةً﴾ لعظة ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ نسقيكم من ضروعها لبناً خارجاً من بين فضلات الجسد ودمه، خالصاً نقياً لذيذاً للشاربين.

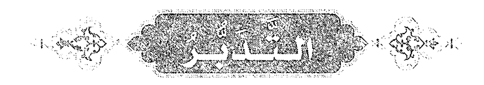
- ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ من ذلك الثمر ﴿سَكَرًا﴾ ما يسكر من الخمر، وهذا الامتنان كان قبل التحريم، والإشارة هنا لقدرة الله تعالى الظاهرة في إخراجه من ذلك ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ وهو جميع ما يؤكل، ويتنعم به منها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ لعبرة وعظة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قدرة الله تعالى وآثار حكمته.

- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ ألهمه وقذف في فطرته ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تستقرين فيها ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ تتخذ بيوتاً كذلك ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ وتتخذ بيوتاً فيما يبنيه الناس ويسقفونه.

- ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ من كل ما اشتهت ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ الطرق التي تيسّر لك مبتغاك ﴿ذُلُلًا﴾ مذلَّلةً ميسَّرةً لوصولها ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ وهو العسل ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ منه ما هو أحمر، ومنه ما هو أسود، وغير ذلك من الألوان على حسب ما تأكل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ من الأمراض التي تعرض لهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ لعظة وعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في آيات الله تعالى، وفي مخلوقاته.

• ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ على غير مثال ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ بعد استكمال آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أضعفه وأوهاه، وهو وقت الهرم ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ فلا يعلم ممَّا يعلمه شيئاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ لا يفوته من علم الخلائق شيء ﴿قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ على كل شيء.

• ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ فجعل منكم الغني والفقير، والمالك والمملوك، والقويَّ والضعيف ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ بسعة الرزق ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾ بباذلي رزقهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ على المماليك من هؤلاء، والفقراء منهم ﴿فَهُمْ فِيهِ﴾ في الرزق ﴿سَوَآءٌ﴾ متساوون من حيث أنه فضل الله تعالى ونعمته ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ فلا يعطونها أهلها، ولا يقيمون فيها أمر الله تعالى، ومعنى الآية: إذا كنتم أنتم أيها الأغنياء لا ترضون مساواة عبيدكم ومماليكم بكم في الأموال؛ فكيف يرضى الله تعالى بمساواة عبيده له في الألوهية ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ تسكنون إليها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ﴾ أولاداً ﴿وَحَفَدَةً﴾ وأولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ تتنعَّمون بها متى تشاؤون ﴿أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدِّقون أَنَّ مع الله تعالى آلهةً تُعبد ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يجحدون.



١ ـ هذه الأرض الموات المجدبة، التي تتحرك للغيث، وتتناغم معه، وتحيا من جديد، آيةٌ من آيات الله تعالى، تحتاج إلى تأمُّل ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

٢ ـ إذا جاء الربيع، لا تنشغل بخضرة الأشجار، وجمال الأرض عن القدرة التي

نقلت أرضاً مجدبة إلى ساحات ربيع! ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ يا الله ما أعظمك!

٣ ـ أرأيت ذلك اللبن الذي تشربه! أخرجه الله تعالى من بين الفرث والدم، وجعله في النهاية خالصاً سائغاً للشاربين، يا الله ما أعظمك! ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

٤ ـ هل رأيت ذلك الثمر، وتلك الأرزاق، التي يخرجها ذلك الشجر! تلك بعض صنائع الله تعالى فيها ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يا الله ما أعظمك!

٥ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً أجرى له سبباً ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٦ ـ من ثمرات ذلك الإلهام هذه المنحة، التي يلقى فيها الناس شفاء أدوائهم وأسقامهم كلَّ حين ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٧ ـ كم مرّة شربت عسلاً، وألقيت بقلبك، وفكرك، ومشاعرك في مساحات قدرة الله تعالى، وحكمته في هذا الشأن!! ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٨ ـ ليس مهمّاً كم عمرك الآن! ولا متى ستموت، كهلاً أو شاباً! المهم تاريخك

الذي سيُبقي لك الذكريات ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾.

٩ ـ رحل سيبويه وهو ابن الثلاثين، وخلَّف تراثاً طار بذكره في العالمين ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾.

١٠ ـ وصنع النووي ـ وهو ابن السادسة والأربعين ـ تراثاً يبعث ذكره في المعاهد والجامعات والقنوات وبيوت الله تعالى كلَّ حين ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾.

١١ ـ وبقي بعضهم ما يزيد على التسعين، ولم يتمكَّن من إبقاء اسمه لجيله فضلاً عن بقية الأجيال ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾.

١٢ ـ لا تغبط غنياً على ما أعطاه الله تعالى، تأمَّل فيما وهبك الله تعالى، ثم امضِ به في توسيع دينك، وأثرك في العالمين ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾.

١٣ ـ الفقر ليس عيباً، والمال ليس كلَّ شيء، وما أعطى الله تعالى الإنسان أثمن بكثيرٍ من زخارف المال ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾.

١٤ ـ الأزواج والبنون من نعم الله تعالى على صاحبها، وهي أحوجُ ما تكونُ إلى شكر وعرفان ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)﴾.

❀ ❀ ❀

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

التفسير

• ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي هؤلاء المشركون ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ أي فكيف يعبدون من لا يملك أن يأتي لهم بشيء من الأرزاق من السموات، ولا من الأرض ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ لا قدرة لهم إلى مدِّهم بشيءٍ من الرزق ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ التي تتضمَّن التسوية بينه وبين عباده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ وفي ضرب الأمثال له جهلٌ به تعالى.

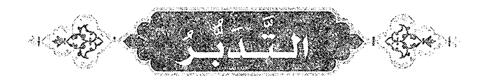
• ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ عاجز عن التصرف ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ وآخر حُرّاً فتحنا عليه الأرزاق، وأعطيناه منها ما يشاء ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ﴾ ممَّا أعطيناه كلَّ وقت ﴿سِرًّا﴾ بينه وبين الله ﴿وَجَهْرًا﴾ علانية ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ لا يستوون، وإذا كان كذلك، فكيف يستوي المخلوق العبد، الذي لا مُلْك له ولا قدرة بالربِّ الخالق المالك، القادر على كلِّ شيء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الحمد كلُّه له تعالى على كماله وعظمته ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ما يستحق الله تعالى.

• ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ لا يسمع ولا ينطق ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لعدم فهمه وعدم قدرته ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ لا يستطيع أن ينفع نفسه ولا نفع غيره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لعجزه عن التصرُّف ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾ من كان وصفه كذلك ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ يقوم بأمر النَّاس بالعدل ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ طريق معتدل في سيرته كلها، وكذلك الله تعالى، لا يمكن أن يقارن بهذه المعبودات الكالَّة عن نفعِ أنفسها، وهو قادر على كل شيء.

• ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يعزب عنه منه شيء ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ حدوثها وقيامها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ في وقوعها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ لا يعجزه شيء.

• ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أطفالاً لا تدركون شيئاً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ نعم الله تعالى عليكم، فتجعلون هذه النعمة فيما يحب.

• ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ تطير حيث شاءت ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لكمال قدرته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التسخير للطير ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ عبر وعظات ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ بالله تعالى.



١ ـ تأجير العقول مفضٍ بأصحابه إلى نهايات السوء ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أجَّروا عقولهم؛ فعبدوا من لا يستحقُّ العبادة.

٢ ـ حين لا يبقى للعقل قيمةٌ في واقع صاحبه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ الأصل أن يكون العقل حاكماً على ما يراه، ففرطوا في أعظم ما أعطاهم الله تعالى، وعطَّلوا أهمَّ وظائفه على الإطلاق.

٣ ـ نزال العقل بالحجج والأفكار، ضرورةٌ لاجتثاث الأفكار العالقة به دون دليل ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ

يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

٤ ـ رحمة الله تعالى بعباده، يتنزَّل معهم، ويناقش أفكارهم، ويبين لهم الطريق بأوضح الأمثلة، وأقربها هداية للعقل ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

٥ ـ عناية القرآن ببناء الأمثلة والأفكار، التي تبني منظومة التفكير لدى صاحبها، وتجتثُّ من خلاله الأفكار الوهمية ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

٦ ـ علم الله تعالى وكمال قدرته، فما من شيء يجري في ملكوته إلَّا بإذنه ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾.

٧ ـ أياً كان عملك، فلا يغيب على الله تعالى منه شيء ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾.

٨ ـ يجري علم الله تعالى في أخصِّ الأشياء لديك، وأدقِّها في حياتك، فلا تستهيننَّ بصغيرٍ يأتي عند الله تعالى يوم القيامة عظيماً ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

٩ ـ كمال منَّة الله تعالى على الإنسان، أن خلقه وزوَّده بوسائل المعرفة التي تمكِّنه من العيش في هذه الحياة كما يريد ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

١٠ ـ كل تخلُّف وقصور يصيب الإنسان فهو من ذاته ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

١١ ـ بناء ذاتك، والعناية بها، ودفعها إلى آمالك وقفٌ على جهدك، واستثمار وسائل المعرفة في الوصول بها إلى غاياتها الكبار ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

١٢ ـ أعظم المواقف حسرةً حين يمنحك الله تعالى ما به نجاتك، ثم لا تصنع به شيئاً ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

١٣ ـ استقبلوا هذه النعم، ثم ذهبوا يعبثون بها كيفما شاؤوا! ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

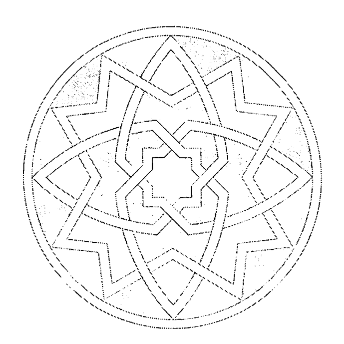
١٤ ـ يا لها من حسرة حينما لا تتمكَّن النعم من هدايتك للطريق! ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

١٥ ـ إذا رأيت طيراً محلّقاً في السماء، فتأمل كيف أعطاه الله تعالى هذه القدرات! ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

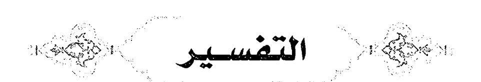
١٦ ـ كثيرة هي المشاهد الدالة على قدرة الله تعالى، منها مشهد الطير المحلّق في السماء بجناحيه ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ وايم الله إنَّ مشهد الطير في السماء، يبعث على الدهشة، لو كانت لنا عقول!

١٧ ـ أضرُّ ما على الإنسان تحوُّلُ كثيرٍ من مشاهد الإعجاز عنده إلى مشاهد عادية، لا تستحثُّ عقله على التفكير ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.





وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾



التفسير

• ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ تقيمون فيها وتجدون فيها الراحة والاستقرار ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ كالخيام ونحوها ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ تخفُّ عليكم ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ انتقالكم من موضعٍ إلى موضع ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ استقراركم ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ أصواف الغنم ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ أوبار الإبل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ أشعار المعز ﴿أَثَٰثٗا﴾ لبيوتكم وأكسية وأغطية ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتَّعون به من حوائج بيوتكم؛ كأدوات الطعام والشراب ﴿إِلَىٰ حِينٖ ٨٠﴾ إلى زمن نهايتكم منها، أو انقضاء صلاحها.

• ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾ ظلّاً تستظلُّون به من حرِّ الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ أسراباً ومغارات وكهوفاً، تحتمون بها مِنَ الحرِّ والبرد والمطر ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾ ثياباً ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ تمنعكم من الحر ﴿وَسَرَٰبِيلَ﴾ ودروعاً ﴿تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ تقيكم وقت الحروب ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ بهذه النعم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾ تخضعون لعظمته، وتنقادون لأمره.

• ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ فلم يخضعوا لأمر الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢﴾ إبلاغهم ما أمرك الله تعالى بإبلاغه بلاغاً بيِّناً واضحاً.

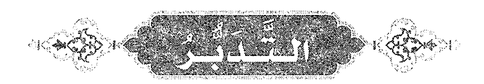
• ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ معرفةً مجرَّدةً عن الفعل ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بما يفعلون من أفعال ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣﴾ الجاحدون لنعم الله تعالى.

• ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ رسولها الذي أُرسل إليها؛ فيشهد عليها بما فعلت ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) ﴾ وإن طلبوا الرجوع للدنيا، ليستدركوا ما فات منهم، لم يجابوا إلى ذلك.

• ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥) ﴾ لا يمهلون بالتأخير.

• ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ ﴾ من الآلهة التي كانوا يعبدونها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ ﴾ على سبيل التبرؤ منهم، وإحالة الذنب عليهم ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ ردُّوا عليهم قولهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ (٨٦) ﴾ فلسنا سببَ ما أنتم فيه من العذاب.

• ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ استسلموا لله تعالى، وخضعوا له، وسلَّموا له كلَّ شيء ﴿وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ غاب وضاع ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) ﴾ من الكذب على الله تعالى.



١ ـ كل ما تراه في هذا الكون؛ فهو من تسخير الله تعالى لهذا الإنسان ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) ﴾.

٢ ـ هذه المشـاهد من أجلك؛ فما أنت صانعٌ في غاياتها الكبار؟! ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾.

٣ ـ إذا لم تدلَّك نعم الله تعالى على ربك، ولم تُقبل بك على عبادته؛ فلا مفروحَ بها في واقعك ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾.

٤ ـ سل نفسك في كل مشهد تراه في الكون؛ لِمَ خلقه الله تعالى! وكيف نستثمرُ ذلك في العونِ على مراضيه ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾.

٥ ـ منكوبون أولئك الذين لم تدلَّهم نعم الله تعالى على طريق الهداية ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾.

٦ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ دعهم وقراراتهم لأنفسهم في النهايات!

٧ ـ يستحقُّ المتولُّون عن إدراك ما لله تعالى عليهم من حقوق والقيام بها هذا الإعراضَ من الله تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾.

٨ ـ أعظم مهمَّةٍ للدعاة والمصلحين إبلاغُ دينِ الله تعالى في أجمل معانيه فحسب ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾.

٩ ـ الإعراض عن الله تعالى لا نهايةَ له ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

١٠ ـ كم مرّةً كانت النعم من حجج الله تعالى على أصحابها ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

١١ ـ من إنكار نعم الله تعالى ألَّا تُستعمل في مرضاته وتمكين دينه ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ حتى لو كان صاحبها لا يفتر لسانه عن شكرها.

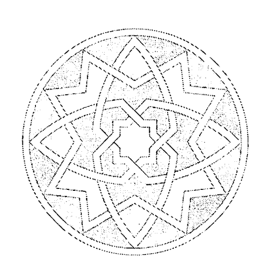
١٢ ـ ثمَّة يومٌ يُستنطق الرسلُ والأنبياء على تاريخ أممهم ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ وكم من مشهودٍ له ومشهودٍ عليه في تلك اللحظات!!

١٣ ـ تأمَّل نفسك في ضجيج ذلك الجمع، وانتظر شهادة رسولك ﷺ على تاريخك ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

١٤ ـ كم من أيامٍ في مستقبل صاحبها لا ينفع فيها الاستعتاب! ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

١٥ ـ من جمال القرآن أنَّ مستقبلك كلَّه مشكوف لا يحتاج سوى العمل ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.





ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

التفسير

- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في أنفسهم ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وصدُّوا غيرهم ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ عذاب الصدِّ فوق عذاب الكفر ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بسبب إفسادهم وصدِّهم لغيرهم.

- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ رسولهم يشهد عليهم بما فعلوا من الإيمان أو الكفر ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ على أمتك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القــرآن ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ مبيِّناً وموضِّحاً لكل شيء يريده قارئه ﴿وَهُدًى﴾ يهدي إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ بما فيه من البيان لطريق الحق ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ مبشِّراً لهم بما أعد الله تعالى لهم من الجزاء.

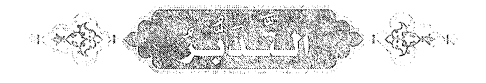
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ بأن يؤدي الإنسان حقوق ربه وحقوق الخلق، وألَّا يفضِّل أحــداً على أحد في الحكــم، إلَّا بحقٍّ يوجــب ذلك التفضيل ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في عبادة الله تعالى ومع خلقه ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إعطائهم ما يحتاجون ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ وهي كلُّ قبيحٍ من الأقوال والأفعال ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ كل ما أنكرته العقول السليمة ممَّا جاء النهي عنه والإنكار فيه من الشــرع ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾ الكبر والظلم ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بما بيَّنه لكم من الأمر والنهي في هذه الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ ما يعظكم به فتتَّعظون وتعتبرون.

- ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ الوفاء بما بين العبد وربه، أو بين العبد والخلق ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعد عقدها وتغليظها ﴿وَقَدْ

﴿جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ شهيداً بما عقدتم من الأيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في نقضكم للعهود والمواثيق ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ كالتي تغزل غزلاً من الصوف أو القطن، فإذا استوثق وتمَّ، عادت فنقضته مــن بعد إحكامه ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ مكراً وخديعةً وغشًّا ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر وأقوى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أخرى أضعف، والمعنى: لا ينبغي لكم أن تعقدوا أيمانكم، ثم إن كان المعقود له قوياً أتممتم له الأيمــان، وإن كان ضعيفاً نقضتم أيمانه غير مبالين ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ بالوفاء بالعهود والمواثيق ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٩٢﴾ فيجازي كل إنسان منكم بعمله.

• ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ كلُّها على الحق والهدى ﴿وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بعدلــه ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بفضله ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ يوم القيامة.



١ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ۝٨٨﴾.

٢ ـ ثمَّة فئاتٌ عاشت في الحرمان مرتين، مرة حين رفضت الحق، وأخرى حين تصدَّت له في عرض الطريق ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ۝٨٨﴾.

٣ ـ ماذا لو استطاع الإنسان أن يعيش في طريق الحياة مرّتين، مرة حين آمن بربه، وأخرى حين مضى ينشر الحقّ في العالمين! ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

٤ ـ في رحاب هذه الآية دفع النبي ﷺ بعبراته على وجنتيه ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ وقال لابن مسعود رضي الله عنه: «**حسبك الآن!**»[1].

٥ ـ تصوَّر ذلك المشهد الذي يقوم فيه رسولك، يشهد عليك بأيام تاريخك، وأحداث واقعك ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

٦ ـ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ رسالة في أن مفقوداتك المعنوية التي تبحث عنها، ستجدها في رحاب هذا القرآن!

٧ ـ لا تجهد نفسك في البحث عن الحياة، هي أقرب ما تكون إليك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

٨ ـ لن تشرق شمس حياتك، إلَّا حين يتحوَّل القرآن من حرفٍ يردَّد وآيٍ يتلى، إلى قضيَّةٍ كليَّةٍ تدير من خلاله شأنك في الحياة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود عند قراءته على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

٩ ـ أَقبلْ عليه، وهبْ له من وقتك، وقلبك، ومشـاعرك، وسيعلِّمك كيف تكون مبهجاً في العالميـن ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

١٠ ـ يسألون ما معنى ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾! ويقال لهم: اضربوا له من سنام أوقاتكم قراءةً وتدبُّراً، وستعرفون.

١١ ـ ثلاثة مؤذنة بالأفراح، وثلاثة مؤذنة بالسوء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

١٢ ـ عدلك واجب، وإحسـانك فضل، وإعطاؤك للقربى وعيٌ بإدارة الأولويات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾.

١٣ ـ لا تكلِّفْ نفسك ما لا تطيق، ولا تبعث فيها الأحزان بكثرة التفكير، ولا تفرِّط في حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾.

١٤ ـ الإحسان أن تبذل وجهك، ويدك، وجاهك، وقلبك، ومشاعرك للمحتاجين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ وقبل هذا أن تبـذل كلَّ هذا المعنى في كلِّ عبادةٍ تقدِّمها إجابةً لنداء ربك.

١٥ ـ ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ وصية في إدارة مالك، ورعاية لشأن أولوياتك!

١٦ ـ ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ رسـالة ألا يقع الإنسـان في مواقع السوء!

١٧ ـ لا يليق أن يكون الإنسـان في هذه المسـاحات تبعاً، فكيف لو كان رأساً ومقدَّماً؟! ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾.

١٨ ـ الإسلام يربي على الطهارة، ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة، وينمّي الشعور بالآخرين، وينهى عن كل ما هو قبيح قولاً أو فعلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

١٩ ـ إذا أبرمت عهداً، أو ميثاقاً، أو أيماناً؛ فإياك أن تبرح حماها ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٢٠ ـ من إجلال الله تعالى إجلالُ شعائره وتعظيمها، والقيام بحقوقها وتحمُّل تبعاتها وأثقالها ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٢١ ـ كلَّما أبرم عهداً لزمه، وإذا استوثق منه صاحبه بيمينٍ وفَّى بها، وإذا التزم ميثاقاً لم يبرح حماه، هذا هو الفقه بدين الله تعالى ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٢٢ ـ درِّب نفسك أن تكون مثالاً للأحلام التي تريدها في غدك ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٢٣ ـ لن تبلغ أحلامنا التي نريدها في الواقع مبلَغها حتى تكونَ مشاهدُ الأعمالِ فيها أكثر من مشاهد الأقوال ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

٢٤ ـ الخلل في الوظائف الحكومية، من أخطر ما يواجه أصحابه في مثل هذا الزمان ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ واجب وميثاق، وعهد والتزام، وكم من عابث في هذه المعاني لا يبالي من ذلك بشيء.

٢٥ ـ من أكثر الخيانات تلك التي تتم في أوساط الوظائف الحكومية ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ جرأة على المال العام وعبث فيه، وعدم توقي من حرماته.

٢٦ ـ الذين ينقضون عهودهم ومواثيقهم، ولا يلتزمون بأيمانهم كالتي جهدت في بناء غزلها، حتى إذا تمَّ شرعت تنقضه في أطرافه، حتى أعادته كأول عهده وسابق زمانه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

٢٧ ـ من كمال وعيك في درسك وموعظتك أن تبيِّن فكرتك بأمثلة تبلِّغك مقصودك منها ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

٢٨ ـ إذا أردت أن تعرف أثر الوفاء بالوعود والمواثيق، فتأمل سيرة نبيك ﷺ في إدارة شأن المعركة مع العدو ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ لم ينكث ميثاقاً وعهداً مع كافر، فكيف به مع المؤمنين!

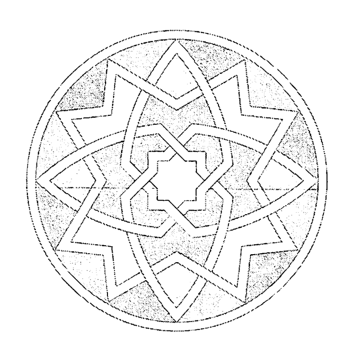
٢٩ ـ لا يضيرك اختلاف الأمة، فتلك سنة الله تعالى ومشيئته، ولو أراد لجمعهم على الحق ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

٣٠ ـ هذا الخلاف الذي تراه في واقع أمتك، هو جزء من ابتلائك في اجتياز الامتحان والاختبار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

٣١ ـ تأمَّل في الخلافات التي مرَّ بها واقعك الشخصي، أو واقع أسرتك ومجتمعك وأمتك، سترى فيها من عبودية الله تعالى، ما لا يخطر لك على بال ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

٣٢ ـ كثير من الخلل ناشئ عن جهلٍ في فقه السنن ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.





وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ
أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

التفسير

- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ وسيلة وذريعة إلى غشِّ النَّاس وخديعتهم ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ تضل الطريق وتترك الإسلام ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بسبب نقضكم للعهود والمواثيق ﴿وَلَكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ شديدٌ كبير.

- ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ تأخذون مقابل نقض العهود شيئاً دنيوياً من مالٍ ونحوه ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ أفضل ممَّا تأخذون مقابل النقض ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾ جزاء الله تعالى وعظيم ما عنده من فضل.

- ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ﴾ ينتهي مهما كان كثيراً ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ لا ينتهي ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على الطاعات والأقدار، وعن المعاصي والشهوات ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ بأفضل وأتم وأوفى.

- ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ وعدٌ من الله تعالى أن ينالَ كلُّ مؤمنٍ عاملٍ للصَّالحات، أعظم ما يتمنَّى من الحياة الطيبة الجميلة، من طمأنينة القلب وراحة النفس وهدوء البال ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ بأفضل وأوفى وأتم من عملهم وجهدهم في الدنيا.

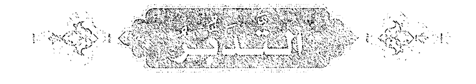
- ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أردت قراءته ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ فاسأل الله تعالى أن يعيذك من وساوس الشيطان.

• ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ ﴾ تسلُّط وقوَّة بالإغواء، والصد والمنع عن الخير ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ يفوِّضون أمورهم.

• ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ ﴾ تسلُّطه وقوَّته ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ ﴾ يتخذونه ولياً من دون الله تعالى، بطاعته واتباع ما يأمرهم به ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾ بسببه مشركون بالله تعالى.

• ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ نسخنا حكم آية بآية أخرى ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ في كتابه ﴿قَالُوٓاْ ﴾ كفار قريش ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ ﴾ كاذب مختلق للقرآن ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ حكم الله تعالى في ذلك التغيير والتبديل.

• ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ ﴾ القرآن ﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ ﴾ من عند الله تعالى ﴿بِٱلۡحَقِّ ﴾ نزوله بالحق، بما يشتمل عليه من أخبار، وأوامر، ونواهي، من عند الله تعالى ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على الإيمان ﴿وَهُدًى ﴾ هداية لهم إلى الخير ﴿وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ بما لهم عند الله تعالى من جزاء.



١ ـ العبث بالأيمان والعهود موجبٌ للنكوص عن الطريق ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾.

٢ ـ الإسلام يربِّي الفضيلة، ويخاصم لأجلها ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٩٤) وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥)﴾.

٣ ـ استباحةُ شعائر الله تعالى، والعبثُ بها، وعدمُ رعايةِ حقوقِها مؤذنٌ بأسوأ العقوبات ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٩٤) وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥)﴾.

٤ ـ ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥)﴾ رسالةٌ لكلِّ مسؤول، أبرم عقداً في مصالح المسلمين العامَّة، ثم أخذ في مقابل خيانته أموالاً!

٥ ـ أسوأ غشٍّ تتعرَّض له الأمة اليوم هو ما تتعرَّض له في مصالحها العامة ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥)﴾.

٦ ـ يأخذ مشاريع، ويتكفَّل بوفائها، ويوقِّع على عقودها، ثم يبيعها لغيره مقابل مبلغ من المال ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥)﴾.

٧ ـ أو يعلن عن مناقصة على مشاريع، ثم يتَّفق مع صاحبه في الخفاء، ويحظى بالمناقصة في النهاية ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥)﴾.

٨ ـ مهما بلغ ما تكسبه عن طريق الغش والاحتيال؛ فهو قليل بالنسبة لما تكسبه من الوفاء والصدق ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩٦)﴾.

٩ ـ الحلال القليل أعظم وأثمن وأبقـى من الحرام الكثير ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾.

١٠ ـ هذا وعد الله تعالى للذين يريدون إشراق الحياة في نفوسهم من جديد ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾.

١١ ـ إذا أردت الحياة العظمى، فالزم هذا المعنى، وواظب عليه، ولا تتخلَّف عن طريقه مع الأيام ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾.

١٢ ـ السعادة لا تحتاج إلى سفرٍ تكدُّ فيه نفسـك، وتجهد فيه روحك فقط، يمّم وجهك باتجاه الله تعالى، وأدر شأن العمل الصالح في حياتك بإمعان ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾.

١٣ ـ حافظ على الفريضة، ورابط عليها، واجعل لـك ورداً من الصلاة والصيام والحج والعمرة والقرآن والصدقة والذكـر، لا تفرّط فيه أبداً، وانتظر حياة حافلة بالأفراح ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾.

١٤ ـ من عظَّم شعائر الله تعالى وأجلّها ورابط عليها، فهو موعودٌ بما لم يخطر له على بال ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾.

١٥ ـ إذا يمّمت وجهك لكتاب الله تعالى، فادفع وساوس الشيطان بالاستعاذة منه ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) ﴾.

١٦ ـ الفكرة الأولى للانتفاع بكتاب الله تعالى، أن تحول بينك وبين وساوس الشيطان في قلبك ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

١٧ ـ هذا الوحي جليل، يحتاج فهمه ووعيه إلى احتفاء في البداية، واتخاذ الوسائل الكفيلة بفقهه وفهمه ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

١٨ ـ لا تستغرب حين يأخذ كتاب الله تعالى ليقرأ فيه، ثم ما يلبث أن يعيده إلى موضعه، وما ذلك إلَّا لتفريطه في دفع العوارض الشيطانية عنه ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

١٩ ـ الأخذ بالأسباب أمرٌ لازم ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ مع أنه لا سـلطان له على المؤمنين المتوكِّلين، إلَّا أنه لا بدَّ من الاستعاذة.

٢٠ ـ التوكُّل عمل، وليس شيئاً مجرَّداً من حقائقه ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

٢١ ـ الذين لم يحتفلوا بالحقائق، تسلَّط عليهم الشيطان بالأوهام ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

٢٢ ـ كل ما تراه من عبث في حياة كثيرين، فهو من تسلُّط الشياطين عليهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

٢٣ ـ إذا رأيته متخلِّفاً عن الطاعات، متردِّداً في الخيرات، مسارعاً فيما يسوء، فقد بلغ سلطان الشيطان منه مبلغه ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

٢٤ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ تولوه فتسلَّط عليهم!

٢٥ ـ الجهلُ بمقام رسل الله تعالى يصنعُ مثل هـذه الطوام ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ الاعتراض على أحكام الله تعالى من الجهل به تعالى.

٢٦ ـ من السهولة جداً أن يلقي عليك جاهلٌ تهم الموبقات ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

٢٧ ـ ما زال خلقٌ كثيرٌ عبيداً للأوهام والخرافات ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ لولا الخرافة والأوهام لآمنوا بكل ما جاء به شرع الله تعالى دون اعتراض!

٢٨ ـ إخفاق جزءٍ عريضٍ من الأمة، يأتي من خلال الإخفاق في فهم هذه الوصية الكبرى: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[1] ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ وهذا ليس من شأنهم، من شأنهم التسليم لكل ما جاء في الوحي فحسب.

٢٩ ـ كثيرون يتركون دوائر الممكن وينشغلون بغير الممكن ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ العمل بالوحي وإشباع تلك المساحة، هي دوائر الممكن، لا الاعتراض الذي لن يورِّثهم إلَّا عواقب السوء.

٣٠ ـ لا فرق بين هؤلاء وأولئك الذين يتخلَّفون عن صلاتهم، ويخفقون في مشاريعهم، ثم تراهم مشغولين بغيرهم تقويماً وتعييراً واتهاماً ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً

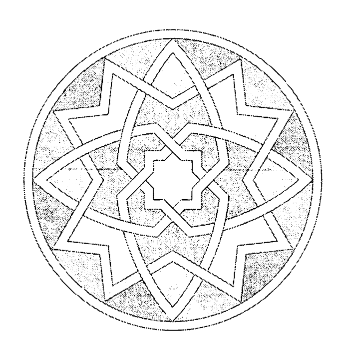
(١) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾».

٣١ ـ إذا أردت ثباتاً وهـدًى، فألقِ بقلبك ومشاعرك ووجدانك في رحاب هذا الوحـي «قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾».

٣٢ ـ يسألون ما هي أهم أسباب التثبيت! فقل تدبُّر القرآن، والعمل بالوحي أعظم الأسباب على الإطلاق «قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾».

❀ ❀ ❀



وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

التفسير

• ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ أي الكفار عن القرآن ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ يُعلِّم القرآنَ لمحمد بشرٌ من الناس، يشيرون إلى رجلٍ أعجميٍّ كان يجلس إليه النبي ﷺ عند الصفا ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ لغة الذي يميلون إليه، ويزعمون أنه يعلمك يا رسول الله القرآن ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ فكيف يقال علَّمك وهو أعجمي ﴿وَهَٰذَا﴾ والقرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ عربي بيِّن بليغ.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا يصدِّقونها، ولا يعملون بها ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ إلى الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ يقول الكذب حقيقة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا يصدِّقون بها ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ في الحقيقة.

• ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ كفر بالله تعالى بعد الإيمان، وضلَّ بعد الهداية، فهذا عليه غضبٌ من الله، وله عذاب عظيم ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فهذا لا يخرجه من الإيمان ما قاله من الكفر أو فعله، ما دام مكرهاً على فعله ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فأحبَّه، وانشرحَ له ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قدَّموا الدنيا وشهواتها على ما في الدار الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ لا يدلُّهم على الخير، ولا يدفعهم إليه.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ فلا يصل إليها الحق، ولا تهتدي إليه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٠٨﴾ عن ذكر الله تعالى وأمره وعبادته.

• ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَٰخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٠٩﴾ الخسارة الكاملة الوافية التي لا تعدلها خسارة.

• ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ من بعد أن فتنهم الكفار على الكفر فثبتوا ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ في سبيل الله ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على كل ما يلاقون من الفتنة والعذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد الفتنة والابتلاء الذي حصل لهم ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٠﴾ لكل من قال كلمة الكفر خوفاً، ولم ينشرح بها صدره.



١ ـ الإساءة للوحي جزء من المعركة التي يشنها العدو على دين الله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ يعرفون أنه كلام الله تعالى ولا سبيل لمعارضته فيلقون إليه الأوهام، لعلهم يصرفون الناس عنه.

٢ ـ لا سبيل اليوم للتشكيك في القرآن ذاته، ولكن تدار الحملة على مخرجاته وآثاره وحلقاته، وهذا جزء من ذاك ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ١٠٣﴾.

٣ ـ الكذب على الله تعالى والتطاول عليه فرعٌ عن عدم الإيمان ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ لو درج الإيمان في قلوبهم، لما كذبوا على الله تعالى في شيء.

٤ ـ سماحة الإسلام ورفقه بالمكروبين المكرهين على فعل ما يناقضه ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

٥ ـ من جمال دينك أنه لا يحمِّلك جريرة ما صنعته نتيجة إكراه ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

٦ ـ الواقعون في مستنقع الضلالة بعد البيان، يستحقون هذه النهايات ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

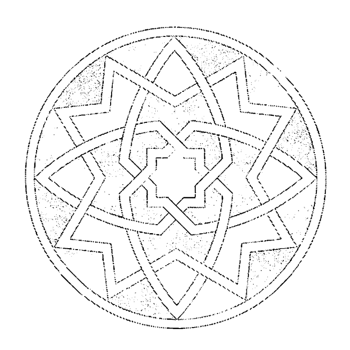
٧ ـ أخطر ما يواجه الإنسان تقديم عاجل هذه الحياة على آخرها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ وإذا قرأت قصص الوالغين في الشهوات أدركت أنهم استعجلوا لذات الدنيا على مباهج الآخرة.

٨ ـ أثر الخطوة الأولى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ هذه الخاتمة نتيجة لذلك الواقع

الذي بدؤوه أول وهلة ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٩ ـ التوبة النصوح والأعمال الصالحة ماحية لآثار الخطايا والذنوب السالفة ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠)﴾.

❀ ❀ ❀





۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

التفسير

• ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ لا يهمُّه إلَّا نجاة نفسه ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خيرٍ وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ لا يزاد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

• ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يخاف أهلها من شيء ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ فجحدت بنعم الله تعالى، فكذَّبت رسله وكفرت به ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ بدَّل شبعهم جوعاً، وأمنهم خوفاً، ولشدة ما أصابهم صار كاللباس، لا ينفك عنهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ بسبب كفرهم بالله تعالى.

• ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ من جنسهم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما جاء به ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ النازل بهم من الله تعالى ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ لأنفسهم.

• ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ حال كونه حلالاً مباحاً لهم أكله، وحال كونه طيِّباً لا ضرر فيه ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بالاعتراف بها، وصرفها في طاعة الله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ إن كنتم مخلصين له في العبادة.

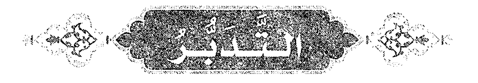
• ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ وهي كل ما مات من غيرِ ذكاةٍ شرعية ﴿وَٱلدَّمَ﴾ المسفوح ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وهو حيوانٌ معروفٌ محرَّم ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ كالذي يذبح للقبور والأصنام والأولياء ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى أكل هذه الممنوعات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير طالبٍ للمحرَّم وهو

يجد غيره ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوز في أكله على ما يزيد على إزالة الجوع ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٥﴾ لأكله من ذلك.

• ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ لا تحلِّلوا وتحرِّموا من عند أنفسكم ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ لتقولوا كذباً على الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ١١٦﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة.

• ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتَّعون في الدنيا أياماً قليلة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١٧﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ اليهود ﴿حَرَّمْنَا﴾ عليهم ﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ ممَّا ورد ذكره في سورة الأنعام في قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بهذا التحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٨﴾ بسبب بغيهم وظلمهم.



١ ـ كثيرة هي المواقف التي نحتاج للخلاص منها قبل فوات أوان الاستعتاب ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١١١﴾.

٢ ـ الأماني الكاذبة لا تصنع واقعاً جميلاً مع الأيام ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١١١﴾ فلا يمكن أن تتخلَّص من آثار هذه المجادلة إلَّا بالتوبة الصادقة والعمل الصالح.

٣ ـ حينما تكون النعم اختباراً وابتلاءً ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

٤ ـ كم مرة نجح الإنسان في ابتلاء البأساء، وأخفق في ابتلاء العافية! ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

٥ ـ مشكلة النعيم أنه يغيب منه معنى الابتلاء والاختبار عند كثيرين، فيقع فيه الخلل دون وعي ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

٦ ـ باتت توسّع صور الكفر بالنعم في مساحات كثيرة، قد تأتي على خيرات الأمة وهي غافلة عن ذلك الاستدراج ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

٧ ـ حين ترى أكواماً من اللحوم تُلقى في براميل النفايات في كل مناسبة، ومخلّفات وجبات اليوم الواحد في مجتمعات المسلمين التي تُرمى في النفايات، تكفي أمة جائعة ربما لسنوات، توقَّع هذه النهايات ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

٨ ـ في حفلات زواج المسلمين اليوم تؤجَّر مغنِّيةٌ في الحفل الواحد، تزيد أجرتها على ثلاثين ألف ريال، وتُنفق المبالغ النقدية على أكواب الورد، وأطراف

الكراسي، وتُلقى ليلة العرس آلاف الريالات على رأس أم العروسة، ويُنفق على فساتين العرس مئات وألوف ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

٩ ـ وصل الكفر بنعم الله تعالى إلى حَدِّ أن المرأة من نساء المسلمين، تشتري فستاناً بآلاف الريالات، لتلبسه في ليلة واحدة، ثم يُرمى في الخزائن ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

١٠ ـ هذا النعيم المهدر، إن لم يستدرك من قِبَلِ مصلحين، وإلَّا ستحيق سنة الله تعالى بالمسرفين ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

١١ ـ تحدَّث تاجرٌ كبيرٌ في لقاء خاص أنه رافق تاجراً كبيراً آخر في مناسبة، ثم لمَّا جاء الغداء أو العشاء وضع يده على ظاهر الأكل، فرماه على الطاولة، فسألته لم صنعت هذا؟ قال: لأنه تلوَّث بالمكروبات! قال: فما أتمَّ عاماً إلَّا وقد جاء يطلب مني الزكاة. أفقره الله تعالى من جديد! ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

١٢ ـ يقول أحدهم: قررت الذهاب إلى دولة من الدول الفقيرة، فسألت الأسرة عن الساعات والشنط الفائضة عنها، والتي لم يعودوا يستخدمونها، ثم جمعتها، وذهبت بها إلى تلك البلاد، وأقيم بها مسابقة نسائية كبرى لحفظ القرآن الكريم، تحدَّث عنها الإعلام المحلي في تلك الدولة، وأقيم حفلٌ كبيرٌ في النهاية بتلك

الحقائب والساعات (وعي في مواجهة هدر هذه النعم) ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

١٣ ـ وآخر يجمع كل قارورةِ ماءٍ وجد فيها بقايا الماء ولم تعد صالحة للشرب، ثم يصبها في خزان المياه الذي يستخدمه لحوائجه العامة (نوع آخر من الوعي بأهمية النعم) ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

١٤ ـ تكذيب الرسل، والتمرُّد على المنهج، ومخالفة الحق سُنَّةُ الظالمين في الأرض ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

١٥ ـ من حق هذه النعم التي تملأ بيوت المسلمين وواقعهم، أن تقابل بشكر الله تعالى، حتى تجد أرضاً صالحة للبقاء ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

١٦ ـ الأصل في الأشياء الحلُّ، والمحرَّمُ استثناءٌ، تلك قاعدة الشريعة التي تدلُّك على سعة الإسلام وسماحة تشريعاته ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

١٧ ـ النفوس محترمة في شريعة الله تعالى، ويدافع هلاكها بكلِّ ممكن ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ أفلا يتقي الله تعالى هؤلاء الذين يستحلُّون دماء المسلمين من خلال شبه وأوهام!

١٨ ـ الضرورات تبيح المحظورات، هذه قاعدة الشريعة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ وما عدا ذلك تجاوز لحدود الشريعة وافتئات عليها.

١٩ ـ للشريعة حمًى، لا يحلُّ أن يستباحَ بحال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٠ ـ المفتون موقِّعون عن رب العالمين، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يتسوَّر علماً يجهله ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

٢١ ـ كثر المتسوِّرون في مثل زماننا لمحاريب الشريعة بلا علم، وهذا الوعيد ذائدٌ عن حياض الحمى لمن كان له قلب ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٢ ـ في هذه اللحظة التي أتدبّر فيها هذه الآية سمعت ثلاثة مقاطع لابن باز مفتي الديار السعودية في زمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يُسأل فيها عن ثلاث مسائل: من يقص على أولاده قصةً من نسج خياله قبل النوم هل تُعد كذباً؟ وقول المضيف لضيفه: وجه الله عليك تتفضَّل معنا؟ وأيهما أفضل الأذان أو الإقامة؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كل هذه المسائل: لا أدري! بمثل هذا الورع تصان الشريعة عن خوض العابثين!!

٢٣ ـ في مثل زماننا رأيت من يخوض في مسائل، لو عرضت على الكبار لتوقَّفوا فيها زمناً ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

٢٤ ـ من فقهك وكمال وعيك أن تجري (لا أدري) على لسانك كما يجري حديث من تحب ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

٢٥ ـ حين تستلذ (لا أدري) في سـؤالات العلم كما تستلذ جواب السؤال فذلك التوفيق ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

٢٦ ـ ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ رسالة وعيدٍ تنتظر الخائضين في شريعة الله تعالى بلا علم!

٢٧ ـ لا يعطي الله تعالى خيراً ثم يسلبه إلَّا لنكرانه ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ هذه سنة الله تعالى في العالمين!

٢٨ ـ كلُّ نعمةٍ لا يستقبلها صاحبها بالشكر والعرفان، تمضي ولا تعود ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

٢٩ ـ إذا عشـتَ نعمةً ثم لم تجد لها رواجاً في واقعك، فتلمَّس عثراتك، فربَّما جرى عليها حالك الظلام ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

٣٠ ـ كان يصلي من الليل، لا يكاد يتخلَّف، ثم غشـيه العجز، ويجد لذَّةً لصلاة الجماعة وورد القرآن، ثم سرى إليه الملل، ويعيش رغبةً قويةً في طلب العلم، ثم كلَّ في عُرْض الطريق، لو عاد إلى الوراء لعرف سبب الظلام الذي أتى على فجره المشرق فتوراً وغفلةً ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

❀ ❀ ❀

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ
بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ
وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ
لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾



التفسير

• ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ بسفه وعدم اعتبار لحقِّ الله تعالى ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بأن تركوا السوء ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد عملهم السوء ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ يغفر لهم خطأهم، ويرحم ضعفهم.

• ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً جامعاً لخصال الخير ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ مديماً لطاعته مخلصاً فيها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عمَّا سوى الله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ في قوله وعمله.

• ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ شاكراً لنعم الله تعالى عليه ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه ربه واختاره ﴿وَهَدَاهُ﴾ ودلَّه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ إلى ملَّة الإسلام ودين الحق.

• ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي كل نعيم ناله من زوجة حسنة وذرية مباركة، ورزقٍ واسعٍ، وعملٍ صالحٍ ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ في جملة عباده الصالحين المكرمين يوم القيامة.

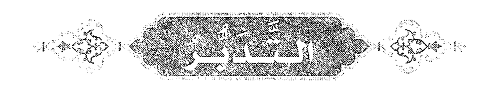
• ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا رسول الله ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ في عقيدته وعبادته ومعاملته ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الشرك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ في أي شيء من أعمالهم.

• ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيم يوم السبت ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ اليهود ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين هؤلاء اليهود ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ فيبيِّن لهم الحق من الباطل.

• ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ بما يناسب مقام المدعو ويؤثِّر فيه

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ﴾ وهي كل قول فيــه ترغيب وترهيب ﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ الجميلة في معناها، وأثرهــا وزمانها ومكانهــا ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ المعاندون منهم ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالطريق الحسنة الجميلة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ من لا سبيل له إلى الهداية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ بمن يصلح للهداية.

- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أردتم معاقبة من أساء إليكم ﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ فعاقبوه بنحو ما أســاء إليكم، دون زيــادة ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ على إساءته وأذيَّته ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ لهو أفضل وأحسن لهم في العاقبة من المعاقبة.
- ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على ما أصابك مــن أذى ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ هو الذي يؤجرك عليه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ عند إعراضهم، فإن لله تعالى حكمة في ذلك ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ يضيق صدرك ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ من مكرهم.
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ فجعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ فيما بينهم وبين الله تعالى، وبينهم وبين الخلق.



١- لو عرفوا الله تعالى ما عصوه ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ يعصونــه ويخالفونه، ثــم يرحمهم ويغفر لهم، ولا يؤاخذهــم بزلَّاتهم وعثراتهم. ما أرحمك يا رب!

٢ ـ إذا زلَّت قدمك في الطريق، فاستقبل عفو الكريم المنان ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

٣ ـ يصطادك الشيطان مرتين: مرة حين يُلْعِقُك مرارة المنكرات، وأخرى حين يقنعُك بأنه لا توبةَ لأمثالك ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

٤ ـ من علامات التوبة أن تكون بعد ذنبك أصلح وأفضل مما قبله بكثير ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

٥ ـ من رحمة الله تعالى بك أنه يقبلك بعد هروبك، ويعيدك للحياة بعد ولوغك في الخطايا ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

٦ ـ للتوبة الصادقة مظاهر وعلامات، من أهمِّها الصلاح الظاهر في سائر حياتك ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

٧ ـ نافذة على صناعة الكبار للتاريخ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

٨ ـ من فتوحات الله تعالى عليك أن تنيخ مطاياك في رحاب قصة هذا النبي العظيم لترى كيف صَنَعَ أحلام الدارين! ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

٩ ـ أعظمُ ما يدفع بالإنسان للحياة قراءةُ قصص الكبار، والاطلاع على تاريخهم الحافل بالمجد ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

١٠ ـ من وُفِّقَ للشكر فقد وُفِّقَ لحظٍّ عظيم ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾.

١١ ـ القيام بحقوق الله تعالى، وشكر نعمه موجبٌ للهداية والتوفيق ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾.

١٢ ـ هذه نهايات تلك الأماني التي بعثها هذا النبي العظيم في واقعه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

١٣ ـ إذا أردت لرجل صالح أن يستوثق من الطريق فدلَّه على قدوةٍ، يبعث فيه تحدِّيات واقعه ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

١٤ ـ القدوة تختصر كثيراً من مسافات الطريق ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

١٥ ـ إذا أردت أن تختصر مسافات الطريق لولدك، فهيئ له قدوةً صالحة، تبعث فيه الأماني ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

١٦ ـ الدعوة فنٌّ! وكل من ولج هذا الطريق، فعليه أن يعتني به غاية العناية ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

١٧ ـ الدعوة مشروعٌ، يحتاج أن يتخصص فيه من يقوم بدوره، ويمدُّ في مساحات دينه من خلاله ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

١٨ ـ ليست الدعوة كَلأً مباحاً، يستبيحُ حماها كلُّ من أراد أن يجرِّب مهاراته وقدراته، بل هي قضيةٌ كبرى، ومشروعٌ خطير، لا يجوز أن يتسوَّر محرابها إلَّا

العالمون العارفون ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

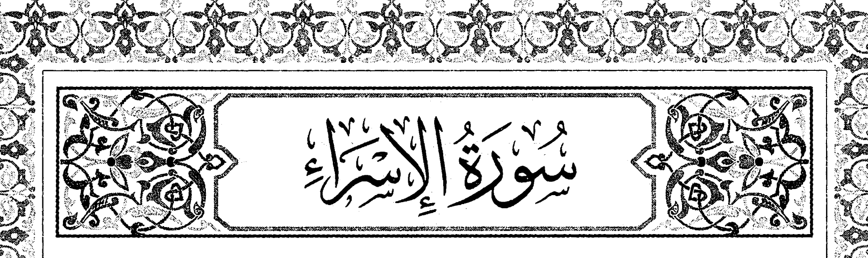
١٩ ـ إذا أدرك الداعية دوره، وعرف مكانته في شأن الدعوة، حاول جاهداً إيصال رسالته في أسلوب يبلغ به أمانيه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

٢٠ ـ المماثلة في العقوبة حقٌّ وعدل، والعفو استعلاءٌ على حظوظ النفوس وارتفاعٌ بها عن رغبات النفس العاجلة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢١ ـ لا تلتفت للمعرضين والناكصين، والذين وقفوا في طريق أيامك الجميلة، بل اصبر واستعن بالله تعالى، وتوجَّه إليه، ودعك من المخلفين ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٢ ـ التقوى والإحسان بالغةٌ بك مقاصدك الكبرى، وداعيةٌ بأن يكون الله تعالى معك في كلِّ وقتٍ وحين ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٣ ـ إذا أردت التوفيق في بيتك، وولدك، وعملك، ورسالتك ومشروعك وفكرتك وسائر حياتك، فتعلَّم هذين المَعْلمين (التقوى، والإحسان) وما هي منك ببعيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

التفسير

• ﴿سُبْحَٰنَ﴾ تنزَّه الله تعالى وتعاظم عن كل نقص ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أي رسوله محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ في الليل ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بمكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ الأبعد عن المسجد الحرام، وهو المسجد المعروف بأرض فلسطين ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بركات دينية بأن جعل ما حوله من أرض الشام مقرًّاً للأنبياء؛ كإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى، أو بركات دنيوية من كثرة الأنهار والأشجار والثمار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ لنطلعه على عجائب قدرتنا في الكون ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الله تعالى ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكل ما يقال ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ بكل ما يفعل.

• ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ طريقاً يهتدون به إلى الحق ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ كفيلاً بأموركم.

• ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يا ذرية من حملنا مع نوح ونجَّيناهم من الغرق ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي نوح ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ شاكراً لله تعالى.

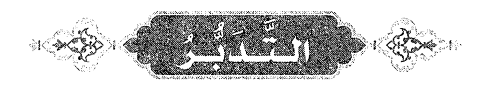
• ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أخبرنا وأعلمنا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ كتابهم التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ أنه سيقع منهم فسادٌ في الأرض مرَّتين ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ ولتستعلنَّ على الناس بالظلم والبغي استعلاءً كبيراً.

• ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ سلَّطنا عليكم ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ قوم من عبادنا ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾

أصحاب قوّةٍ وبطش ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ عاثوا فيها بالقتل والسلب والنهب ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ وعداً صادقاً واقعاً.

- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ثـم جعلنا الدولـة والغلبة لكم عليهم، فأخرجتموهم مـن ديارهم ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم﴾ مـع النصر ﴿بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ أكثر عدداً.

- ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ فـي أفعالكم وأقوالكـم ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن فضل ذلك لكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ في أفعالكم وأقوالكم ﴿فَلَهَا﴾ فعليكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المرة الثانية التي تفسدون فيها في الأرض سلَّطنا عليكم الأعداء ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ بما يفعلـون فيكم من أذى ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ الأقصى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ يهلكون ويدمرون ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ ما غلبوا عليه من بلادكم ﴿تَتْبِيرًا ۝٧﴾ تدميراً.



١ ـ لا تقلق! فالله تعالى معك في أشد أزماتك وأكثرها ألماً على قلبك ومشاعرك ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ حين اشتدَّ البلاء على نبيه محمد ﷺ عني به، فنقله في هذه الرحلة الربانية، ولكلٍّ وليٍّ من هذا المعنى على قدر إيمانه وتقواه.

٢ ـ إذا ألمَّت بك ظروف واقعك، وأحزنك ضياع مَنْ حولك، ولم تجد لفيفاً من مشاعر أشواق المحبين، تعزّي ألمك، وتعضد جراحك؛ فيمم وجهك إلى ربِّك

تجد كلَّ شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

٣ ـ في المسجد والمحراب وآي القرآن ذلك المعنى الذي تبحث عنه أرواح المجهدين والقلقين والمتعبين في ثنايا الطريق ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ إذا أقبل ليلك فمدَّ سجادتك، وانصب قدمك، وتوجَّه إلى ربك، وأسل دمعك، وسترى الحياة التي تجلو بها ضمائر المجهدين ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

٥ ـ في كلِّ يومٍ خمس مرات، تعرجُ فيها أرواحنا لعناق السماء، لو أقبلنا عليها بوعي وأدركنا ما فيها من أحداث ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

٦ ـ أُسْـرِيَ بنبيِّك ﷺ ليرى آيات الله تعالى، وأنت حيـن تقبلُ عليه في صلاتك تحدِّثه مشافهةً، وتلقي إليه بهمومك كما تشاء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

٧ ـ سبحانه! إذا رأى مشكلاتنا وعثراتنا وأحداث طريقنا، أقبل إلينا، وأخذنا لعالم الأرواح من جديـد ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

٨ ـ العبودية أشرف مقاماتك، وألذُّ لحظاتك، وأجمل أيامك، فتلذَّذ قبل الفوات

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ حين أراد أن يرفعه ويكرمه، ويخفِّف عناءه ناداه بأعذب الأوصاف (العبودية).

٩ ـ حين تتعبَّد الله تعالى تشرق شمس روحك، وتبعث في وجدانك الحياة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾.

١٠ ـ أوراد عبادتك هي التي تصنع أحداث قلبك ومشاعرك وروحك؛ فخذ منها ما يبلِّغك المقام ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾.

١١ ـ الحياة في كتاب الوحي، وفي هدايات الرسل فحسب ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾.

١٢ ـ ألقِ بروحك ووقتك وقلبك ومشاعرك في كتاب الله تعالى، وسترى الفرق ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾.

١٣ ـ تذكار النعم وجدان القلوب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

١٤ ـ لزوم الكبار والصالحين والمؤثرين مؤذنٌ بالتوفيق ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ كانوا معه فبقوا كباراً في الحياة!

١٥ ـ الشكرُ من مقامات العبودية التي يحبُّها الله ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

١٦ ـ ماذا كان يصنع نوح عليه السلام حتى يأتي هذا النعت له من ربه تعالى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ ما أحوجنا لفقه هذا الطريق!

١٧ ـ الشكرُ هو المادة التطبيقية لعرفان الإنسان بحقوق ربه، والقيام بواجباته ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

١٨ ـ الهَجْ بلسانك شاكراً، وأدر جوارحك في مراد ربِّك، وعلِّم قلبك كيف يمتنُّ لربه بأحداث الشاكرين، تتلقى الطريق، وتبلغ من خلاله الحياة ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

١٩ ـ يا الله! كم صنعت العبودية في حياة الرسل من أحداث! ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

٢٠ ـ لا تنظر لمسؤوليتك، ووظيفتك، ومكانتك، أعد النظر لقلبك وروحك وعبادتك، لتعرف أين هي وأنت من مقام الله؟ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾.

٢١ ـ الإفساد خراب الأرض، وإذا وقع كان مؤذناً بالعذاب والنكال على صانعيه ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾.

٢٢ ـ كلُّ ما يصيب الأمة اليوم من أثر عدوها، إنما هو تسليط الله تعالى عليها، بسبب ذنوبها وفسادها في الأرض ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾.

٢٣ ـ حتى الأفراد الذين يعانون دَيناً، وألماً، وشقاقاً في نفوسهم، وهموماً تداهم حياتهم، وظروفاً بائسة، هم الذين جلبوها، وكتبوا على واقعهم هذه النهايات ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

٢٤ ـ سنن الله تعالى لا تحابي أحداً في الكون ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

٢٥ ـ كل فساد مخلوفٌ بواقع بئيس مع الأيام ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ ما لم يمنَّ الله تعالى برحمة وتوفيق.

٢٦ ـ ثمَّة أملٌ لإصلاح ما فات، وإدراك ما وقع مع الأيام ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ فأحسنوا التوبة وأصلحوا الطريق.

٢٧ ـ مهما بلغ ماضيك، وخراب واقعك، وضياع نعمك، ثمَّة فرصٌ قادمةٌ قابلة للتعويض، فلا تستطل أمدها ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾.

٢٨ ـ أول طريق تستصلح به واقعك، وتسترد به نعم الله تعالى عليك، هو إصلاح ما بينك وبينه تعالى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ

وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ هذه النعم إنما جاءت حين عادوا إلى الله تعالى معتبرين.

٢٩ ـ جهدك وعرقك وأيام تعبك كلُّها لك، ليس لله تعالى منها شيء ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾.

٣٠ ـ لا تَمُنَّ على الله تعالى بعملك، إنما اجتهد لبناء مستقبلك ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾.

٣١ ـ حتى عملك للإسلام الذي يأخذ منك أوقاتاً كثيرة، وتمدُّ به في رسالة دينك هو في النهاية لك ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾.

٣٢ ـ عرقك، وسفرك، وأيام سهرك، وغربتك التي تبذلها في سبيل الله تعالى، هي في النهاية لك ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾.

٣٣ ـ معصيتك لا تضر الله تعالى شيئاً، إنما آثارها في النهاية على نفسك وتاريخك ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾.

٣٤ ـ أقلوا يا قوم من إعراضكم عن الله تعالى، واستبقوا فصلاً في الخيرات، وما لكم ولحسرات الطريق ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾.

٣٥ ـ يكدُّون في طريق المنكرات، ويجتهدون في بناء عرى الباطل، ويبنون في كلِّ مرَّةٍ صرحاً من هوًى، وفي النهاية ينتهون إلى الهاوية ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾.

٣٦ ـ ليتهم استبقوا جهودهم للخيرات ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ كم من أسف سيبلغ نفوسهم يوم الحساب!

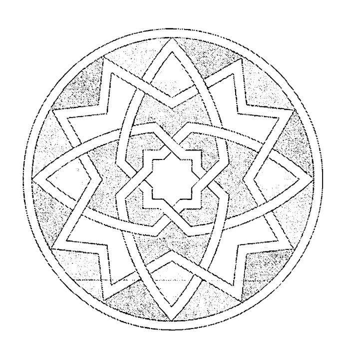
٣٧ ـ الذين لم يستفيدوا من درس العبرة والذكرى أولاً، سيرون النهاية في أسوأ

مواقفها آخـراً ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾.

٣٨ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ خرجوا من عنق الزجاجة، ثم ما لبثوا أن عادوا للضلال من جديـد ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾.

٣٩ ـ ما زالت الأمـة والمجتمعات والأفراد يعيدون تكرار هذه المشـاهد مرات كثيرة في واقعهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾.

❀ ❀ ❀



عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

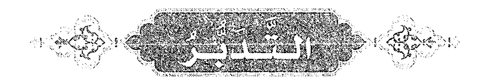
التفسير

- ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعدما حصل لكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ للإفساد ﴿عُدْنَا﴾ لعقوبتكم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ محبساً لا يخرجون منها.
- ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أفضل وأحسن في كل شيء ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ عظيماً.
- ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ فلا يعملون لها ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ هيَّأنا لهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ شديداً.
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾ لجهله ﴿بِالشَّرِّ﴾ يدعو على نفسه وولده عند الجزع ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ مثل دعاء ربه بالخير لنفسه وأهله ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ طُبعَ على العجلة.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ جعلناه مظلماً ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مضيئاً ﴿لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتطلبوا فيه ما تحتاجون من أمور معاشكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ من خلال توالي الليل والنهار ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ فلا تحتاجون إلى شيء إلَّا وقد بيَّنه الله تعالى.
- ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ فلا فكاكَ له منه ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ مفتوحاً فيه كل ما عمله من خيرٍ وشر.
- ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ لترى فيه عملك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ محاسباً لها.
- ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ﴾ فسار على الحق ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ فعائد ذلك الخير له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ فانحرف عن الحق ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فضلاله على نفسه

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لا تحمل نفسٌ وزرَ غيرها ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ يوم القيامة ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ في الدنيا، يدعوهم إلى الحق.

- ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ ظالمة ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ كبارها المنعَّمين ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ أمر الله تعالى بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ أهلكناها هلاكاً عظيماً.

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ﴾ أمماً كثيرة، كان نصيبها الهلاك بكفرها؛ كعاد، وثمود، وقوم لوط ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ إحاطةً وعلماً.



١ ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ رسالة نذير لكل العائدين إلى أخطائهم ومعاصيهم ومخالفاتهم، فحين تعودون بالإعراض والإفساد، سنعود عليكم بالعذاب والنكال.

٢ ـ القادم أجمل بكثير من الواقع، بشرط أن نستفيد من درسه، ونعيد بناء حياتنا على مراد الله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾.

٣ ـ أياً كانت ظروفك السابقة، وأحداثك الماضية، وسالف عهدك، ثمَّة موعدٌ مع الحياة ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾.

٤ ـ حتى لو تلطَّخت بالمعصية، وهويت في الضلالة، وسقطت في وحل الخطيئة؛ فالأيام القادمة حالمة بالفأل والأمل إن تبت إلى الله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾.

٥ ـ إياك وتكرار المخالفة نفسها، فالعقوبة أقسى ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٦ ـ مشكلة الكثيرين أنهم لا يستفيدون من درس الماضي رغم مرارته ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٧ ـ حين تخطو الخطوة الأولى في الضلال، تقابلك الخطوة النهائية في الجزاء والحساب ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٨ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ رسالة في مباهج الحياة وأفراح الربيع!

٩ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للتي هي أقوم في نفسك، وبيتك، وولدك، ووظيفتك، وطريق أحلامك وأمانيك.

١٠ ـ يستحقُّ هذا المعنى أن نهب له من قلوبنا ومشاعرنا، وأوقاتنا وأموالنا ما يشاء ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

١١ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ إذا قرأت هذا المعنى بوعي، قطعت له من سنام وقتك، وحافظت على ورده قراءةً وتدبُّراً، وبعثت بولدك إلى حلق التحفيظ مسروراً، وشاركت في دعم رعاته مبتهجاً، وحمدت الله تعالى في النهاية أنه هداك لكل هذا.

١٢ ـ لا تسل ما التي هي أقوم! هبه من وقتك ومشاعرك وقلبك، وستراها رأي عين ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

١٣ ـ حدَّثني أن له ورداً لا يُخلُّ به في كل يوم، ويشعر معه بالرواء، وآخر قال لي: أتدبَّر ثلاث آياتٍ يومياً خفيفة، ولكنها تصنع في قلبي ما أجد به اللذات، وثالث يقول: كلَّما أرقت قلَّبت فيه صفحات الأمل ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

١٤ ـ العجلة قبيحة مودية بصاحبها للهلاك ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ للدرجة التي يدعو فيها الإنسان على نفسه وولده وماله بالهلاك، كما يدعو لها بالخير، لا فرق.

١٥ ـ ما أرحم الله تعالى! ماذا لو عاجل داعياً بهلاك نفسه وولده وماله في لحظة غضب؟! ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٦ ـ من أكبر معضلات العجلة في واقعنا، أنها تلاحقنا حتى في علاقتنا مع الله تعالى، ففاتنا منها كلُّ شيء ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٧ ـ ماذا لو منحنا صلاتنا وقتها اللائق بها! ووهبنا لدعائنا وتضرُّعنا ما يستحقُّ من أوقات، وأفضينا فيه بمشاعرنا لربنا! وجئنا لوردنا في القرآن ونحن مشتاقون فيه للقاء! ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٨ ـ يذهب لصلاته مع الأذان، ويقتطع لورد القرآن نصف ساعة في كل صلاة، ويبقى الضحى مرابطاً في بيت الله تعالى ما بين صلاة وقرآن، ويستعتب من ربه بالاستغفار آلاف المرَّات، ويتوجَّه في فجر كل جمعة لزيارة المقابر، ويزور رحمه في المساء نفسه، وإذا أقبلت أيام الصيام أرخى لها المقام، ويمَّم وجهه لبيت الله تعالى معتمراً كلَّما شعر بالإجهاد، بمثل هذا تُغالَب هذه العجلة في واقع كثيرين! ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٩ ـ حتى في اختيار مشروعه داهمته العجلة، ثم اكتشف في النهاية أنه أضاع جزءاً من عمره في غير الطريق ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

٢٠ ـ كثيرون نادمون على قرار زواجهم، ووظيفتهم، وخصامهم مع الآخرين، ونزاعهم في المواقف، وشرائهم لحاجاتهم. ألقت بهم العجلة إلى سوء النهايات ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

٢١ ـ الليل والنهار آيتان، لا تفوت منك بكثرة التراداد، تستحقُّ منك الذكرى والاعتبار ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

٢٢ ـ معاشك، وتاريخك، وأثرك؛ كلُّها تجري في النهار في هذه الآية المبصرة، وسكونك وراحتك واستقرارك، وأسرار الحب ومشاعر الأشواق، وسكينة الأرواح تجري في ليلك في هذه الساعة المظلمة؛ فتأمل ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

٢٣ ـ عملك قرينك الذي لا يفارقك في حياتك اليوم، وفي وساد قبرك، وفي ساحات القيامة؛ فاجعله مورقاً بالحياة ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

٢٤ ـ أيها المجهدون في الدنيا! لم يبقَ إلَّا القليل على أيام النهايات ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

٢٥ ـ اصنع هنا ما تشاء فهو كتابك المرقوم في أيام الحساب ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

٢٦ ـ لو أخذت هذه الصورة منَّا حقَّها؛ لأعدنا حسابات كثيرة في واقع أيامنا ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

٢٧ ـ هدايتك لنفسك، وضلالك عليها، وكل إنسان مسؤول في النهاية عن تبعات عمله وأحداث أيامه ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

٢٨ ـ لن تحمل شيئاً من أوزار الآخرين، إلَّا ما كنت مساهماً في حدوثه أو ذهابه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

٢٩ ـ إذا بلغت جهدك في أسرتك، ومع ولدك وزوجك، وفي دائرة عملك؛ فليس عليك من أوزار المعرضين شيء ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

٣٠ ـ معاذ الله تعالى أن يعذِّب أحداً من خلقه، إلَّا بعد توفر سبل الهداية إليه من كل جانب ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وأنت لا تحمِّل أحداً أوزاراً إلَّا بعد بلوغ غايتك في البيان والبلاغ!

٣١ ـ كن واحداً من هذه الأنوار التي تبدِّد الظلام ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

٣٢ ـ يمكن أن يكون المعلم والمربي والوالد من حملة هذا النور ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

٣٣ ـ هذه سنة الله تعالى الجارية في الكون ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

٣٤ ـ حين يكون المال في أيدي المترفين والفساق والسفهاء، تتحوَّل إلى ألغام تنسف نعم المجتمعات والدول والأفراد ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

٣٥ ـ بعض الأفراد نكبة في تاريخ مجتمعاتهم وأوطانهم وأممهم ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ ما زالوا بمجتمعاتهم حتى أحلُّوا عليها الدمار. قاتلهم الله!

٣٦ ـ لا تقل ما ذنب القرى؟! هي التي أدارت بوائق الشرور من أصلها، وجاءت هذه الخواتيم ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾.

٣٧ ـ ما كان لهؤلاء السفهاء أن يكونوا سبباً ماحقاً لخيرات واقعهم، لولا مواطئة الجميع ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾.

٣٨ ـ إذا رأيت منكراً فاشياً، ولم تجد ناصحاً محتسباً، فاحسب أيام نهايات تلك القرى ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾.

٣٩ ـ لا تستبطئوا هلاك الله تعالى لواقع الفساد، فهذه سننه الجارية في كل مكان ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾.

٤٠ ـ الذين أغاروا على الحياة بالفساد، جعلهم الله تعالى عبرة في التاريخ إلى يومنا هذا ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧﴾.

❀ ❀ ❀

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

التفسير

• ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ من كان يقصد بأعمال البر، الدنيا وما فيها من نعيم، وترك العمل للآخرة ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾ أمددناه من متاع الدنيا ﴿مَا نَشَآءُ﴾ ما يشاؤه الله تعالى له ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ ممَّن يريد الله تعالى، لا كلَّ راغبٍ في الدنيا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الدار الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يصطلي بحرِّها ونارها ﴿مَذْمُومًا﴾ موصوفاً بصفات الذم ﴿مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ مبعداً عن رحمة الله تعالى مطروداً منها.

• ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ ما عند الله تعالى من نعيم ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ مما أمره الله تعالى به ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الإيمان الصادق ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ مقبولاً ممدوحاً.

• ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ أي كلٌّ من أصحاب الدنيا وأصحاب الآخرة، نمدهم ونزيدهم، ونعطيهم من فضلنا وإحساننا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ ممنوعاً.

• ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الدنيا بسعة الأرزاق والعلوم والعقول والنعم ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ وما في الآخرة من التفاضل بينهم أكبر بكثيرٍ ممَّا في الدنيا.

• ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مستحقّاً للعبادة ﴿فَتَقْعُدَ﴾ فتصير ﴿مَذْمُومًا﴾ موصوفاً بصفات الذم ﴿مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ من الله تعالى، لا يستقيم لك أمر، ولا يصلح لك حال.

• ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أمر أمراً ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فلا تشركوا به شيئاً ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وأمر بالإحسان إلى الوالدين ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ إذا وصلا إلى الكبر كلاهما أو أحدهما ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فلا تتضجَّر منهما فتتأفَّف؛ لأنَّ حالهما داعية إلى ذلك ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ جميلاً لطيفاً.

• ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ تواضع لهما ذلاً ورحمةً بهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ ادع لهما بالرحمة ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ جزاء تربيتهما أيام صغري.

• ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ من الإخلاص له، والبر بالوالدين ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ في نياتكم وإرادتكم وبركم بوالديكم؛ فهو أعلم، وإن تكن النيات غير ذلك؛ فهو كذلك أعلم بها ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ الراجعين إليه تائبين نادمين ﴿غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ لذنوبهم.

• ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القريب منك نسباً ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والإكرام والإحسان ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ وآتِ الفقير من النفقة ما يسدُّ فقره ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وآتِ الغريب المنقطع ما يوصله إلى مكانه ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ لا تنفق مالك في غير الطريق الصحيح.

• ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ المنفقين أموالهم في غير طاعة، أو على وجه الإسراف ﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ على طريقتهم وشاكلتهم؛ فإنهم يدعون إلى قبيح الأفعال ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ جاحداً لنعم الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ حتى الذين يسألون شيئاً من عاجل الحياة، يهبهم الله تعالى ما يشاء ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾.

٢ ـ لا تعجبوا! حين ترون نعم الله تعالى تزداد في واقعه، وهو من المعرضين ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ يأكل عاجلاً، ويتزقَّمُ في النهاية الخسران!

٣ ـ لا تفرح أن الله تعالى وهب لك ما تشاء في الدنيا؛ فلعل خسراناً يلاحق أيام آخرتك ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ تأكد من طريقك، وراجع حسابات الآخرة بإمعان.

٤ ـ حتى في عمل الخير والبر والإحسان، إن أردت ثناءً وتصفيقاً جاءك كما تشاء، وقد لا تجد في الآخرة من تلك الآثار شيئاً ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾.

٥ ـ محرومون أولئك الذين يبتغون بأعمال البر شيئاً من متاع الحياة العاجل ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾.

٦ ـ الكبار مصمِّمون على بلوغ أمانيهم كما يشاؤون ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

٧ ـ يستحقُّ أولئك الذين يريدون ما عند الله تعالى هذا الثناء العاطر ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾.

٨ ـ من سنن الله تعالى الجارية في الكون أنه يمدُّ أهل الحقِّ وأهل الباطل على حدٍّ سـواء ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

٩ ـ الدنيا ليست بدار جزاء حتى نستغرب إمداد الله تعالى لمثل هؤلاء ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

١٠ ـ إمداد الله تعالـى للكافر والمنافق والفاجر، من أعظـم الأدلة على أن الدنيا لا تساوي عند الله تعالى شـيئاً ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

١١ ـ عطاء الله تعالى وإمداده في الدنيا، ليس لصلاح أو زكاء أو فلاح، كلا! وإنما يعطي الله تعالى كل إنسان ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾.

١٢ ـ إذا رأيت هذا التفاوت بين العالمين في المنازل والوظائف والمراتب؛ فمدَّ عينك إلى ساحات الآخرة، هذا العاجل يُعطيه الله تعالى من شاء، وذاك لا يعطيه إلَّا من يحب ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

١٣ ـ إذا هزَّك الشوق إلى نعيم الدنيا، ومراتب القوم، ومواقع المسؤوليات؛ فيمِّم وجهك إلى هناك ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ هذا عاجل طفيف، وذاك كبير مثير! ما أبعد الفرق!

١٤ ـ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ دعوة لتأليه القلوب لربها كل حين!

١٥ ـ هذه عواقب الشـرك في النهايـة ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

١٦ ـ لا دنيا عاجلة ينالها المشرك، ولا آخرة ينتظرها ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

١٧ ـ من عظمة البر بالوالدين أن جعله الله تعالى قريناً لتوحيده ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ فانظر واقعك منه!

١٨ ـ جمال برِّك بوالديك، ليس ما تقدِّمه أيام عزهما وصحتهما وعافيتهما، أيامُ الكبر والعجز هي الشـواهد الصادقة ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

١٩ ـ كم من والدٍ أنجب فئاماً من الخلق، ولم ينتفع منهم بشـيء! وكم من والد أنجبَ أفـراداً، فطافوا به فـي مراتع النعيـم! ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢٠ ـ ألقيتُ كلمةً في أحد المساجد؛ فأخذني كبيرُ سنٍّ إلى زاوية المسجد، وقال لي: لِمَ لا تتحدثون عن البر! ولدي البارحة دخل بعشـائه لزوجه، وتركني وأمه نقتات من بقايا الغداء، مع أنّنا في بيتٍ واحدٍ لا يفصلنا سوى جدار ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢١ ـ وقال لي آخر: وجدت عجوزاً تبكي، لم تـأكل منذ يومين؛ فقلت لها: لمَ؟ قالت: أسطوانة الغاز انتهت، فقلت لها: لو وقفت على الطريق العام لأخذها أحد المارة؛ فقالت: لا أملك مالاً لتعبئتها، فقلت لهـا: وبطاقة الضمان الاجتماعي؟ قالت: أخذها ولدي منذ سنتين، ولم يعدها لي ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢٢ ـ وأعرف كثيرين، رابطوا على آبائهم وأمهاتهم، رباط المجاهدين حتى رحلوا وهم عنهم راضون ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢٣ ـ إياك أن يخرج مـن فمك تأفُّفٌ عـارضٌ؛ فذلك نكـران تواجه به جميل الأزمان! ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

٢٤ ـ حتى لو لم يسمعوا تأففك؛ فقد يبلغ عنان السماء، وتستحق به الجزاء ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

٢٥ ـ مهما بلغ صنيعك في وداعهما، لن تبلغ شيئاً من أسقام أيامهم التي عانوها ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

٢٦ ـ جملة من أبناء المسلمين لم يعودوا يتأففون، ولا ينهرون، بل يخاصمون ويسبُّون! ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢٧ ـ هذا مراد الله تعالى منك، فما أنت صانع فيه؟! ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ خمسة حقوق يذكِّرك الله تعالى بها في مشاهد الختام.

٢٨ ـ ليس مجرَّد خدمةٍ تقدِّمها لمن أسدى إليك جميلاً يوماً ما، بل ترد جميله، ولسانك لا يفتر من الدعاء ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢٩ ـ حتى ما يجري في داخل نفسك، وعمق مشاعرك مع والديك أثناء الخدمة، فالله تعالى يراه ويرقبه ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

٣٠ ـ هذا يجتهد في عون والديه أيام الكبر، يرجو بذلك ما عند الله تعالى، وذاك يتصنع ذلك ظاهراً، وقلبه ممزوجٌ بالضجر، ما أبعد الفرق! ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

٣١ ـ هل تأملت مصلِّياً وهو متضجِّرٌ من طاعة ربه، أو بارّاً بوالديه وهو متأفِّفٌ من طاعتهما؟! لا فرق ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

٣٢ ـ طاعة والديك، إن لم تأت من قلبك ومشاعرك في أثواب الفرح، فلا قيمةَ لها في واقعك ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

٣٣ ـ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ دعوةٌ لإغاثة المحتاجين والملهوفين وأصحاب الحاجات.

٣٤ ـ ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ البداية بالأقرب دعوةٌ لإدارة الأولويات.

٣٥ ـ التوازن قضية لم تأخذ حظَّها في أوساط المسلمين بعمق ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

٣٦ ـ المسافة بين العطاء المأمور به الذي يسدُّ حاجة الفقراء والمساكين، وبين التبذير المنهيّ عنه، هي مسافة التوازن التي تدعو إليها الشريعة، وتحرض على معانيها ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

٣٧ ـ صور التبذير اغتالت كثيراً من نعم الله تعالى ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

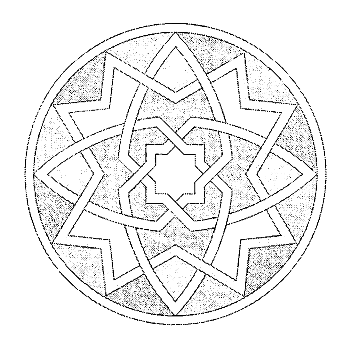
٣٨ ـ حتى في مسائل الكرم، تجاوزت حدَّها، وبلغت الإسراف المنهيّ عنه ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

٣٩ ـ المؤلم أن كثيراً من ولائم العرس أو الضيافة، باتت تلقى في النفايات، وعلى الطرقات العامة ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

٤٠ ـ زرته لأول مرة؛ فقدم لي طعاماً في إناء وبجانبه إناء صغير، فبقيت أنتظر ماذا يصنع لجهلي بذلك، وعرفت أنه أراد مني أن آخذ من إناء الطعام في ذلك الإناء الصغير ما يكفيني، والباقي يتم حفظه والاستفادة منه في مستقبل الأيام ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

٤١ ـ التبذير ليس خاصّاً بالطعام، بل يجري في مركوباتك وملبوساتك، ووسائل الاتصال، وكل ما يمكن أن يكفي بعضه عن بعض ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

التفسير

- ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ وإذا أعرضت عن إعطاء هؤلاء لعدم وجود ما تعطيهم ﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ في انتظار ما يفتح الله تعالى به عليك من خير ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ سهلاً ليِّناً، ووعداً جميلاً، واعتذاراً مقبولاً.

- ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ لا تكن شحيحاً بخيلاً، كحال من يده مربوطة في رقبته، لا يستطيع التصرُّف بها ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا﴾ يدك ﴿كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ تنفق كل ما في يدك من مال ﴿فَتَقۡعُدَ﴾ فتصير في النهاية ﴿مَلُومٗا﴾ من الناس ﴿مَّحۡسُورًا ٢٩﴾ منقطعاً عن نفع نفسك وأهلك، عاجزاً عن الوصول إلى مبتغاك، بل كن متوسِّطاً في نفقتك.

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يوسِّعه على أناس ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يُضَيِّقه على آخرين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠﴾ فيعطي كل واحد منهم ما يصلح لحاله.

- ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾ خوفاً عليهم من الفقر ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ نحن نتولَّى رزقهم ورزقكم ﴿إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١﴾ ذنباً عظيماً.

- ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ﴾ فعلة ذميمة قبيحة ﴿وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ بئس السبيل!

- ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ كالنفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه ونحوهم، ممَّن ورد الشرع بقتله ﴿وَمَن قُتِلَ

﴿مَظْلُومًا﴾ بغير حق ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ من تولَّى أمره من عصبته وورثته ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجَّة وتسلُّطاً على القاتل؛ فإن شاء قتل، وإن شاء عفا، بلا قصاص ولا دية، وإن شاء عفا عن القصاص وأخذ الدية ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ من تولى أخذ حقه ﴿فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ كأن يجاوز الحد المأذون له فيه شرعاً، فلا يمثِّلُ به أو يعذِّبُه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ مؤيَّداً مُعاناً؛ لأنه صاحب حق.

• ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كحفظه والتجارة فيه، والعمل على تنميته ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ يبلغ ويكون راشداً ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ﴾ وهو كل ما بينكم وبين الله تعالى، وما بينكم وبين خلقه من عهود ومواثيق ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ مسؤولين عن الوفاء به من الله تعالى.

• ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أتمُّوه وأكملوه ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان المعتدل ﴿ذَٰلِكَ﴾ إيفاء الكيل والميزان ﴿خَيْرٌ﴾ للإنسان في دينه ودنياه ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ عاقبةً ومردّاً.

• ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا تتبع ما لا تعلم، ولا ما لا ينفعك من قول أو فعل ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ مسؤول عن سمعك وبصرك وقلبك.

• ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ كبراً وبطراً ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ بمشيك عليها تكبُّراً ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ ولن يبلغ طولك الجبال.

• ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ ما نهى الله تعالى عنه ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ ممَّا يكرهه الله تعالى ويبغضه.

التَّدَبُّر

١ ـ لا تجرح قلوب المحتاجين؛ إن لم تجد ما تدفع به جوعهم وفقرهم، فابعث في حياتهم أملاً، وذكِّرهم أنك ستكون إلى جوارهم في قادم الأيام ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

٢ ـ إلَّا الخواطر؛ إياك أن تبقي فيها ما يبدد أفراحها ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

٣ ـ يا لجمال هذا الدين! يوصيك ألَّا تفتح باب يأس، أو تكسر خاطر محتاج ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

٤ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ دعوة لذلك المفقود الكبير (التوازن).

٥ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ هذا ليس في المال فحسب، بل تجري هذه الفضيلة في كل شيء من حياتك، لا فرق!

٦ ـ الوسطيَّة دعوةُ هذه الحنيفية السمحة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾.

٧ ـ الإفراط والتفريط مذمومان في كلِّ شيء ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ ما أحوجنا للتوازن!

٨ ـ هذا مدَّ الله تعالى له في رزقه، وذاك خاوي اليد، ذلك قدر الله تعالى وحكمته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

٩ ـ إذا لم يمدَّ الله تعالى لك في الرزق؛ فلعل لطفه بك سبق هواك ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

١٠ ـ لا تقلق لفقرك؛ لعل الله تعالى أراد أن يخفِّف عنك حساب يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

١١ ـ ماذا لو وقع في يدك المال، وأشغلك عن ذكره، وبلغ بك مهاوي الردى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

١٢ ـ أراد الله تعالى أن يختبر مَنْ مدَّه بالمال بالسَّرَّاء، ويختبر من أمسك عليه رزقه بالضَّرَّاء ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

١٣ ـ من بسط الله تعالى له في الرزق، لينظر كم يدفع من هذا المال لدينه ورسالته! وسيعرف حينها هل نجح في ابتلاء السراء أو سقط ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

١٤ ـ حين تخرب العقائد، ولا يكون لها مقام في قلب صاحبها ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ يقتلون أولادهم خشية الفقر. عقائد خربة!

١٥ ـ قبل أن تقارف هذه الرذيلة، تجنب طريقها، وفرَّ بنفسك من قربان حيطانها ومراعيها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

١٦ ـ إذا أمنت نفسك في الحمى فستكون من الرعاة[1] ولو طال زمان الحمى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإنَّ لكل ملك حمًى، ألا وإنَّ حمى اللهِ محارمُه...» رواه البخاري ومسلم.

١٧ ـ رأيت في أيام الصبا كل من قارب بمواشيه زرع غيره دخل مراراً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ ورأيتُ كلَّ من قال لصاحب المواشي: إياك فقال: لا عليك؛ أنا قريب منها، ثم ما لبث أن رتعت مواشيه في كلِّ شيء.

١٨ ـ كل شيء له حمى تستبيحه ستقع في خطره، أما حمى المرأة فالموت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

١٩ ـ كل شيء حذَّر منه النبي ﷺ وتساهل فيه أتباعه وقعوا على وجوههم في آثاره مراراً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

٢٠ ـ **«إياكم والدخول على النساء»**، **«الحمو الموت!»**[١]، **«لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ كان الشيطان ثالثهما»**[٢]، **«لا تسافر امرأة إلاَّ مع ذي محرم»**[٣]. كل من خالفها اكتوى بنيرانها مع الأيام ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

٢١ ـ إذا كان المعاهد من الكفَّار وتحرِّم الشريعة قتله، فكيف بأهل الإيمان! ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

٢٢ ـ الذين استحلُّوا دماء المسلمين، كيف يلقون الله تعالى يوم الحسرات؟! ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١) الحديث رواه البخاري برقم (٥٢٣٢) ومسلم برقم (٢١٧٢) عن عقبة بن عامر، ونصه: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت». والحمو: أقارب الزوج.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند برقم (١٥٦٣٦) وهو في سياق حديث طويل: «... ألا لا يخلونَّ رجل بامرأة لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان...» ورواه الترمذي برقم (٢١٦٥).

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند برقم (٣٢٣١) ورواه البخاري برقم (١٨٦١).

٢٣ ـ من بدائع جمال هذه الشريعة أنها تحفظ حقوق الآخرين بإمعان ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ حتى الذين رحلوا جعلت لهم من يطالب باستيفاء حقوقهم.

٢٤ ـ مكَّنت أصحاب الحقوق من استيفاء حقهم، وحذَّرتهم من الاعتداء (زواية من الجمال والعدل) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

٢٥ ـ رأيت سلطان الولي في ساحات القتال، تتعلَّق به أمم من أجل فكاك القاتل، وهو يدير هذا الشأن بالرفض أو القبول ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

٢٦ ـ إنَّ شريعةً تحفظُ حقَّك حتى بعد موتك، وتقومُ بواجبك، وتستردُّ لك دمك المفقود؛ لهي شريعةٌ حقيقةٌ بالإجلال ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

٢٧ ـ الشريعة تصون أموال اليتامى من أن تستباحَ ببغيٍ وعدوان، أو تساهُلٍ أو تفريط ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٨ ـ إذا ولاك الله تعالى على أيتام فارقب حقهم؛ فهم وصية الله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٩ ـ كم من وكيلٍ على أيتامٍ تسلَّط على أموالهم طيلة حياته، وبقوا ينتظرون منه الوفاء لضرورياتهم! ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ ﴿٣٤﴾﴾.

٣٠ ـ ماذا لو عاد والدٌ على وكيل أولاده، وقد استباح حقوقهم في الفوضى؟! ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ ﴿٣٤﴾﴾.

٣١ ـ الوفاء بالعهود دليلُ صدقٍ وإيمانٍ ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

٣٢ ـ كم من عهدٍ قطعته على نفسك، ستدار عليه سؤالات الحساب! ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

٣٣ ـ العهود مواثيقٌ بين الإنسان وربه، والخُلف فيها مؤذنٌ بنهايات السوء ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

٣٤ ـ حتى العهود التي تجريها مع الناس، تقع عليها التبعات نفسها ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

٣٥ ـ إياك وبخس الموازين ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾.

٣٦ ـ هذه الوصية ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ تجري في المكيال الحسِّيِّ، كما تجري في المكيال المعنوي، لا فرق!

٣٧ ـ إذا أعطاك دَيْناً فأَعِدْه وافياً، وإذا بلَّغك سلاماً فردَّه بأجملَ منه، وإذا عاشرك بالمعروف فابسط له جانب الحب، وإذا منحك ودَّاً فافتح له مشاعر الشوق ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾.

٣٨ ـ إياك أن تتقحَّم المجاهيل ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

٣٩ ـ لا أدري: هي دواء تلك المجاهيل التي لا نعرفها! ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

٤٠ ـ إياك أن تتقحَّم علماً لا تعرفه، أو تخصُّصاً لا تفقه فيه، أو مجالاً ليس من شأنك ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

٤١ ـ كم من سؤالٍ عن هذه الجوارح، يحتاج إلى جواب! ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

٤٢ ـ الكلمة مسؤولية ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

٤٣ ـ كل ما يخرج من فمك، وما يدخل قلبك وسمعك سيدار عليه السؤال، وتجري عليه موازين الأعمال ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

٤٤ ـ الذين يصنِّفون الناس، ويخونون في النيات، ويتهمون المسلمين، عليهم أن يُعِدُّوا لذلك جواباً كافياً، للخروج من تباعات السؤال ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

٤٥ ـ كثيرون ينقدون ويتهمون ويصنفون، وفاتَهم تحذير الوحي ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

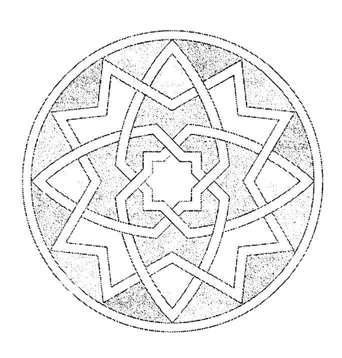
٤٦ ـ الكبر والخيلاء ليست من أخلاق المؤمنين في شيء ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

٤٧ ـ كأنما يحكي الله تعالى أرواح المتكبرين وأصحاب الخيلاء، وهم يتبخترون في الأرض ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ ما أشأم الكبر!

٤٨ ـ مشكلة المتكبر ليست في مشيته فحسب، وإنما في ردِّه للحق، ودعواه بالباطل، ومواجهة الحقائق باستعلاء ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

٤٩ ـ المتكبر لا يقبل حقًّا لا في بيته، ولا مع زوجه وأسرته، ولا مع جاره وقريبه، ولا مع زميله ورفيق دربه، سيظل مصرًّا على أن الحق معه وله ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾.





ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

التفسير

- ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ﴾ ما تقدم ذكره من التكاليف الشرعية التي أمر الله تعالى بها ﴿مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾ مما اقتضته حكمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾ خالداً مخلداً فيها ﴿مَلُومًا﴾ من الله تعالى ﴿مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ مبعداً مطروداً من رحمة الله تعالى.

- ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾ خصَّكم بالبنين وفضَّلكم بهم ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ وجعل لنفسه الإناث ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ كبيراً في الجرم والكذب.

- ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ نوّعنا وبيّنا ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ يتعظون ويتدبرون ﴿وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ ما زادهم ذلك إلَّا بعداً عن الحق ونفوراً.

- ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ مع الله تعالى ﴿ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ﴾ كما يدعون ويعتقدون ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾ هؤلاء الآلهة ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾﴾ إلى الله تعالى طريقاً يوصلهم إليه لينازعوه في ملكه ويقاسموه فيه.

- ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾﴾ تنزَّه الله تعالى وعلا وتعاظم عن قول هؤلاء السفهاء عما يقولون علواً كبيراً.

- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ لله تعالى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ كلها تنزِّه الله تعالى عن كل نقص ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾ في الكون ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ ينزِّه الله تعالى، ويثني عليه بلسان الحال ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ لا تعرفونه ولا تميزونه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ فلا يعاجل بالعقوبة ﴿غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ لذنوب المخطئين.

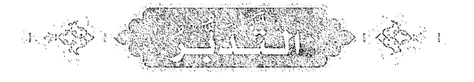
• ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ مانعاً وحاجزاً عن فهمه والعمل به.

• ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ حتى لا يفهموه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً عن سماعه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ تركوك فلم يستمعوا إليك.

• ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ أعلم بحالهم وقت الاستماع إليك؛ فإنهم يستمعون مستخفِّين مستهزئين ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ وكذلك يستمعون إليك وهم يتناجون فيما بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في مناجاتهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ مغلوب على عقله.

• ﴿ٱنظُرْ﴾ تأمل ﴿كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بأنك كاهن وساحر ومجنون ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ فلا يهتدون بذلك إلى طريق الحق.

• ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ بعد أن نموت ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ لا يكون ذلك ولا يمكن أن نعود خلقاً من جديد.



١ ـ لا تقل: لِمَ تلك النواهي؟! تلك هي حكمة الله تعالى وبالغ علمه وهداه ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾.

٢ ـ كل الذين تساءلوا عن حكمة الله تعالى في بعض النواهي مستبعدين، عادوا

في النهاية إليها مذعنين ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ كالذين استبعدوا بعض الشروط في البيوع، ثم لما وقعوا في آثارها السيئة عادوا نادمين.

٣ ـ من كمال عقلك ووعيك، أن تُسلِّم لكل حكم في الشريعة بلغتك حكمتُه، أو لم تعرف من ذلك شيئاً ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾.

٤ ـ ليتك تحضر قلبك هنا، هذا النهي لنبي ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ فلُذْ بحمى الله!

٥ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ ليس الخوف عليك من ترك الهداية، بل الولوغ في مستنقع الشرك!

٦ ـ «**إنَّ قلوبَ بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن، كقلبٍ واحدٍ، يصرِّفها كيف يشاء**»[1]. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

٧ ـ ما أكثر ما نزكِّي أنفسنا، والله تعالى يذكِّر نبيَّه ألَّا يلقي بقلبه في نهايات المشركين ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

٨ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ رسالة ألا تستعظم صلاحك وإيمانك وعملك! ورسالة أن تضع يدك على قلبك من القلق والخوف أن تكون في حياض الشرك والمشركين.

٩ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ لا يأتي على بالك شرك الحجر والوثن، وإنما تعظيم المخلوقين والعادات!

١٠ ـ الجهل بالله تعالى يصنع هذه الموبقات ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

١١ ـ ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ محاكمة عقلية تصلح لهؤلاء الجهلاء!

١٢ ـ إذا أقمت درساً، أو ألّفت كتاباً؛ فنوّع فيه قدر وسعك، حتى يكتب له انتشارٌ في واقع الحياة ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

١٣ ـ التنوُّع والتجديد في الحياة طاردٌ للسآمة والملل، مثيرٌ للبهجة والفرح ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

١٤ ـ من ملامح هذا المعنى أن الروتين قاتل، وصناعة التجديد فن ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

١٥ ـ الضلال لا نهاية له ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ رغم كل ما ذكّر به القرآن لم ينتفعوا به في شيء.

١٦ ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ محاكمةٌ عقليّةٌ لمن لا يتخذون الشريعة منهجاً.

١٧ ـ كلُّ ما تراه عينك من هذه المخلوقات يسبح لله تعالى، ويقوم بدوره كما خلق له ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

١٨ ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ حقيقةٌ تحتاج إلى تفكُّرٍ وتأمُّلٍ كبيرين!

١٩ ـ هذا جماد يقوم بدوره، وذلك إنسانٌ يلوي عنقه معرضاً عن الهداية ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

٢٠ ـ هذا هو جزاءُ إعراضِ الضالِّين ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾.

٢١ ـ النهايات معقودةٌ على البدايات، صالحة أو سيئة ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾.

٢٢ ـ المعصية لا تدمي قلبك فحسب، وإنما تغلق منافذ الهداية، وتسدُّ عنها منابع التوفيق ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾.

٢٣ ـ نيَّتك مطيَّتك للخيرات أو الضلال ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾.

٢٤ ـ كم من حاضرٍ للخير قصد الضلال! ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾.

٢٥ ـ لا تتوقَّع من القلوب العمياء إلَّا هذه النتائج ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.

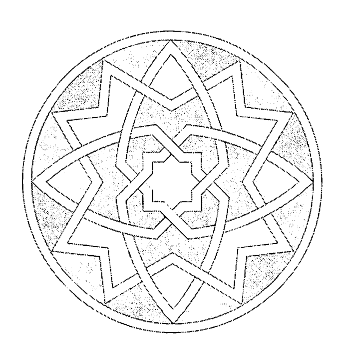
٢٦ ـ إذا غابت الرؤية غاب كل شيء ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.



٢٧ ـ هؤلاء غابت عنهم الرؤية الكلية، وآخرون غابت عنهم أجزاء وتفاصيل تلك الرؤية، فيلهون في الطريــق، وتفوتهم خيرات كثيرة ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.

٢٨ ـ التي تحضر عرساً ماجناً، والتي تخلع ثياب الحشمة والحياء، والذي يرضي مخلوقاً في ســخط الله تعالى؛ كلُّهم فاتهم بعض الرؤيــة الصحيحة في الطريق ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.





۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾



التفسير

• ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ أي لـو كان خلقكم من حجارة وحديد ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ أو كنتم خلقاً أعظم من ذلك؛ فسيبعثكم الله تعالى من جديد ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ أحياء مرة ثانية ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الذي خلقكم أول مرة وأنتم لا شيء ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يحرِّكونها سخريةً واستهزاءً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ البعث؟ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ لعلَّه أن يكون قريباً.

• ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ للبعث والجزاء ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ تنقادون لأمره ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ في الدنيا.

• ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ليختاروا أحسن الكلام، وأجمله، وأعذبه ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يفسد فيما بينهم بالكلمة السيئة ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ عدواً ظاهراً واضحاً.

• ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من أنفسكم ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بفضله وإحسانه ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعدله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ حفيظاً ورقيباً.

• ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يغيب من علم ذلك عنه شيء ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كإبراهيم فإنه خليله، وموسى كليمه، وعيسى كلمته وروحه، ومحمد خاتمهم وأفضلهم صلوات الله عليهم جميعاً وسلامه ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ كتاباً وهو الزبور.

- ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الآلهة ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ فلو دعوتموهم لم يملكوا دفع الضرِّ الذي يصيبكم ﴿وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ ولا يملكون تحويله وصرفه إلى غيركم.
- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يدعونهم من الملائكة والأنبياء والصالحين ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ يتنافسون في حصول ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ القربة والطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ من الله تعالى ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ حقيق بالحذر منه، والمعنى أن الملائكة والأنبياء والصالحين الذين يدعونهم هم أنفسهم يطلبون ما يقرِّبهم.
- ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ ما من قرية ظالمة ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ مقدَّراً مكتوباً.

التَّدَبُّر

١ ـ ثمَّة يومٌ للحساب، وموعد للجزاء والقصاص ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ كونوا ما شئتم، ستدار عليكم أيام الجزاء.

٢ ـ أيّاً كانت قدراتك وملكاتك وحضارتك، لن تستطيع أن تملك واقياً من أحداث ذلك اليوم ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ

مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

٣ ـ رتِّب وضعك، وأدر شأن حياتك، واصنع مجدك لذلك اليوم، وإياك وغفلات الضالين! ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

٤ ـ الكلمة دين، وإذا وجدَتْ عنايةً صنعتْ واقعها بإمعان ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

٥ ـ اختيارك لحسن ألفاظك، وعنايتك بذلك عبادةٌ من العبادات، التي تزيد بها مساحة حسناتك وأثرك في الحياة ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

٦ ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ رسالةٌ في أناقة الشريعة وجمالها، وحرصها ألّا تكْلِمَ القلوبَ، ولا تَجْرَحَ النفوس!

٧ ـ في حوارك مع زوجك وولدك وصديقك وزميلك، أو حتى مع من يجادلك، اختر كلمتك بعناية ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

٨ ـ وفي حديث نبيِّك ﷺ: «**لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي**»(١)، لأنَّ الثانية رائقة على لسان صاحبها ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

٩ ـ قال إبراهيم للشافعي، وهو يكتب في الجرح والتعديل: (فلان كذَّاب) قال: يا إبراهيم! لا تقل فلانٌ كذَّاب، قل: فلانٌ ليسَ بشيء، أكسُ ألفاظك أحسَنَها! ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

١٠ ـ اختيارك للكلمة الطيبة إبطالٌ للطريق التي يتسلل منها الشيطان للإغواء ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

١١ ـ قلوب كثيرين كالزجاج، إذا خُدِشَت لا تقبل الإصلاح؛ فترفَّق بمن حولك، وأدر كلماتك بعناية ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

١٢ ـ تذكَّر وأنت تتحدَّث أو تحاور، أو تناقش أن هذه المساحة من المساحات التي يدير فيها الشيطان شأن المعركة، ويستثمر مواقفها لصالحه ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

١٣ ـ أصلحوا أعمالكم، واصدقوا مع ربكم، واستثمروا كل مساحة لدينكم؛ فالله تعالى لا يخفى عليه من آثاركم شيء ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾.

١٤ ـ كل ما يجري في الكون في علم الله تعالى، لا يغيب عنه شيء ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

١٥ ـ ترفَّق في خلواتك وأسرارك، وأحداث قلبك؛ فالله تعالى يَطَّلِعُ ويحاسب ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

١٦ ـ الحياة لا تستقيم على شيءٍ واحد، فالمفاضلة بين الناس بعض مظاهر جمالها وأناقتها ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾.

١٧ ـ لله تعالى حكم كثيرةٌ، تفوق فكرَكَ وعقلَكَ في مفاضَلَةِ الأنبياءِ والعالمين بعضهم على بعض ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾.

١٨ ـ في مقابل كلِّ فضلٍ واجبٌ من العبادة، يجب ألَّا يغيب عن نظرك ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾.

١٩ ـ غير الله تعالى لا يملك لك شيئاً، فلا تضيِّع وقتك، وتشعِّب قلبك في الظلام ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ كل الخلائق يرجون رحمته ويخافون عذابه.

٢٠ ـ القرى المعرضة، والمجتمعات الضالَّة على موعدٍ مع سوء النهايات، وإن طال أمدُها ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾.

٢١ ـ إذا رأيت إعراضاً عاماً، ولا مصلحَ يدير شأن الإنكار، فترقَّب حلول عذاب الله تعالى مع الأيام ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

التفسير

• ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدالَّة على صدق الرسل ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ إلَّا تكذيب المكذبين، وعدم اعتبارهم لها ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ بيِّنة واضحة ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ لم يعتبروا بها ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩﴾ يخوِّف الله تعالى بها عباده، لأجل أن يعودوا.

• ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ علماً وقدرة ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ وهي ما شاهده في ليلة الإسراء والمعراج ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ ليتميَّز المؤمن، وليعرف الصادق ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ شجرة الزقوم التي تنبت في أصل جهنم هي كذلك، ممَّا جعلها الله تعالى فتنة للناس، بين مصدِّقٍ بخبر الله تعالى فيها وبين مكذِّب ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ﴾ بالآيات والعظات والعذاب ﴿فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ۝٦٠﴾ إلَّا فساداً وتمرُّداً وعداءً.

• ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا﴾: واذكر أيها الرسول إذ قلنا ﴿لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجود تحية وإكرام ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ أي الملائكة ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ أبى أن يسجد ﴿قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ۝٦١﴾ أأسجد لمن خلقته من الطين، وأنا أشرف منه خلقاً ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ يقصد آدم ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ لأستولينَّ عليهم بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ۝٦٢﴾ ممَّن لا سبيل لي عليه.

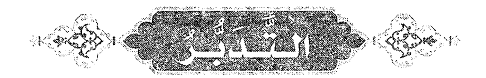
• ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ أطاعك ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ مردُّكم وعاقبتكم جميعاً ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ۝٦٣﴾ كاملاً لا بخس فيه.

• ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ استخفَّه بدعوتك إلى المعصية ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم﴾ أجمع وصح عليهم ﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ بجنودك

الراكبين والراجلين في معصية الله تعالى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بجمعها من طريق غير مباح، وإنفاقها في الوجوه المحرَّمة ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ بإنجابهم من وجوهٍ محرَّمة، وعدم رعايتهم وتربيتهم ﴿وَعِدْهُمْ﴾ أعطهم وعوداً كاذبة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ باطلاً لا حقيقةَ له.

• ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المتَّقين منهم ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ لا طريق لك إلى إضلالهم ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ يدفع عنهم كلَّ سوءٍ تريده بهم.

• ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ يسيِّر ويجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ لتنتفعوا بذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ في دينكم ودنياكم.



١ ـ لطف الله تعالى ورحمته بعباده، يبعث لهم رسله، وينزِّل عليهم كتبه، ومع ذلك يزيدهم من الآيات رغبةً في إقناعهم ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

٢ ـ القلوب المؤمنة يكفيها أدنى الدلائل، وأقـرب الحجج للتصديق، والقلوب المعرضة، لو بسطْتَ لها الكون، ما زادها ذلك إلَّا إعراضاً ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

٣ ـ لن تفلت من رقابة ربك، ولو صنعت حُجُباً صلدَةً بينك وبين السماء ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾.

٤ ـ ليتهم اسـتقبلوا من أمرهم ما اسـتدبروا منه؛ فليس ثمَّةَ نجـاةٌ إلَّا بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾.

٥ ـ الأحداث التي يجريها الله تعالى في الكون لغايات ومقاصد عظمى ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

٦ ـ مشاهد بيت المقدس التي عاينها رسول الله ﷺ تلك الليلة، كانت ابتلاءً واختباراً للمصدقين والمكذبين ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

٧ ـ كثيرون شكَّكوا في تلك الرؤية وقالوا: أنَّى يكون ذلك! وقلَّةٌ قالوا: إن كان قالها فقد صدق ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

٨ ـ الكِبْرُ لا يخلّف في حياة أصحابه إلَّا سوءَ التوفيق ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

٩ ـ إذا جرى الكِبْرُ في قلبك؛ فقد تشبَّهتَ بالشياطين ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

١٠ ـ الكِبْرُ نبتةٌ سيِّئةٌ في قلب صاحبها، تُخَيِّلُ له أنه أولى بالتقديم وأحرى بالتعظيم، وأحق بالحديث، وأعلم من كثيرين، وهو صانع أحداث الحياة حتى يبلغ مداه ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

١١ ـ إذا أردت أن تعرف آثار الكِبْر وعواقبه؛ فانظر إلى عواقب إبليس، نقله الكِبْر من جنَّةٍ إلى خلود في الجحيم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

١٢ ـ الخاسرون وأهل الضلال ورفقة السوء، إذا غرقوا رغبوا أن يجتالوا العالم معهم في الوحل والطين ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

١٣ ـ الحسد ميراث إبليس ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ وكم من غارقٍ في هذا الخُلق دونَ وعي!

١٤ ـ لا تستغرب أن تجدَ طالبَ علمٍ، يضن على زملائه ورفقاء دربه الطويل بمذكراته، أو ببعض المسائل التي فقه فيها أشياءً لم يفقهها غيره ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ ومثله ذلك الطالب الذي فتح الله تعالى عليه في فقه بعض المسائل الفرضية، أو الرياضية، أو اللغة الإنجليزية، واستعلى على غيره، ممن لم يهبهم الله تعالى ما أعطاه، وغير ذلك ممَّن منَّ الله تعالى عليهم بالفضل، ولم يمدُّوا أيديهم وقلوبهم ومشاعرهم إلى غيرهم بذلك الفضل الذي آتاهم الله تعالى، وحسدوا من حولهم.

١٥ ـ الراغبون في طريق الشيطان والمتبعون له، سيلحقونه إلى النهاية ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ فالنار تستوعب كل الأتباع.

١٦ ـ بدأت المعركة، فأين أنت من ساحاتها؟! ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾.

١٧ ـ كل السبل مفتوحة أمام عدوك في إدارة المعركة معك ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ فكن واعياً ببنيات الطريق.

١٨ ـ قد يستخفك بصوته الداعي للمعصية، ويتولَّاك أصحابه وأعوانه ورفقاء طريقه، ويشاركك في أموالك بإنفاقها في غير الطريق المشروع، أو في ولدك

باستخدامه في مشروع باطل، أو بمهارتك في عمل محرم، وسيغريك في النهاية بالوعود الباطلة الكاذبة؛ فكن من ذلك على حذر ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾.

١٩ ـ ثمّةَ فئاتٌ من أهل الإيمان، لا تُحْسِنُ إلَّا الاستعلاء ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

٢٠ ـ استوثق من طريقك، والزم جادة الحق، واستشعر معركته التي يديرها الشيطان معك في كل وقت، تبلغ مناك، وتهزمه في عُرْضِ الطريق ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

٢١ ـ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ أعظم انتصار يسجله إنسان في تاريخه على الإطلاق!

٢٢ ـ إذا رأيت السفن تمخر عباب البحار، فاستشعر قدرة ربك، واصعد بقلبك في مرابع الإيمان ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾.

٢٣ ـ هداك للحق، وعلَّمك كيف تجلب رزقك، ما ألطفك يا الله! ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾.

٢٤ ـ إذا أمعنت في البحر، أدركت منَّة الله تعالى على الإنسان بالاستثمار فيه ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ غاب وزال عن قلوبكم ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ولم يبق إلَّا الله تعالى ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ أنقذكم من الغرق ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عنه تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ جحوداً لنعمه ظالماً لنفسه.

• ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ تنهار بكم الأرض ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً شديدة ترميكم بالحصى ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ حافظاً ونصيراً.

• ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ في البحر؛ فيعود عليكم خوفُ الغرق من جديد ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ ريحاً شديدة القوة، تقصف ما أتت عليه ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ في البحر ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب كفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ لا تجدوا مطالباً يطالبنا بما فعلنا فيكم.

• ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بالعلم والعقل ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ لذيذ المطاعم والمشارب ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ أعطيناهم ما لم نعط غيرهم من الفضائل والمكارم.

• ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ برسولهم ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ بيده اليمنى ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ مبتهجين مسرورين ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ ولا يُنْقَصون من أجورهم قدر فتيل، وهو القشرة في شق النواة.

- ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ في الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عمى القلب عن الحق والهدى ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أعمى العين عن مواطن السلامة والنجاة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ طريقاً.

- ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ قارب هؤلاء الكفار أن يخدعوك بقولهم ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ لتقول علينا غير ما أوحيناه إليك ﴿وَإِذًا﴾ لو فعلت ما يريدون ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ صاحباً وحبيباً.

- ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحق والهدى وعصمناك من كيدهم ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ أوشكت أن ﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ تميل إليهم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ فعصمك الله تعالى من ذلك.

- ﴿إِذًا﴾ لو ركنت إليهم وأجبتهم إلى مرادهم ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لأصبناك بعذاب مضاعف في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ ينصرك فيدفع عنك العذاب.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أقبح الهوى! ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ يدّعون آلهة مع الله تعالى، ثم لمّا اضطرتهم حوادث الزمان، عادوا لله تعالى طالبين راغبين!

٢ ـ يمرض، فتراه من أقرب عباد الله تعالى إليه، ويصيبه حادث، فيترنَّم بشكر الله تعالى مدةً من الزمن، ويُسجن ويعود خائفاً منيباً، وتحل به ضائقة فلا يعرف غير ربه، ثم إذا عوفي من كل ذلك عاد مارداً ضالاً، لا يبالي بشيء، هذه قصة كثيرين

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

٣ ـ حتى لو خرجتم ونجوتم في هذه المحنة، ثم عدتم للضلال؛ أفتأمنون النجاة في قادم الأيام! ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ ما أحوجنا للذكرى!

٤ ـ قد تنجون من البحر، وينهار بكم البر، أو تنهال عليكم حجارة من السماء، وقد يعيدكم في البحر؛ فيبعث عليكم ريحاً فتغرقون ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ لم ولن تذهبوا بعيداً فترفّقوا بأنفسكم!

٥ ـ الله خلقك وكرّمك ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

٦ ـ من إكرامك عند ربك أن هيّأ لك كلّ شيء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ أفق من غفلتك، فكلُّ العالم الذي تراه حولك خُلق من أجلك ولك.

٧ ـ كرّمك الله تعالى بهذا العقل، وحملك على وسائل تجوب بها البر والبحر، ورزقك من كل الطيبات، وفضّلك على العالمين فهل بقي شيء! يا الله ما أكثر وابل نعمك على هذا الإنسان! ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

٨ ـ ثمَّة موعدٌ لنقاش أحداث هذا العمر الطويل ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

٩ ـ هذا فَرِحٌ يتناول كتابه بيمينه، وذاك حَزِينٌ يأخذ كتابه بشماله، ما أبعد الفرق! ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

١٠ ـ ما زلتَ حياً ويمكنك الإدراك ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

١١ ـ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ رسالة لأتباع الرسل: لا تظنوا أنكم بمنأى عن الضلال يوماً ما !

١٢ ـ صديق السوء، وحامل فكرة الضلال، وصاحب مشروع الباطل، لن يترك أمانيه، ولو ألعقته عسلاً صافياً كل يوم ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

١٣ ـ الانحراف في مفاهيم الوحي من أعظم أهداف الباطل التي يسعى إليها ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

١٤ ـ مفاهيم التيسير التي لا يسندها دليل شرعي، أكثر المقاربات التي يفرح بها العدو في البدايات خاصة ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

١٥ ـ حين يفرح بك العدو، ويردِّدون ذكرك في كل محفل، ويقدِّمونك لمناصب الشرف، ويجهدون في إظهار صوتك وصورتك، فاعلم أنك بلغت أمانيهم التي يريـدون ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

١٦ ـ قد يدفعون لك مـالاً، أو يعرضون عليك وظيفة مرموقـة، أو يجعلونك في المقدمة؛ ليستفيدوا منك في الترويج لمشروعٍ باطل، أو توسيع دائرةِ فكرةٍ مشؤومة، هذا بعضٌ ممَّا يديره أهل الباطل في مواجهة الحق ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

١٧ ـ تخيَّل أن الله تعالى تركك لنفسك، وتخلَّى عن إعانتك وتوفيقك ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٨ ـ تعلَّم كيف تُخْبِتُ لربك، وتنيب إليه، وتُرْزَق خشيته، لعلك تنال توفيقه، ولا يتركك لأهواء المبطلين ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

١٩ ـ اعتداد الإنسان بقدراته ومهاراته وإمكاناته هي التي أودت به إلى ضياع دينه ومسـتقبله في درك الشـقاء ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

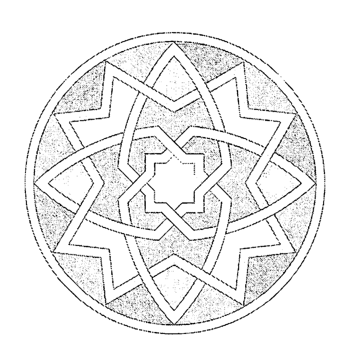
٢٠ ـ مجرَّد الركون للباطل، ومقاربة المسـافة بينك وبينه، وقبول مفاوضته، زللٌ يحتاج إلى توبة ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

٢١ ـ أقبل على ربك، وعظِّم شعائره، وأدم الأوراد المثيرة لروحك، واستعتب منه مراراً، وكرِّر الاسـتغفار، ولُذْ بلا حول ولا قوة إلَّا بالله، واسـأله في كل مرَّةٍ ألَّا يكلك لعاديات الزمان: تعان على الثبات ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

٢٢ ـ الميل للباطل والركون إلى أهله موجبٌ لسخط الله تعالى وعقابه وعذابه، وتخلِّيه عن صاحبه في الدارين ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾.

٢٣ ـ واجب العلم ثقيل، وتكاليفه كبيرة مرهقة، ومن زلَّت قدمه حمل أوزار العلم، وثقل بتبعات الضلال ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾.

❀ ❀ ❀



وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

التفسير

• ﴿وَإِن كَادُواْ﴾ قارب الكفار ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يزعجوك ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ أرض مكة ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ لا يبقون بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ زمناً قليلاً، ولو أخرجوك لأحلَّ الله تعالى بهم الهلاك بعدك، وقد خرج ﷺ مهاجراً إلى المدينة، ثم مكنه الله تعالى من قريش في غزوة بدر في أقل من سنتين.

• ﴿سُنَّةَ﴾ الله تعالى المطَّردة ﴿مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أن كل أمة تُخْرِج نبيها، أو تقتله أن ينزل بها عذاب الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ تبديلاً وتغييراً .

• ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ عند زوال الشمس عن كبد السماء ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ ظلمته ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ تشهده الملائكة.

• ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ زيادة لك في الخير على الفريضة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ يبعثك شفيعاً للناس في الموقف يوم القيامة، وهي الشفاعة العظمى التي يعتذر عنها الأنبياء كلهم، ويقوم لها ﷺ.

• ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ اجعل مداخلي ومخارجي كلَّها في طاعتك ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ حجَّةً قويَّةً ظاهرةَ على ما أتيته من الحق.

• ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ ما وعد الله تعالى به نبيَّه من النصر ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ بطل واضمحل وتلاشى ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ لا يستقر أمام الحق.

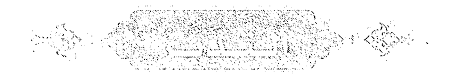
• ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ للأبـدان والقلوب والأرواح ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لما فيه من بيان الحق وهداية ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بربهم ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ هلاكاً.

• ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ بـكل ما هو نعمة، من صحّـةٍ، ومالٍ ونحوها ﴿أَعْرَضَ﴾ عن شـكر الله تعالى ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ لوى عنقـه، وولّى ظهره متكبّراً ناكراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ من فقر ومرض ﴿كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ يائساً من رحمة الله تعالى.

• ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ كلٌّ يعمـل على ما يليق بـه من الأحوال والأشكال ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ يعلم من هو على الحق ممَّن هو أهل الضلال.

• ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ اليهود ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ التي في جسد الإنسان ما حقيقتها ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ من جملة مخلوقاته، لا يعلم أمرها إلَّا هو تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ بالنسبة إلى علم الله تعالى.

• ﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾ أردنا ﴿لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن والوحي، فلا نبقي لك منه شيئاً ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ يتوكَّل عنك فيسترجعه منّا.



١ ـ لا يمكن أن يرضى الباطل ببقائك في أرضه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾.

٢ ـ إذا رأيت باطلاً صامتاً في ثورة حقٍّ، فاعلم أن الهزيمة بلغت منه مداها ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾.

٣ ـ كلَّما ارتفعت رايةُ الحقِّ ولَّى الباطل، يجمحُ إلى المغارات ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾.

٤ ـ يا أصحاب الحق! إياكم والتخلِّي عن مساحات الجهاد في أرضكم، فالباطل ينظر لكم بغيظ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾.

٥ ـ بقاء المصلحين في مجتمع أو دولة أو وطن مؤذنٌ ببقاء ذلك المجتمع، وتلك الدولة، وذلك الوطن، وذهابهم منها مؤذنٌ بدمار تلك الديار ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ هذه سنة الله تعالى في العالمين.

٦ ـ إذا أردت وارف الحياة وفيض النعم؛ فأقم للصلاة شأناً في حياتك ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

٧ ـ في محرابِ المسجدِ وآيِ القرآن الكريم الحياةُ التي يشتاقُ إليها كلُّ مؤمن ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

٨ ـ جرِّب أن تمدَّ سجادتك في ليلةٍ من الليالي وتستقبل القبلة، وترتِّل كتابه، وسترى ماذا فاتك من النعيم في أيام عمرك الماضية ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾.

٩ ـ الدعـاء بابٌ تلجُ منه إلـى خيرات الداريـن ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾.

١٠ ـ لو أحسن الإنسان سـؤال ربِّه، وتكرار مطلوبه، والإلحاح عليه في كلِّ حينٍ لبلغ أمانيه ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾.

١١ ـ الدعاء فن! تأمَّل دعاءَ نبيِّك ﷺ ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ اجعل مداخلي ومخارجي كلَّها في طاعتك وعلى مرضاتك. ماذا أبقى!

١٢ ـ إذا جعل الله تعالـى مداخلك ومخارجك في طاعته، فقـد أجراك في فلك الخيرات، وبسط عليك النعم ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾.

١٣ ـ ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ هذه هي الحقيقة التي لا تقبل الشكوك.

١٤ ـ ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ سنَّةٌ كونيَّةٌ تتوسَّع ولا تضيق، وتكبر ولا تصغر، وتكثر ولا تقل!

١٥ ـ حتى لو كان الحقُّ بسيطاً، يدوم أثره، وتبقى معالمه، ويستفاد منه! ولو كان الباطل كثيـراً، لما بقي منه شـيء ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.

١٦ ـ ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ دعـوةٌ لحمل أي فكرة أو مشروع، ومستقبلها مضمون النجاح.

١٧ ـ كل جهود الباطل ستتلاشـى فـي النهاية، فلا يغرَّنَّكُـم زبدها العارض في الطريق ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾.

١٨ ـ القرآن شفاءٌ لقلبك من شكوك الباطل وشهوات النفوس، وشفاء لبدنك من العلل والأوجاع؛ فخذ منه حظَّك وشرفك ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٩ ـ وإذا كنـت طالبـاً لرحمة الله تعالى، فاقطع من سـنام وقتـك لهذا الوحي ما يجري عليك نعيـم الله تعالى في الداريـن ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

٢٠ ـ ليكن لك ورد لا تُخلفه، تردِّده وتتدبُّره وتتأمَّله، وسترى كيف تتوافد إليك موارد التوفيق والفلاح ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

٢١ ـ هذه قصة الإنسان وحكايته ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ تأتيه النعمة فيطغى ويعرض، ويناله الشر فيعود بائساً متضرِّعاً!

٢٢ ـ اختر مشروعك بعناية، وركِّز على ما يناسب طاقاتك وإمكاناتك، ولا تُذْهِبْ حياتك سدًى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

٢٣ ـ التخصُّص والمجال والفـن الخاصُّ بك، يصنع تاريخـك، ويكتب أثرك بأوسع ما يكون ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

٢٤ ـ (شاكلته) الطريقة الخاصَّة به، وفنُّه الممكن، ومساحته التي يجيد فيها البناء بإبداع ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

٢٥ ـ الأسئلة التي لا يترتب عليها فائدة حقُّها الإعراض عن جوابها ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾.

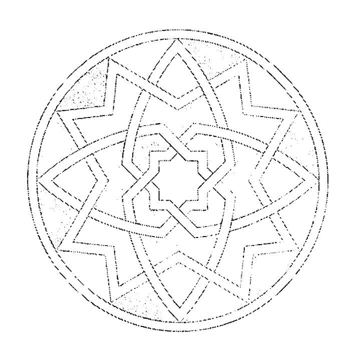
٢٦ ـ كل سؤال لا يترتَّب عليه عمل، فلا تحفل به ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

٢٧ ـ لا تغترَّ بقدراتك وإمكاناتك وطاقاتك، تلك نعم ربك، ولو شاء لذهب بها في لحظة ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾.

٢٨ ـ من كمال عقلك ووعيك وفقهك أن ترعى نعم الله تعالى، وتقوم بحقها؛ وإلَّا فهي إلى الزوال ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾.

٢٩ ـ حفظوا القرآن ونسوه، وضبطوا العلم وعادوا جاهلين به، وأجادوا مهارات، ثم تولت من حياتهم، كذلك يفعل الغرور ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀



إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾



التفسير

• ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ تردُّه عليك ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾ عظيماً.

• ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ لا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن في نظمه وجزالته وقوته وتأثيره ﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ معاوناً ونصيراً.

• ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ نوّعنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ ممَّا يوجب الاعتبار والذكرى ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ جحدوا به، ولم يستفيدوا من ذلك شيئاً.

• ﴿وَقَالُواْ﴾ كفار مكة: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ لن نصدِّقك يا محمد ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ أنهاراً وعيوناً تجري بالماء.

• ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ﴾ من النخيل والأعناب ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ تجريها فيها بقوة ﴿خِلَٰلَهَا﴾ في وسطها ﴿تَفۡجِيرًا ٩١﴾ بكثرة.

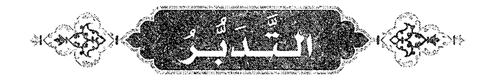
• ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا﴾ قِطَعاً ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ حتى نراهم متقابلين.

• ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ مزخرف بالذهب ونحوه ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تصعد فيها ﴿وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لن نصدِّق بصعودك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ تأتي بكتاب من السماء نقرأه فنصدِّق لك ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ تنزَّه الله تعالى أن يعجزه شيء ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ ما أنا إلَّا بشرٌ من الناس، ليس بيدي شيء.

• ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ لم يمنعهم من الإيمان بالله تعالى إلَّا كون الرسل بشراً من الناس.

• ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ من جنسهم؛ ليتمكَّنوا من فهمه، والأخذ عنه.

• ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يكفي الله تعالى شاهداً على أنني بلغتكم ما كُلِّفت به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ لا يغيب عنه منهم شيء.



التَّدَبُّر

١ ـ لولا رحمة الله تعالى، لما أبقى لك نعمة، ولما هنئت بشيء ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

٢ ـ ما أكثر فضائل الله تعالى علينا وما أقل شكرنا لها! ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

٣ ـ كم مرَّةً فتح الله تعالى لك توفيقاً، وأجرى على يدك خيراً ومعروفاً، وأسبغ عليك نعماً وفضلاً. من أنا وأنت لولا فضل الله تعالى علينا! ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

٤ ـ وكم مرَّةً صرف الله تعالى عني وعنك بأساً وشرَّاً وسوءاً! ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

٥ ـ من أعظم الأدلة على أن هذا القرآن وحي الله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

٦ ـ من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، لم يستطع ضالٌّ أن ينازع هذه الحقيقة ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

٧ ـ المصروف عن الخير لا تنفع معه الذكرى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾.

٨ ـ إذا لم يرقَّ قلبك، أو يهتدِ لهذا الوحي، أو ينتفع بما فيه، فتلك علامة شقاء ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾.

٩ ـ يختلقون العقبات ليكوِّنوا بها حواجز في الطريق ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾.

١٠ ـ كم مرَّة خلق الكِبْرُ حائلاً دون التوفيق! ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾.

١١ ـ الأدلَّة كافيةٌ، وهذا أبلغها وأتمها ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

التفسير

• ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾ يريد هدايته ﴿فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾ الواصل إلى الهداية المتنعِّم بها ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ يريد ضلاله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يهدونهم إلى الحق ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ نجمعهم في مواقف الحساب ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ يمشون على وجوههم ﴿عُمۡيٗا﴾ لا يبصرون ﴿وَبُكۡمٗا﴾ لا يتكلَّمون ﴿وَصُمّٗاۖ﴾ لا يسمعون ﴿مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ مقرُّهم ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ﴾ سكن لهبها وخفَّ أوارها ﴿زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧﴾ عذاباً.

• ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ ذلك الجزاء الذي يلاقونه ﴿بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ جحدوا بها فلم يصدِّقوا بها ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ مستهزئين ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾ أجساداً متفتِّتة ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨﴾ لا يمكن أن يكون ذلك.

• ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ مع عظمها ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ يعيدهم بعد موتهم خلقاً جديداً ﴿وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ فيه ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩﴾ جحوداً ونكراناً.

• ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾ لو كانت خزائن الأرزاق بأيديكم ﴿إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ لأمسكتم الأموال فلم تنفقوها شحّاً وبخلاً ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾ مبالغاً في البخل والإمساك.

• ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ علامة على رسالته كالحية، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونحوها ﴿فَسۡـَٔلۡ﴾ يا رسول الله ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ المؤمنين منهم؛ كعبد الله بن سلام، وسؤالهم هنا للاستشهاد بقولهم ﴿إِذۡ جَآءَهُمۡ﴾ موسى ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾ متأثراً بالسحر، لا تدري ما تقول.

• ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات التي تراها ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ دلالات وعلامات واضحة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ هالكاً.

• ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يزعجهم ويؤذيهم ويخرجهم من أرضهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾ في البحر ﴿وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ من الجنود والأتباع ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد فرعون ﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أرض بيت المقدس ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يوم القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ جميعاً.

التَّدَبُّر

١ ـ إذا منَّ الله تعالى عليك بالهداية؛ فقد حُزْتَ كلَّ شيء ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾.

٢ ـ الهداية أعظم الأحلام الضائعة في حياة كثيرين ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ كم مِنْ محرومٍ لم يبلغ حلمه حتى الآن!

٣ ـ الطريق إلى الهداية والفلاح والرشد، لا يُطلَبُ إلَّا من الله تعالى ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ وكل من طلبه من طريقٍ آخر ضلَّ ما بقي من عمره.

٤ ـ ماذا بقي للضالين عن الطريق! ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ تركوا منهج الله تعالى ودينه ورسالته، واتَّخذوا أولياء لا يملكون شيئاً؛ فماذا بقي لهم؟! وماذا ينتظرون؟!

٥ ـ من نظر إلى خلق السماء والأرض نظر اعتبار، أدرك أن ما بعدها على الله تعالى أهون ما يكون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩)﴾.

٦ ـ القلوب التي أصابها العمى لا تفقه عن الله تعالى شيئاً ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩)﴾ ماذا لو منحوا أنفسهم وقتاً للاعتبار!

٧ ـ الإنسان مجبولٌ على البخل، ويموت وهو خالي اليد ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾.

٨ ـ إذا كنت في مشروع بر وخير، وتحتاج إلى دعم، فروِّض نفسك على مشاهد الإنفاق ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾.

٩ ـ من الاستعلاء أن تنفق مالك غيرَ آبهٍ لصروف الزمان ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾.

١٠ ـ إذا رأيته يستعلي على أصله وطبيعته وما جُبل عليه؛ فاعلم أن تلك صنائع المعروف، ومواقف الحسنات، وتوفيق الله تعالى ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾.

١١ ـ المستبدُّون لا يبالون بما يقولون ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١)﴾.

١٢ ـ في معركة المفاهيم والتصورات من السهولة أن تتبنى وهماً، وتلقي به في ساحات الصراعات ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١)﴾.

١٣ ـ إلقاء التهم والمجازفة في رمي الآخرين بالأوصاف الكاذبة سنَّةٌ، لا تخلو منها معركة من معارك الحقِّ مع الباطل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.

١٤ ـ كثرة الأدلة لا تنفعُ العُمي عن الحقائق في شيء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾.

١٥ ـ العلم النظريُّ لا يمكِّن صاحبه من بلوغ غاياته، ما لم يعانق شغاف القلوب يظلُّ معزولاً، لا قيمة له ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾.

١٦ ـ إذا رأيت مسؤولاً جعل أول جبهاته الحربية المصلحين؛ فقد بدأ العدُّ التنازليُّ لأيام حياته ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾.

١٧ ـ هذه هي السنن ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾.

١٨ ـ التاريخ يتحدَّث ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾ بدأ باستفزازهم؛ فكانت نهايته!

١٩ ـ إذا أهلك الله تعالى طاغيةً أورث الأرض أهلها من جديد ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

التفسير

- ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ القرآن أنزلناه لهداية الناس وإرشادهم ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ بالصدق والعدل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بثواب الله تعالى ﴿وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ بعقابه تعالى.

- ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ أنزلناه مفرَّقاً ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على مهل، ليتدبَّروا آياته، ويتفكَّروا في معانيه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ شيئاً فشيئاً مفرَّقاً على ثلاث وعشرين سنة.

• ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمن أعرض عنه: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ فلا حاجة لله تعالى في إيمانكم، ولا يضرُّه إعراضكم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ من قبل القرآن؛ كعبد الله بن سـلام، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل ونحوهـم ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ القـرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧﴾ يسـقطون على وجوههم سـاجدين لله تعالى وخصَّ الذقن؛ لأنه أول ما ينزل على الأرض.

• ﴿وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزَّه عمَّا لا يليق بجلاله وسلطانـه ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨﴾ أي إنَّ وعـدَ الله تعالى بنصـر المؤمنين آتٍ لا شكَّ فيه.

• ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ﴾ من أثر القرآن ﴿وَيَزِيدُهُمۡ﴾ القرآن ﴿خُشُوعٗا ۩ ١٠٩﴾ خضوعاً.

• ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ ادعوه باسم الله، أو اسم الرحمٰن، لا فرق ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾ أي واحد من هذين الاسمين ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فكل اسم حسن، فلكم الدعاء به؛ لأن أسماءه تعالى كلَّها حُسنى ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك ﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ تسرُّ بها ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ لتكن قراءتك متوسِّطة بين الجهر والإسرار.

• ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ فله كمال الحمد والمجد ﴿ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ فلا ولدَ له تعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ بل وحده هـو المتصرِّف في الكون ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ لم يحتـج إلى موالاة أحدٍ مـن الخلق لذُلِّه ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ عظِّمه تعظيماً.

التدبر

١ ـ من فقه الداعي إثارة هذا الوحي في نفوس الناس ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ إذا باشرت هذه الحقائق قلوب الناس أحالتها ربيعاً مع الأيام.

٢ ـ (الوحي) أعظم الحقائق التي يملكهـا المصلحون في التاريخ كلّه ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾.

٣ ـ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ أنـزل الله تعالى كتابه مفرَّقاً لأعظم الغايات، وأكثرها إثارة في الحياة (التدبر والتأمل).

٤ ـ حِلَق التدبُّر لكتاب الله تعالى هـي الطريق إلى إعادة تكوين الأمة وبنائها من جديد ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

٥ ـ نظِّم حلقةَ تدبُّر لأسرتك، ولأهل بيتك، ولزملائك، وللقاءاتك وسترى صناعة القرآن في واقعهم، ولو بعد حين ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

٦ ـ خطيب الجمعة مسـؤول عن تقريب مفاهيم هذا الوحـي لتلك الجموع كل أسبوع ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ وإمام المسجد كذلك مسؤول عن تحريك مفاهيم هذا الوحي في واقع الناس كلَّ حين ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾.

٧ ـ إذا قرع قلبك واعظ القرآن، وسالت دمعتك، وأقبل قلبك على الله تعالى؛ فتلك مشـاهد قلوب المؤمنين ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٨﴾﴾.

٨ ـ من معالم الهداية أن يلقى القرآن رواجاً في قلبك، ويُحْدِثُ لك عبراً وعظات ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

٩ ـ التأثر بالقرآن من صفات أهل العلم والإيمان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

١٠ ـ وإذا جرى دمعك لآية، فتلك دلائل الحياة ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

١١ ـ واحدة من أعظم وصايا زيادة الإيمان وتثبيت المؤمن على الحق، العناية بالقرآن تلاوةً وتدبُّراً ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾.

١٢ ـ حين تتضرَّع لربك، اختر ما شئت من أسمائه الحسنى، ثم ابعث أمانيك وأشواقك في رحاب ذلك المعنى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾.

١٣ ـ قل الحمد لله من قلبك ومشاعرك ووجدانك، ترى كلَّ شيء ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

١٤ ـ قل الحمد لله تعالى على توحيده، وأنه لم يكن له شريك ولا ولي من الذل ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

١٥ ـ عظِّم ربك ووقِّر شعائره، وقِفْ عند حدوده؛ فذلك من أعظم الدلائل على قيامك بحقِّه وواجبه ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

سُورَةُ الكَهفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾

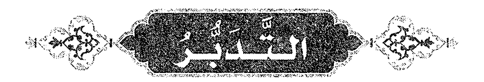
التفسير

• ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أي المستحق للثناء والحمد المطلق هو الله ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ ورسوله محمد ﷺ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن الكريم ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾﴾ لم يكن فيه ميلٌ عن الحق.

• ﴿قَيِّمٗا﴾ مستقيماً معتدلاً ﴿لِّيُنذِرَ﴾ أي القرآن الكريم ﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾ عذاباً عظيماً ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾ من عند الله تعالى ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾﴾ رائقاً جميلاً.

• ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ في النعيم ﴿أَبَدٗا ﴿٣﴾﴾ مكثاً دائماً، لا انقطاع فيه.

• ﴿وَيُنذِرَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ الذين وصفوا الله تعالى بأن له الولد؛ كاليهود والنصارى وكفار قريش.



التَّدَبُّرُ

١ ـ تأمَّل في ثناء الله تعالى على كتابه تدرك حجم ما فيه من حياة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ ربك يحمد ذاته، ويثني على نفسه بإنزال هذا الوحي!

٢ ـ هذا القرآن نعمة تستحق الشكر والعرفان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾.

٣ ـ لو لم يكن في هذا القرآن إلَّا هذا الإجلال من قائله، لكان كافياً في الاعتصام به والإقبال عليه، وصرف سنام أوقاتنا في تعلمه وتعليمه وتدبره ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾.

٤ ـ لم تلق الأمةُ في تاريخها الطويل حادياً يدلف بالقلوب على آمالها كهذا الوحي ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾.

٥ ـ أيها المكدودون من الألم، المجهدون من الحياة، المتعبون في ثنايا الطريق! هذه بشائر النهايات ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾.

٦ ـ منهج الوحي التوازن بين الترغيب والترهيب ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾.

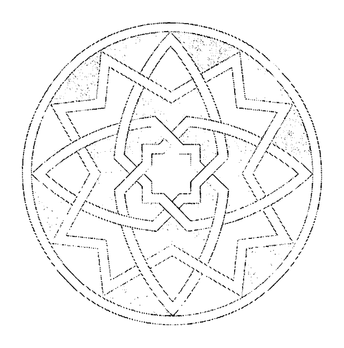
٧ ـ من فقه الداعية وكمال وعيه أن يوازن في طرحه بين الترغيب والترهيب، بحسب وسعه وحال المستقبلين لرسالته ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾.

٨ ـ المناهي التي تقرؤها في كتاب ربك سدود عن بوارق التوفيق في حياتك؛ فترفَّق بنفسك من تسوُّرها ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾.

٩ ـ كل ما لقيت نهياً في كتاب ربك ففرَّ من مواقعته، وإياك والسقوط في حمأ المنكرات ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾.

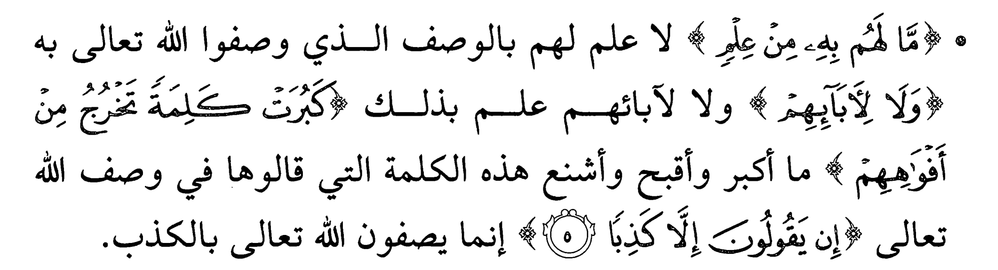
١٠ ـ الجهل بالله تعالى يصنع مثل هذه الطامات ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ إذا رأيت متجرئاً على ربه غير آبهٍ بما يقول؛ فذلك لقساوة قلبه، وجهله بربه.

❀ ❀ ❀



مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

التفسير



• ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾ لا علم لهم بالوصف الذي وصفوا الله تعالى به ﴿وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾ ولا لآبائهم علم بذلك ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾ ما أكبر وأقبح وأشنع هذه الكلمة التي قالوها في وصف الله تعالى ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾ إنما يصفون الله تعالى بالكذب.

• ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا رسول الله ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ مهلكها غمّاً وأسفاً وحسرةً ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ من بعد توليهم وإعراضهم ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا ٦﴾ حُزناً وغمّاً.

• ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من مآكل ومشارب ومراكب ﴿زِينَةٗ لَّهَا﴾ للأرض ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾ لنختبرهم ﴿أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾ أخلصه وأصوبه.

• ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا﴾ ما على الأرض من زينة ﴿صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾ تراباً لا نباتَ فيه.

• ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ﴾ أظننت يا رسول الله ﴿أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح الذي كُتِبَتْ فيه أسماؤهم ﴿كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩﴾ يتعجبون من آياتنا، بل غيرها أعجب منها.

• ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ﴾ التجأ أصحاب القصة ﴿إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ أعطنا من عندك ﴿رَحۡمَةٗ﴾ تثبتنا بها وتحفظنا بها من الشر ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ دبّر أمرنا، ويسّره إلى طريق الحق.

• ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾ ألقينا عليهم النوم، فناموا ثلاث مئة سنة وتسع سنين.

• ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ بعد هذا الزمن الطويل من النوم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ حتى نعلم ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ أي الفريقين من المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَىٰ﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ لمدة بقائهم في الكهف.

• ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ نخبرك ﴿نَبَأَهُم﴾ في ذلك ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق واليقين ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ شباب ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ بالله تعالى ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ هداية وتوفيقاً.

• ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ صبَّرناهم وثبتناهم ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ على الحق وتواصوا به ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ شريكاً له في الملك ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ إن دعونا معه إلهاً آخر فقد قلنا قولاً جائراً بعيداً عن الحق.

• ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ عبدوها من دون الله تعالى ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ على آلهتهم التي ادعوها ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ بدليل واضح ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ فلا أحد أظلم ممَّن كذب على الله تعالى.



التَّدَبُّر

١ ـ لو أنك وجَّهت لبشر من الخلق تهمة لاحتجت أن تقيم لها براهين، فكيف بمن يقول على الله تعالى دون علم ولا دليل! ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ كم من كلمة قالت لصاحبها: دعني! ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.

٢ ـ ما يخرج من فمك قد يودي بك إلى سـوء الخاتمة ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾.

٣ ـ الولاء للفكرة أعظم درس يقدمه صاحب المشروع لمن حوله ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾.

٤ ـ قناعة من حولك بفكرتك ومشـروعك، تأتي أولاً من ولائك لها ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾.

٥ ـ إذا لم يقتت مشروعك من قلبك ومشاعرك، وإلّا بقي ضالّاً في عُرْض الطريق، لا يجد مستجيبين ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ هكذا يصنع الولاء في قلوب أصحابه!

٦ ـ لا تغتر بما تراه من زينة في الحياة، إنما هي للاختبار والامتحان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾.

٧ ـ لا تحزن على الدنيا التـي تراها في حياة الآخرين، تلك مـن زيادة الأعباء عليهم في أيام السـؤال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾.

٨ ـ من توفيق الله تعالى لإنسان أن يبسط له نعيمها في الأرض ثم يذهب يستخدمه في ديـن الله تعالى ومراضيـه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾.

٩ ـ الرهان في ساحات القيامة على حسن عملك، وليس على كثرته ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ فـإن اجتمع الحسـنان فذلك التوفيق.

١٠ ـ العلم يهتف بصاحبه إلى الحقائق ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ لولاه لما عُرف صواب العمل وحسنه، والجهل مانع من الخيرات.

١١ ـ هذه نهاية تلك الزينة العارضة في الحياة ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾.

١٢ ـ الحسناء التي انشغل بها تَشِيْخُ، والشهوة التي قارفها تذبل، والربيع الذي يملأ عينيه يصفَرُّ ويزول ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾.

١٣ ـ كثيرة هي مواطن الإعجاب في خلق الله تعالى، وقصة الكهف بعض تلك المواطن ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾.

١٤ ـ الاستعلاء على الباطل ضرورةٌ، يمليها الإيمان في قلوب أصحابه ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾.

١٥ ـ الواقع الذي لا تملك فيه تغييراً، يجب أن تنأى بنفسك عن مواطنه ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾.

١٦ ـ الإقبال على الله تعالى، والتعلُّق به، واستشعار عونه ورحمته، من موجبات التوفيق ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾.

١٧ ـ أي معرفة لا شأن لها بواقع العمل، لا تحتفل بها في شيء من حياتك ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ لم يذكر الله تعالى زمان هؤلاء ولا مكانهم؛ لأن المعرفة بذلك لا يترتَّبُ عليها شيء.

١٨ ـ حجب الأمكنة التي يثار حولها حديث الناس، وفيها بعض قصص الصالحين ضرورة شرعية حتى لا تصبح مزاراً، ويختل التوحيد ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

١٩ ـ الشباب الصالح ثورة في وجه الباطل، وحربٌ على مشاهد الرذيلة ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

٢٠ ـ مواقف الشرف ليس بالضرورة أن يديرها كبار وأصحاب جاه، يكفي لتأريخها شباب يافع في الحياة ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

٢١ ـ لا يَفْتُرَنَّ لسانك من دعاء الله تعالى؛ فهو أعظم وسائل الثبات على دين الله تعالى ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

٢٢ ـ خرجوا لدينهم ورسالتهم ومنهجهم، ثم استغاثوا بالله تعالى في عُرْض الطريق (هكذا الفقه والوعي) ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

٢٣ ـ يجب أن تعلم أن الذي أنقذك من المنكر، وأعانك على الفرار من مواقعه هو الله؛ فتذكَّر أنَّه هو المعين ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

٢٤ ـ لا أعرف نعمةً منَّ الله تعالى بها على إنسانٍ، مثل أن يرزقه خشوعاً وذلاً، واعترافاً بفضله كل حين ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

٢٥ ـ الحق لا يحسب بكثرة الأتباع، ولكنه يحسب بِحَمَلَةِ فكرة الإصلاح ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

٢٦ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً، أجرى له الأسباب المادة لتوفيقه ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾.

٢٧ ـ معرفة قدرة الله تعالى وحكمته في الأشياء، تستحق أن تضرب لها هذه المسافات ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

٢٨ ـ القصص مدخلٌ كبيرٌ لتأسيس المفاهيم والقيم والتصورات ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

٢٩ ـ أي مسألة يترتَّب على معرفتها وضبطها عمل، تستحق العناية والاهتمام ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

٣٠ ـ الخطوة الأولى شرط في تحقيق أمانيك وأحلامك ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

٣١ ـ على قدر إيمانك تزداد هدى، وقدر إيمانك على قدر وردك الصالح من الطاعات ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

٣٢ ـ للذين يسألون كيف يصلون لأحلامهم، وكيف يعانقون آمالهم! وكيف يتحقق لهم ما يريدون! ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ اجعلوا الله تعالى أولاً في قلوبكم وسترون ما رأوا!

٣٣ ـ كل طريق لا تبدأ خطوته الأولى من الإيمان والعمل الصالح، فلا تحفل به مع الأيام ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾.

٣٤ ـ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ نتيجة لذلك السبب الكبير ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾.

٣٥ ـ حين تقوم بواجبك الشرعي، يبني الله تعالى لك قصة الحياة ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٣٦ ـ لا تسل كيف ثبتوا ورابطوا على الطريق رغم ما رصد لهم من عذاب ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ الثبات والمرابطة طريقان واسعان للخيرات.

٣٧ ـ لم يُلقِ الحقُّ يوماً بأصحابه في خنادق الظلام! بل يقتادهم للنعيم ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٣٨ ـ إذا قمت بواجبك الشرعي؛ فلن يخذلك الله تعالى ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٣٩ ـ يا سقى الله تعالى أيام مصلح، قام في وجه المنكر، وأعلن أن الأرض ما زالت مليئة بالمصلحين! ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٤٠ ـ مسؤوليتك الأولى حماية دائرتك ومساحتك من تمدد الباطل وانتشار الرذيلة فيها ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٤١ ـ ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ﴾ هذا المعنى يحتاج أن تُرفع له راية، ويقام له حفل بهيج! كم من قاعدٍ لم يحرِّك ساكناً والمنكرات أصمّت أذنيه!

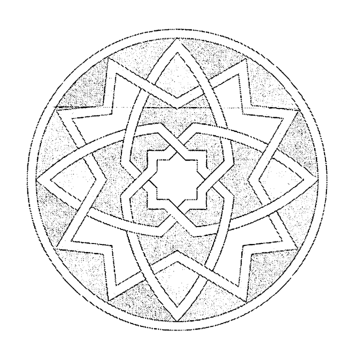
٤٢ ـ لا تقلق! لـم تخل أرض الله تعالى يومـاً من أنصار الفضيلـة وحملة راية الإصـلاح ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٤٣ ـ من حق التوحيد أن تخضع له الرقاب ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٤٤ ـ ماذا بقي إذا أصبحت الأرض بلقعاً من آثار العقيدة! ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

٤٥ ـ الديار التي فرّطت في التوحيد واستعاضت به الشرك، تستحقُّ هذا الهجران ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾.





وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ
يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

التفسير

• ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ أي قومكم ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وتركتم عبادتهم وخرجتم تطلبون النجاة منهم ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ انضموا إليه واختفوا فيه ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يبسط لكم من رحمته ما يحفظكم به من أعدائكم ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ ييسِّر ويسهِّل لكم من أمركم ما تنتفعون به.

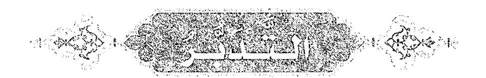
• ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت﴾ وقت الشروق ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ تميل عن الكهف إلى ذات اليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم ذات الشمال ﴿وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ في متَّسعٍ من الكهف، لا تصيبهم الشمس عند طلوعها ولا عند غروبها ﴿ذَٰلِكَ﴾ كهفهم وحال الشمس عليه ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ الدالة على قدرته وعظمته ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾ إلى الحق ﴿فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ الموفَّق إلى الخير ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ عن الحق ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ لن تجد له من يتولاه ويرشده إلى الحق والهدى.

• ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ﴾ أصحاب الكهف ﴿أَيۡقَاظٗا﴾ مستيقظين غير نيام ﴿وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ لئلا تأكل الأرض أجسادهم ﴿وَكَلۡبُهُم﴾ الذي معهم ﴿بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ مادُّهما ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ بباب الكهف أو فِنائه ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ هرباً ﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾ خوفاً.

• ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ أيقظناهم من نومهم ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ في مدَّة لبثهم وبقائهم بالكهف ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أحدهم: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾ كم

بقيتم في الكهف ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ما بين يوم إلى بعض يوم ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فلا سبيل لكم إلى معرفة ذلك، بل علم ذلك إلى الله تعالى ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ بنقودكم الفضيَّة التي معكم ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ داخل المدينة ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أحله وأطيبه ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ من ذلك الطعام ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في ذهابه وإيابه وشرائه ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ لا يعلم بكم أحد من أهل المدينة.

• ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي أهل المدينة ﴿إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ يطَّلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم رجماً ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ في ملة الكفر ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ إذا رجعتم إلى دينهم في شيء.



١ ـ الإيمان قول وعمل ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ الاعتزال مظهر تطبيقي لمواجهة عواصف المنكرات.

٢ ـ فعل الممكن هو الدائرة التي ينبغي أن تُستوعب في كامل صورها وتطبيقاتها ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٣ ـ حين لا تجد حلاًّ إلَّا مفارقة المنكر، فاصعد بإيمانك عن مواطئ الخذلان ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٤ ـ إلى الذين يكثِّرون سواد المنكرات حياءً أو خوفاً أو شهوة، إنَّ موقف الفتية يصيح في آذانكم: إياكم والخذلان ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٥ ـ هؤلاء فتية يعزُّ عليهم أن يكثِّروا سواد الرذيلة، وثمة جموع من أهل الصلاح، ما زال الباطل يستقوي بهم في ترويج بضاعة الفساد ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٦ ـ من الاستعلاء على واقعك أَنْ تخرجَ من أرض المنكر، ورأسُكَ يطاول السماء عزَّةً وشموخاً ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٧ ـ إذا خرجت من موقع الفساد؛ فكأنك تقول للمتخلِّفين: إياكم ومواقع الخذلان والشهوات ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٨ ـ سعة المكان ليست بمساحته، وإنما بما يهب الله تعالى فيه من رحمته ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

٩ ـ كم من قصرٍ كبيرٍ لم يُغْنِ عن ضيق صاحبه شيئاً ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ وكم من بيتٍ ضيِّقٍ يرتع أصحابه في روضات النعيم!

١٠ ـ من دبَّر لله تعالى شأناً دبَّر الله تعالى له شؤون الحياة ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

١١ ـ المظلومون في غياهب السجون سيجري عليهم النعيم والتوفيق الذي جرى على فتية الكهف، لا فرق ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

١٢ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً أجرى له الأسباب ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ لا تقل كيف! تلك إرادة الله تعالى.

١٣ ـ من هداية الله تعالى لك وتوفيقه السابل عليك، أن تسلِّم لكل ما يعجز عقلك عن إدراكه ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ ومن شقاء العقل البعيد ألَّا يتوفَّق للتسليم ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

١٤ ـ المؤمن فطنٌ، وعليه أن يُجريَ كلَّ أحداثه على هذا المعنى ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ زمانك بحاجة لوعي، فلا تذهب في ملمَّات الفتن بلا وعي.

١٥ ـ من كمال وعيك أن تتخذ كافة السبل الموصلة لنجاحك، وتحقيق مشروعك، وألَّا تطويك الأحداث، وتضعك في مسارب التهم ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

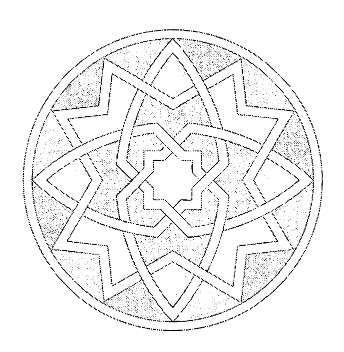
١٦ ـ يجب أن تتخلَّى عن فوضويَّتك وحسنِ ظنِّك بعدوِّك، وتتخذ كافة السبل الموصلة إلى نجاحك ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ

فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾.

١٧ ـ هذا هو عدوُّك؛ لا تخرج إرادته عن هاتين الغايتين ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٨ ـ إذا ضاع دينك لم يبق لك شيء يستحقُّ الفرح ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

التفسير

- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أطلعنا عليهم الناس ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ أي الناس ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ صدق ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ لا شكَّ فيها، ولمَّا حصل تقرير هذه القضية في عقول الناس في ذلك الزمان أماتَ الله تعالى أصحابَ الكهفِ من جديد ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ فحصل التنازع في أمر هؤلاء الفتية ﴿فَقَالُواْ﴾ أي فريقٌ منهم: ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ سدُّوا عليهم باب الكهف، واتركوهم على حالهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أعلم بحالهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أصحاب السلطة والنفوذ والكلمة في ذلك الوقت: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ سنبني عليهم مسجداً، نتذكَّر به حالهم وما جرى لهم.
- ﴿سَيَقُولُونَ﴾ بعض الخائضين في قصتهم عن عددهم: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ عدد أصحاب الكهف ثلاثة ورابعهم الكلب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ آخرون ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ عددهم خمسة والسادس الكلب ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ كل ذلك قولاً بالظن والتخمين، لا دليل عليه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ آخرون: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ عددهم سبعة والثامن الكلب ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فهو العالم بذلك ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قلة التي تعلم عددهم حقيقة ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ لا تجادل في عددهم ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ جدالاً ظاهراً من غير تعمُّق فيه ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ مطلقاً.
- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ لا تقل لشيء تريد فعله سأفعله غداً.

• ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلَّا أن تقيّد ذلك بمشيئة الله تعالى ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ فإذا نسيت أن تقول إن شاء الله، فقلها بعد تذكُّرك لها ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ سل الله تعالى أن يهديك إلى أقرب الطرق الموصلة للحق والرشد.

• ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ﴾ أي أصحاب الكهف في كهفهم ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ بقوا في الكهف نياماً ثلاث مئة سنة وتسع سنين.

• ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ بمدة لبثهم في الكهف ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يفوته من علمه شيء ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ ما أبصره سبحانه! فهو يبصر كل شيء، وما أسمعه؛ فهو يسمع كل شيء ﴿مَا لَهُم﴾ المخلوقين ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله تعالى ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يتولّاهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ بل الحكم كله لله تعالى.

• ﴿وَٱتْلُ﴾ واقرأ أيها الرسول ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا مغيِّر لها ولا محرِّف ولا مبدل ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ من دون الله تعالى ﴿مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ ملتجأً تلتجئ إليه.



١ ـ إذا أراد الله تعالى شيئاً أجرى له الأسباب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

٢ ـ في كل مشكلة تأخذ حظَّها من واقعك، سترى مشاركين في تحليل أسبابها وظروفها، والتعامل معها بغير علم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ

وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

٣ ـ حتى حساب العدد وتحديده والتكهن بكل شيء في سبيل ذلك، سيجري في ساحات القضايا التي تحدث في واقعك ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ كذلك يصنع الفراغ في كل واقع.

٤ ـ القضايا التي لا يترتب عليها عمل، لا تستحق الاحتفال بها في شيء ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾.

٥ ـ من لا يملك زمام العلم، لا يستحق أن يكون مشاركاً في قضاياه ومسائله ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾.

٦ ـ إذا عزمت على سفرٍ أو طريقٍ أو شيءٍ من أمرك فلا تجزم بموعده، أوكِلْ ذلك لربك ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

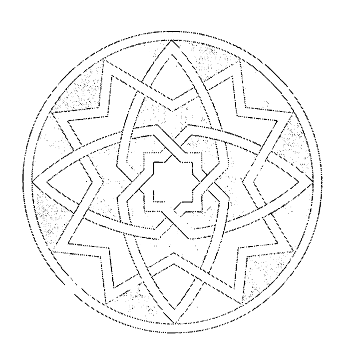
٧ ـ في كل رحلة أو سفر أو طريق، سل الله تعالى أن يبلِّغك مرادك، وأن تصل إلى مقصودك، وأن يهديك الله تعالى إلى ما تشاء ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

٨ ـ لا يغيب عن الله تعالى شيء ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾.

٩ ـ ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ دعوة لدراسة حقائق القرآن والاعتبار بها، والاستفادة منها وتوظيفها في حياتنا الشخصية.

١٠ ـ القرآن سلاح الدعوة، ومن الوعي أن يوظف توظيفاً مؤثراً في مشاريعها ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

التفسير

• ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ احبسها وألزمها الجلوس ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ يذكرونه ويدعونه في الصباح والمساء ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ يريدون ما عند الله تعالى من الجزاء ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تصرف عيناك عنهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ تطمع في متاع الدنيا الزائل ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ جعلنا قلبه غافلاً عن موارد الخيرات ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ فآثره على مراد الله ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ ضائعاً معطلاً.

• ﴿وَقُلِ﴾ يا رسول الله ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ فما جئتكم به فهو الحق ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن﴾ بهذا الحق ﴿وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ به ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ سورها المحيط بها، فلا مخرج لهم منها ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ يطلبوا ماءً ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ﴾ يعطوا ماءً ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ كالرصاص المذاب من الحرارة ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ﴾ من حرارته ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ ما أسوأه من شراب ﴿وَسَآءَتۡ﴾ النار ﴿مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾ قُبِّحت منزلاً ومقاماً.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ بل لهم ثواب ما عملوه يجدونه وافياً كاملاً.

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بساتين يقيمون فيها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ يُحلَّون في الجنة بأساور الذهب ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ﴾ من رقيق الحرير ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ ما غلظ من الحرير ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ الأسرَّة ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ ما أجمله من ثواب ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١﴾ جملت منزلاً ومقاماً.

• ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ للناس ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ وهو الكافر بالله تعالى الجاحد لنعمه ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ كلها من العنب ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أحطناهما بنخيل، تحفُّ بهما من جميع الجوانب ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ بين الجنتين ﴿زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ تتميماً لجمالهما.

• ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أخرجت ثمرهما وافياً ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ ولم تنقص من ذلك الثمر شيئاً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ شققنا وأجرينا نهراً من الماء، يسقي الجنتين.

• ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ لصاحب الجنتين ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه في الكلام: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ أقوى أعواناً وأنصاراً.



١ ـ إذا منَّ الله تعالى عليك برفقةٍ صالحةٍ، فاحرص على صحبتهم قدر وسعك ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

٢ ـ من كمال وعيك أن تختار رفقةً صالحةً في الطريق، وتحرص على ملازمتهم، ولا تعدُ عيناك عنهم ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

٣ ـ غالب الذين فرَّطوا في هذا الجانب، نكصوا في النهاية أو كادوا ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

٤ ـ إياك ومجالسة البطالين والمفرِّطين، ومن لا تجمعك بهم صلةٌ صالحة؛ فإن ذلك من عثرات الطريق ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

٥ ـ الصحبة مؤثرة! والصاحب ساحب، والأفكار التي تدار في مجالس تلك اللقاءات، تتسرَّب مفاهيمها مع الزمن، وتكوِّن ثقافة وواقع صاحبها، فاختر من ذلك ما يليق بالمقام ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

٦ ـ رفقتك ليس بالضرورة سيئة، فقد تناقشك في استقامتك، وقد تكون صالحة وتقنعك بمشروع زواج فاشل، أو رحلة فارغة، أو الانشغال بالتجارة وتفوت عليك نهضتك وأفكارك ومشاريعك الكبرى في الحياة ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

٧ ـ الحق لا يتسوَّل المعرضين في عُرْض الطريق ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾.

٨ ـ للدعوة هدف، متى ما تحقَّق خلص أصحابه من أثقاله وأتعابه ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ وليس عليهم بعد ذلك من تبعاتها شيء.

٩ ـ ليس من واجب الدعاة إلى الله تعالى إقناعُ الناس بالحقِّ الذي معهم، وإنما حسبهم إيصال الحق فحسب ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾.

١٠ ـ هذه أيام التفريط تحل بأصحابها، ولا يجدون منها مخلصاً ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

١١ ـ إلى كل قارئ يشعر بشيء من التفريط في واقعه، استدرك أيامك قبل الفوات ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

١٢ ـ كم من نهاية تنتظر صاحبها وهو غافل عنها ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

١٣ ـ أيها المجهدون المتعبون: لا تستبطئوا مباهج الحياة التي ترجون ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾.

١٤ ـ نعم الله تعالى التي تترى عليك جزءٌ من الاختبار والابتلاء ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٥ ـ ليس العبرة بالنظر إلى ما أعطاك الله تعالى وما حرمك منه، بل العبرة بنتائج ذلك العطاء وذلك الحرمان ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ

أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾.

١٦ ـ كثيرة هي المواقف التي نُختبر فيها ونسقط في الحضيض ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

١٧ ـ هذا زرع وارف أودى بصاحبه إلى الخذلان، فما بالك بنعم العلم والأفكار والمفاهيم والمسؤوليات التي وهبها الله تعالى لقوم، وما قاموا فيها بحق الله تعالى! ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

١٨ ـ مشكلة النعم أنها تثير في نفوسنا الكبر والخيلاء إلى أبعد مدى ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

١٩ ـ كم من مخذولٍ بنعم الله تعالى عليه، وهو لا يدري! ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

٢٠ ـ وسّع الله تعالى عليه في مزرعة فيها كل شيء من متع الحياة ولم يتمكن من مدِّ ساحاتها في دين الله تعالى ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

٢١ ـ ومثل ذلك طالب علم، وصاحب مهارة وفن، ووظيفة ومسؤولية، عليهم تقع تبعات الشكر، وإلّا صار حالهم إلى الحرمان ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

التفسير

• ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بكفره وعُجبه ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ لا سبيل إلى فناء هذه الجنة.

• ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ فأنكر يوم القيامة؛ فتقوَّل على الله تعالى بأن جنته ستظل باقية لا سبيل للفناء إليها، وكذلك ليس إلَّا الدنيا، لا قيامة تنتظر ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ على افتراض أني عدت إلى الله تعالى يوم القيامة ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ خيراً من جنته في الدنيا ﴿مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ مرجعاً ومردًّا.

• ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ خلق أصلك آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ مكتمل الخلقة.

• ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أما أنا فأعترف أنه ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ خلقاً وملكاً وتدبيراً ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ لا أجعل له شريكاً في خلقه وملكه وتدبيره.

• ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ لو أنك دخلت جنتك ثم ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ على هذا الفضل والخير والنعمة ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ فهو المعين للخير الموفِّق إليه ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ فإن ذلك أنفع لك من رؤيتك لي قليل المال والولد.

• ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أفضل منها ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذاباً من السماء ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ أرضاً لا نباتَ فيها تزلق فيها الأقدام لملوستها.

• ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ لا تقدر على الحصول عليه.

• ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ هلك ماله وفنيت جنته ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندامةً وحسرةً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ من أموال ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ هالكة مهدَّمة ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ يتمنَّى بعد فوات الأوان ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ مِنْ دُونِ اللهِ، أي ما نفعه من تعزَّز بهم وافتخر بكثرتهم وقوَّتهم ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ ممتنعاً بقوَّته من هلاك جنته.

• ﴿هُنَالِكَ﴾ يوم القيامة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ النصرة لله تعالى ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ جزاءً لأوليائه المؤمنين ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ عاقبة ونهاية.

• ﴿وَٱضْرِبْ﴾ يا رسول الله ﴿لَهُم﴾ للمغترِّين بالدنيا ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ كماء المطر الذي ينزل من السماء، فيختلط بالأرض فتنبت نباتها، ثم يستوي جمالاً.

• ﴿فَأَصْبَحَ﴾ في النهاية ﴿هَشِيمًا﴾ يابساً متكسراً بعد خضرته ونضارته ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تنقله إلى كل جهة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ لا يعجزه من أمر الكون شيء.

التَّدَبُّر

١ ـ كم من سادرٍ في الضلال من خلال نعمة! ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾.

٢ ـ في مثل زمانك إذا حظيت بصاحب صادق فالزمه فهو من حسنات الدنيا ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

٣ ـ من كمال صحبتك أن تكون صريحاً مع صاحبك في كل شيء ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

٤ ـ رأيت في مثل زماننا صحبة، لا قيمةَ لها في واقع صاحبها! إن رآك على برٍّ لم يدلَّك على التشبُّث به، وإن رآك على سوء لم ينصحك ويحذرك منه ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

٥ ـ من كمال صدقك ونصحك لصديقك وصاحبك، أَنْ تحذّره من آثار خطيئته، وعاقبة فعله، وسوء صنيعه قبل الفوات ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

٦ ـ كل نعمة لم يحتف بها صاحبها؛ فمصيرها للزوال ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

٧ ـ كثيرون من الذين حولك، إذا حلَّت بك عاديـات الزمان ولَّوا إلى غير طريق ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾.

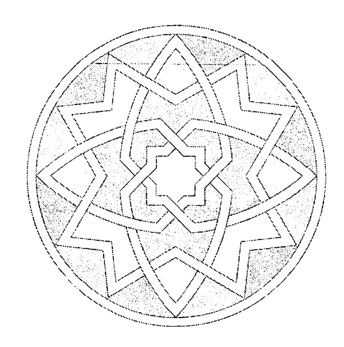
٨ ـ ومـا ينفع النـدم بعـد الفـوات! ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ ما أكثر المتأسفين والمتندِّمين في النهايات!

٩ ـ ضرب الأمثلة من أكثر الوسـائل تعميقـاً للمفاهيم والأفـكار والتصورات ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾.

١٠ ـ إذا أردت أن تعرف قدر هذه الحياة؛ فتأمل هذا المثال الذي تراه في واقعك كل حين﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾.

١١ ـ من كمال وعيك أن تصرفَ كلَّ ما تملك لبناء دارك الباقية ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾.





ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ
عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ
بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ
صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ
لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا
يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ
فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ
فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

التفسير

• ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ممَّا يتزيّن به في الحياة الدنيا، ويتمادح فيه، ويتكاثر به ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ من أعمال البر والخير؛ قولية أو فعلية أو مالية ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أحسن أجراً ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ خير ما يرجى عند الله تعالى.

• ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ تُزال من مواطنها ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ لا شيء عليها من الجبال والأشجار ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ وجمعنا الناس في ذلك الموقف ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ لم نترك أحداً دون حساب.

• ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ صفوفاً للحساب ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حفاةً عراةً غرلاً ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ قلتم: ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ وقتاً تجازون فيه بأعمالكم.

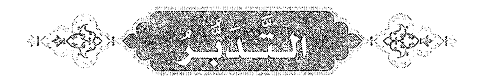
• ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ خائفين وجلين ممَّا دوِّن فيه ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ يدعون على أنفسهم بالهلاك ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ كتبها وضبطها وحفظها ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ مكتوباً مثبتاً ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ لا ينقص من عمل أحد شيئاً.

• ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ تكريماً وتشريفاً ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ كلهم ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبى السجود، وسبب ذلك أنه ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ خرج عن طاعته ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ تطيعونه وتتولَّونه ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ حين جعلوا ولاية الشيطان بدلاً من ولاية الله تعالى لهم.

• ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ ما أحضرت ولا شاورت في هذا الخلق ما تدعون من شركاء ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ معاونين مظاهرين لله تعالى.

• ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ﴾ الله تعالى: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾ نادوا من ادَّعيتم أنهم شركاء لي في الخلق والملك ﴿فَدَعَوۡهُمۡ﴾ فنادوهم كما أمر الله تعالى ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ لأنهم لا يملكون شيئاً ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ٥٢﴾ مهلكاً.

• ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ يوم القيامة ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ علموا وتيقنوا وقوعهم فيها ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣﴾ مكاناً ينصرفون إليه غيرها.



١ ـ لا تدهشك كثرة مالك وولدك في الدنيا، ما لم تتصل بالآخرة فلا قيمة لها في واقعك ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾.

٢ ـ لا تغبط مخلوقاً على كثرة ماله وولده، العبرة بما كان موصولاً في بناء تلك الدار ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾.

٣ ـ اعقد يديك وقلبك على الباقيات في الدار الآخرة فهي التي تصنع مستقبلك ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾.

٤ ـ وصيَّةُ نبيِّك ﷺ: «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلمَرْءِ الصَّالِـح**»[1] و«**أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[2] يمكنها أن تحيل واقعك إلى ما تحلـم به من أمنيات ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

٥ ـ للحقائق وقت تحين فيه، وإن طال الزمان ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

٦ ـ من كان له قلب فليستعدَّ لهذه المواقف قبل حلولها ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

٧ ـ حين يأتي الله تعالى بالأولين والآخرين، لا يتخلَّف منهم أحد ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

٨ ـ حين لا يبقى من الظنون الكاذبة والأوهام العارضة شيء ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾.

٩ ـ تخيَّل أن كتابك بيدك وترى فيه كل شـيء! ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٩٩) والحاكم (٢١٣٠) والبيهقي في الشعب (١٢٤٨) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٠ ـ ثمَّة يومٌ يواجه فيه الإنسان الحقائق وجهاً لوجه ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

١١ ـ حتى أحداثك الصغيرة التي جـرت في ظلام الليل، أو في خصام عامل، أو في توقيع معاملة، أو حتى في جرد بعض الحسـابات الشـخصية، وضعت بين يديك، لم يتخلَّف منها شـيء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

١٢ ـ كلُّ مالٍ دخل من ربا أو غش أو غصب أو احتيال مدوَّن في لحظته، وموقفه الذي حدث فيه ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

١٣ ـ حتى الكلمة الطيبة التـي قالها يوماً ما، والنصيحة التـي بذلها ذات ليلة، والصدقة التي أعطاها لمحتاج، ومواقف البذل والعطاء جاء بها الكتاب، وذكَّره بكل أحداثها ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

١٤ ـ أخذ يقرأ فإذا في كتابه الكلمة التـي درأ بها عن عرض أخيه، والكربة التي نفَّس فيها عـن صاحبه، والدين الذي تنازل عنه لتخفيـف ذمَّةِ صديقه، والعامل الذي وقف له في جنب الطريق، وأركبه وخفَّف عنه أعباء الطريق وحرارة الشمس ذات يوم ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

١٥ ـ لمثل هذه الحقائق تُستثمر مواقف الحياة ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وبمثله يتخفَّف الإنسان من مواقف الخذلان!

١٦ ـ ماذا لو كانت هذه الحقيقة تصحب كلَّ واحدٍ منَّا في طريقه، وبيته ومقر عمله ورحلته، وفي كل زمان ومكان! ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

١٧ ـ إذا استشـعر الإنسـان هذا المعنى عفا عن الخطأ، وقبل النصيحة مسروراً، وتجاوز عن كل شيء ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

١٨ ـ لا تبخل بجاهك أو مالك أو مسؤوليتك، أو حتى كلمتك؛ فربما تصنع فوراق الأحداث في تلك الأيام ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

١٩ ـ كم من نادمٍ على فوات الأرباح عند معاينة الحقائق ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

٢٠ ـ (يا ليتني!) من السهولة أن تتحسَّر بها على فوات حظِّك غداً، لكنك ما زلت في زمن مبادرة الفرص واغتنـام اللحظات؛ فإياك وتضييع الفرص ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

٢١ ـ إذا سمعت أو قرأت أمراً من ربك، فخرَّ له بقلبك ومشاعرك ساجداً قبل أن تبدأ رحلته في واقعـك ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

٢٢ ـ إذا لم تعرف القلوب حق الله تعالى، لم تحفل بشيء من أوامره ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

٢٣ ـ موقف كبرٍ وعزٍّ وهميٍّ ألقى بهذا الشقي في دركات الحرمان، فإياك ومواقف الضلال! ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

٢٤ ـ مؤلم أن نتهافت على طاعة عدوّنا دون إدراك لخطر ذلك ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

٢٥ ـ لو أن أحداً أخطأ عليك في موقف؛ لبقيت عمرك ترصد لذلك المعنى موقف انتصار، فكيف بعدوك الذي رفض أن يشارك في تكريم أبيك ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

٢٦ ـ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ فما لك وللضعفاء والعجزة الذين لا ينفعون في شيء!

٢٧ ـ وزالت الأوهام من عقول كثيرين ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

٢٨ ـ هذه هي الحقائق التي لم يقتنعوا بها يوماً في تاريخهم ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

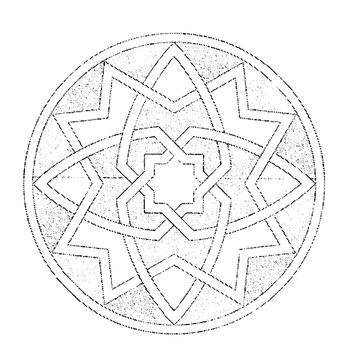
٢٩ ـ كم من متأسِّفٍ بعد الفوات! ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

٣٠ ـ ألقيت بنفسك في حطامها؛ فليس ثمَّة مساحةٌ إلَّا هي ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

٣١ ـ كم مرَّةً اجتهد رسـل الله تعالى وأتباعهم في إقناعكم بهذه الحقيقة فرفضتم! ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

٣٢ ـ عليك أن تواجه الحقائق كما هي ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀



وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

التفسير

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ وضَّحنا ونوَّعنا فِي ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يصلح للاعتبار والذكرى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ نزاعاً ومخالفة.

- ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ السنة المقررة الجارية في الخلق أنهم إذا لم يؤمنوا عوجلوا بالعقوبة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ يرونه مقبلاً عليهم، ففي هذه الأحوال يؤمنون ولكن لا فائدة في الإيمان بالله تعالى في هذا الوقت ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للمعرضين ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ رغبة في إزهاق الحق وإبطاله ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾ القرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ من الوعد والوعيد ﴿هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ سخريةً واستهزاءً.

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أظلم ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ وعظ بها ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أدبر وتولى ولم يسمع لها ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من المعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ تمنعهم من الاستفادة من القرآن ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً وثقلاً ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ لأن الله تعالى طبع على قلوبهم، وأقفل على موارد الهداية لديهم لغفلتهم عن الحق، وإعراضهم عنه.

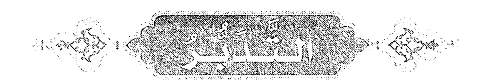
- ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ كثير المغفرة والرحمة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ لو يؤاخذ المعرضين العاصين ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ بما فعلوا من معاصي ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ لجاءهم العذاب معجَّلاً في الدنيا ﴿بَل لَّهُم

﴿مَّوْعِدٌ﴾ يجازون فيه وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ ملجأ ومخلصاً.

• ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ زمناً ثابتاً، وموعداً محدَّداً.

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ خادمه يوشع بن نون: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال سائراً لا أتوقَّف ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ﴾ أصل إلى ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنه سيجد عنده من هو أعلم منه ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ مسافات طويلة حتى أبلغ ما أريد.

• ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ موسى وفتاه ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ وصلا ذلك المكان ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ فقدا الحوت الذي معهما، وقد كان فقد الحوت إشارة إلى المكان الذي وعد موسى أن يلقى صاحبه فيه ﴿فَاتَّخَذَ﴾ أي الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ﴾ طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ أحيا الله تعالى الحوتَ فعاد مع حيواناتِ البحر حيّاً.



١ ـ كم في هذا القرآن من معنى وذكرى! ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٢ ـ ما أحوج هذه الحقيقة إلى استثمار على المستوى الشخصي والدعوي! ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٣ ـ ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الحقيقة التي لا يكاد يخلو منها موقف من المواقف!

٤ ـ جُبل على الجلَد، والعناد، واختلاق الأعذار وسيظل كذلك ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

٥ ـ المشكلة أنه يجادل في حقائق عليها ألف دليل ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

٦ ـ لا تستغرب حين ترى رأياً معارضاً من إنسان ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

٧ ـ حتى حين تناقش ولدك، ستبرز لك هذه الحقيقة في أول ذلك النقاش ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

٨ ـ ثمة أناس لو ألقيت عليهم حجج التاريخ كُلِّها، لن يتقدَّموا خطوة حتى تحلَّ بهم سنن الأولين ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

٩ ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾ دعوة لأن تصدع بدعوتك ومشروعك ورسالتك، دون أن تنتظر لها رواجاً في نفوس السامعين.

١٠ ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾ هذا المعنى يخفّف عنك أعباء الطريق وأثقال المسؤولية!

١١ ـ ركِّز على مشروعك ورسالتك ودعوتك، وألقِ بهمومك في رحابها ولا عليك في مستقبليها ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

١٢ ـ جزء من مشكلاتنا أننا نرقب تفاعل المستمعين، ونتوقف أو نمضي على قدر ذلك التفاعل ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ حتى في وسائل التواصل الاجتماعي التي هي منبر دعوة ما زالت تحاصرنا الشكليات والأعداد والمشاركين.

١٣ ـ هذا هو دور الداعية في مشروعه الكبير ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

١٤ ـ ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ صورة من صور الجدال العقيم! لا تتوقف مهما كان الحقُّ الذي معك!

١٥ ـ النية تكتب حظَّها في كثير من المواقف ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ لا يبحثون بجدالهم عن الحقائق، بل ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ وكم من نيَّةٍ تركت إنساناً في تيه الظلام!

١٦ ـ مشكلة كثير في الجدال الذي يجري في ساحات الإعلام أنه على المقصد والهدف نفسه ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ ليس بالضرورة من الذين كفروا، وإنما من صفوف النفاق!

١٧ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ نجادل لنغلِبَ وننتصر ونفوز، وليس بالضرورة لنصل إلى الحق الذي يريده الله تعالى ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

١٨ ـ أين هذا المعنى من خلق الشافعي: ما جادلت أحداً إلَّا أحببت أَنْ يُظْهِرَ الله الحقَّ على لسانه! ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

١٩ ـ راقب نيَّتك في كلِّ حوار أو نقاش يدور، وأخلصها لربك تصل إلى أمانيك ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

٢٠ ـ ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ صورة باتت تأخذ حظَّها من واقعنا بإمعان!

٢١ ـ أكثر جنود هذه الحقيقة الإعلام ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾.

٢٢ ـ الذي لا يؤمن بمنهجك، يسهل عليه أن يرمي عليه بهذه الطوام ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾.

٢٣ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ رسالة وعيد لكل المعرضين عن الحقائق الكبرى!

٢٤ ـ البدايات المظلمة تستحقُّ هذه الخواتيم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

٢٥ ـ الخطوة الأولى ستظل هي صانعة الضوء أو الظلام ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

٢٦ ـ تخيّل! لو أنه عرضت عليك آية من كتاب ربك، ولم تحتفل بها، فأجرى الله تعالى عليك الجزاء ذاته! ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ كم هي المفاهيم التي يدلي بها القرآن على أسماعنا ولم تلق ترحيباً حتى الآن.

٢٧ ـ الإعراض عن آيات الله تعالى أعظم ظلم يرتكبه الإنسان في واقعه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

٢٨ ـ يكفرون، وينافقون، ويضلـون، ويجاهرون، وهو يراهـم، ولا تزيده تلك المواقف إلَّا حلماً عليهـم، إنه الله! ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

٢٩ ـ إن الله تعالـى لا يعجِّـل بالعقوبة لأحد مـن العالمين ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

٣٠ ـ جرت سُـنَّة الله تعالى أن القصاص في الآخرة؛ فلا تعجل على ما ترى من مشـاهد الضالين ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

٣١ ـ لـو أن الله تعالى عجَّل بالعقوبة فـي كلِّ موقف لما بقـي لحكمته موطن ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

٣٢ ـ إذا وقع الظلم في ساحة قرية أو مجتمع أو دولة أو حتى أمة؛ فانظر لفجائع القـدر فـي واقعهـم ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

٣٣ ـ ما أكثر مساحات الظلم في واقع الناس! ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الخدم والعمَّال تركوا ديارهم، وعاشـوا غرباء، ووجدوا من يأكل حقوقهم صباح مساء.

٣٤ ـ ترصَّد عقوبة ظلمك في طريقك وخطوك ومشوار سفرك؛ فالله تعالى توعَّدك، ورصد لك ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

٣٥ ـ الهدف يصنع حكايات الشوق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٣٦ ـ مشكلة كثيرين أنهم لا يجدون رواء هذا المعنى في نفوسهم؛ فتموت أحلامهم في بداية الطريق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٣٧ ـ إذا لم يكن في واقعك هذا المعنى؛ فلا مفروح بشيء من قصتك في الحياة كلِّها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٣٨ ـ حين تكون الأجساد رهن رؤى وأهداف ومشاريع أصحابها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٣٩ ـ نهاية الطريق لا يبلغها إلَّا الجادون ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٤٠ ـ قل لي: ما هدفك ورسالتك ومشروعك وفكرتك؟ وسأقول لك من أنت في قادم الأيام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٤١ ـ الذين لا يعرفون هذه المعاني، لا يستحقون أن يكونوا قدوات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٤٢ ـ الهدف نصف المعركة، ونصفها الآخر همومك الساعية في بلوغ النهايات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

٤٣ ـ من لا يملك هدفاً، ليس بالضرورة أن يستيقظ في الصباح، يكفيه لحاف النوم بدلاً عن أمانيه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

٤٤ ـ ما تصنع بالحياة إذا استيقظت الفجر وأنت لا تملك هدفاً تعمل له في ساعات النهار ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

٤٥ ـ علِّم من حولك أن المرابطة على الهدف فرع عن هموم صاحبه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

٤٦ ـ إذا لم تكن غايات الكبار كذلك، وإلَّا فلا مفروح بصحبتهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

٤٧ ـ إذا أردت أن تكتب حظك من الحياة، فاصحب صانعاً لهذه الهموم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

٤٨ ـ أحلامك التي تعيش في قلبك، هي الثورة التي تصفع هموم الفارغين في قارعة الطريق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

٤٩ ـ كل المشاريع التي كتبت حظَّها من التاريخ، قامت على هذا الأساس المتين من الأماني ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

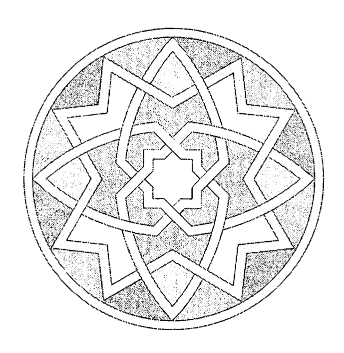
٥٠ ـ على قدر ما في قلبك يهبك الله تعالى ما تشاء ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾.

٥١ ـ صاحب الشوق، يصنع لصاحبه مناه ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾.

٥٢ ـ حين يتحوَّل الكون لتحقيق آمالك التي تعيش من أجلها ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾.

٥٣ ـ العالم كله يفسح الطريق للذين يعرفون أين يتجهون ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

التفسير

- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ قرِّب لنا الغداء ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ تعبنا من طول السفر.
- ﴿قَالَ﴾ فتاه يوشع بن نون: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ التي وجدناها في الطريق ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ عندها ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾ أي الحوت ﴿إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ منعني من تذكُّره ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ أي الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ طريقه ﴿فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ شيئاً عجيباً، فقد كان ميّتاً فأحياه الله تعالى، واتخذ في البحر طريقاً مفتوحاً.
- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ذلك المكان هو الذي نريد ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ يقصون آثارهما التي جاؤوا منها.
- ﴿فَوَجَدَا﴾ في المكان ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ وهو الخضر ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ خاصة به ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من عند الله تعالى ﴿عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ كثيراً واسعاً.
- ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾ للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ في رحلتك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ تعلِّمني ممَّا آتاك الله تعالى من العلم.
- قال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ لا تقدر على ملازمتي.
- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ لا يمكن أن تصبر على علم لم تحط بحقيقته.
- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ على ما أرى ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ لن أخالفك فيما تراه من أمرٍ عليَّ.

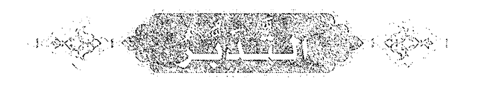
• ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾ صحبتني ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ أي لا تبتدئني بسؤال عن شيء ممَّا تراه، حتى أخبرك أنا عنه.

• ﴿فَانطَلَقَا﴾ بدأت الرحلة ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ حين استقرا في السفينة ﴿خَرَقَهَا﴾ خرق جدار السفينة ليعيبها ﴿قَالَ﴾ موسى مُنْكِراً عليه: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ عظيماً شنيعاً.

• ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ ذكَّره بشرطه في بداية الرحلة.

• ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ نسيتُ ما قلتَ لي، فلا تؤاخذني بذلك النسيان ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ لا ترهقني بالعسير من الأمور، بل اصبر عليَّ.

• ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ أي الخضر ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ لم تبلغ الحلم بعد ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ دونما ذنب ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ عظيماً شنيعاً.



١ ـ موكب الأحلام يستحق هذا التوفيق ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾.

٢ ـ لم يبلغ هدفه وإنما جاوزه، كذلك يفعل صُنَّاع الأحلام ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

٣ ـ إلى كل الذين رسموا لهم أحلاماً وعجزوا عن ملاحقتها، خذوا من هذا الدرس هذا الكبير ملحمةً للبقاء ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

٤ ـ علِّم من حولك أَنَّ ثمنَ الكلمة هو موضع الرهان. وعِدْهُ ببلوغ المكان ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ ولم يتوقف حتى جاوزه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

٥ ـ قل لكلِّ الذين اعتذروا عن مواصلة المشوار، لبعد المسافة وشقة الطريق: هذه قصة سراج الظلام ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

٦ ـ إذا صدقت نيّتك، وصح عزمك، تحوّل الكون خادماً لك وملهماً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ شعر بالنصب حين جاوز المكان!

٧ ـ ﴿فَوَجَدَا﴾ أحرف تستجرُّني إلى الشوق في رحلة كلِّ هدف، وقصَّةِ كلِّ مشروع!

٨ ـ ﴿فَوَجَدَا﴾ رسالة لكل الذين يقولون: مستحيل، ولا يمكن، وصعب، ودونك عنه خرط القتاد!

٩ ـ ﴿ فَوَجَدَا ﴾ ضماد لكل جراح وتعب، وتسلية لكل مكدود في الطريق وصاحب عناء!

١٠ ـ ﴿ فَوَجَدَا ﴾ معنى يُجْهضُ أعذار الفارغين والبطّالين!

١١ ـ ﴿ فَوَجَدَا ﴾ النتيجة الطبيعية لكل صادق في الطريق!

١٢ ـ إذا أردت مصاحبة كبير، فاعرض له غرضك، وأَبِنْ له عن حاجتك ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

١٣ ـ الجهل لا يتسع لكثير ممَّا يراه عارضاً في الطريق ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

١٤ ـ إذا أردت أن تعرف خطورة الجهل؛ فانظر كيف لاحقَ نبيّاً من أولي العزم حتى ألقاه وأحلامه في عرض الطريق ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ وما زال به معارضاً حتى اعتذر الخضر عن صحبته.

١٥ ـ العلماء يعرفون أثقال وأحمال الجهل ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

١٦ ـ ما أكثر عوائد الأدب على طلاب العلم! ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

١٧ ـ الألسن مغاريف العقول ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ قال ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ولم يجزم، وتلك من دلائل كمال العقول!

١٨ ـ من جلال طالب العلم وحسن توفيقه هذا الأدب الرائق في ساحات معلّميه ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

١٩ ـ كنت مرة في عنيزة في دورة علمية لشيخنا ابن عثيمين، وهو يشرح مسألة التيمم، وهل يشترط له التراب أو لا ! فقال طالب: يا شيخ ما ردُّكم على من

يشترط التراب! فقال له الشيخ: كأنك في حلقة مناظرة! تعلَّم الأدب في مجالس العلماء، وانظر كيف تلقي بسؤالك عليهم، ثم عاد الشيخ إليه مرة أخرى قائلاً: إنما أردتُ أن يستفيد زملاؤك.

٢٠ ـ رأيت من يحضر دورة علمية في مبادئ العلوم، ثم إذا عاد صحَّح لشيخه، واستدرك عليه ووجه بجملةٍ من الأساليب التي ينبغي للشيخ أن يفعلها، وهو لا يحسن بحث مسألة في كتاب الطهارة بعد ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ۝٦٩﴾.

٢١ ـ ورأيت بعضهم يصحِّح لكبار في وسائل التواصل الاجتماعي، وينقم عليهم، ويلوي لسانه كبراً: لا ينبغي، ولو فعلوا كذا لكان أحسن، والمسألة ليس عليها دليل، أدركت حينها كم هي حاجته لهذا الأدب! ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ۝٦٩﴾.

٢٢ ـ محرومون من مباهج العلم الذين لم يتعرفوا على أدب كباره وحملة رايته ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ۝٦٩﴾.

٢٣ ـ الجهل يسقط صاحبه في أول الطريق ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ۝٧١﴾.

٢٤ ـ فرق كبير بين من لا يعرف إلَّا قولاً واحداً في مسألة فقهية، وآخر يعرف ما دار فيها من خلاف ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ۝٧١﴾ الأول يضيق بأي عارض، والآخر يسع كلَّ المخالفين.

❀ ❀ ❀

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

التفسير

- ﴿ قَالَ ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٥﴾ ذكَّره بشرطه في بداية الرحلة ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ بعد هاتين الحادثتين ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي ﴾ ففارقني ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝٧٦﴾ عذرتك في إنزالي وعدم مصاحبتي.

- ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ أصحاب قرية ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ سألوهما الطعام ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ رفض أصحـــاب القرية إطعامهما ﴿فَوَجَدَا فِيهَا ﴾ في القرية ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ يســقط ﴿فَأَقَامَهُۥ ﴾ أي الخضر ﴿قَالَ ﴾ موسى للخضر: ﴿لَوْ شِئْتَ ﴾ لو أردت ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ لأخذت أجراً مقابل بنائك لعدم ضيافتهم لنا.

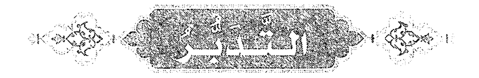
- ﴿ قَالَ ﴾ أي الخضر: ﴿هَٰذَا ﴾ هذه الحادثة ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ لا ســبيل للتواصل معك ﴿سَأُنَبِّئُكَ ﴾ سأخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ ﴾ بتفسير ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ ما لم تتمكَّن من الصبر عليه.

- ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ ﴾ التي خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ فلو رآها وهي صالحة لغصبها منهم، فخرقتها لحفظها والإبقاء عليها.

- ﴿ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ ﴾ الذي قتلته ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ وكان هو في علم الله تعالى كافراً ﴿فَخَشِينَآ ﴾ إن بلغ ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ يحملهما ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾ على الطغيان والكفر.

• ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ صلاحاً وطهارة ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ براً بهما ورحمةً عليهما.

• ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ﴾ الذي أقمته في تلك القرية ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ فلــو تركته لضــاع حقهما ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فأقمت الجدار؛ ليُتْمِهِمَا وضعفهما، ولصلاح أبيهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ يكبرا ويبلغا قوّتهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ذلك الذي فعلت ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ باجتهادي ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾ تفسير ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ ما لم تتمكن من الصبر عليه.



١ ـ العلــم مُكْلِفٌ، ويحتاج إلى طول نفس وكبيــر همّة ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ ومن جرّبه أدرك معارك البدايات!

٢ ـ العلم لا يدرك إلَّا بالصبر ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ كم من منتسب إليه في بداية الطريق! وكم من متخلِّف عنه في النهايات.

٣ ـ ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ رســالةٌ في الأدب في التعامل مع الله تعالى، نسب عيب السفينة إليه، وليس إلى الله تعالى.

٤ ـ صلاح الآباء يهيض أحلامه على الأبنــاء، ولو بعد حين ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

٥ ـ أعظم ما تخلِّفه لذريتك وأسـرتك، هو صلاح نفسك، وحفظك لحقوق الله تعالى وحدوده ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

٦ ـ كان بعض السـلف يقول: أزيد في سـجودي رغبةً في صلاح ولدي ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

٧ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ رسالة للدعاة والصالحين وأصحاب الرايات، أن لا ينسوا أبناء أصحاب المشاريع بعد رحيلهم، يبنوا لهم حلماً، ويقاربوا لهم مسافات الطريق، ويعيدوا مباهج الذكرى من جديد.

٨ ـ ابنوا لهم بيتاً، واصنعوا لهم مشروعاً، وسدُّوا لهم ديناً، ويسِّروا لهم العيش في الحيـاة ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

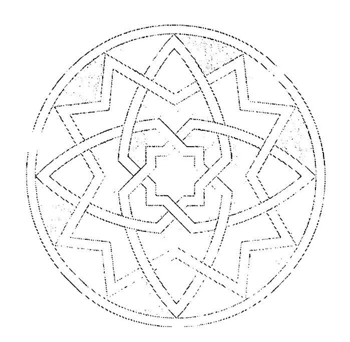
٩ ـ رحل صديقه وعليه ديـن، يبلغ أو يقارب نصف مليون؛ فكتب في وسـائل التواصل لبعض محبِّيه: رحل أخوكم وفي ذمته كذا، وإني عازم على سداد دينه، وهذا حسابي من أراد أن يحول عليه فليصنع، وسنوقف التبرع خلال (٤٨) ساعة، ولم تنته المدة حتى سـدَّد دينه وأبرأ ذمته، وكذلك يصنع الكبار! ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ

رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

١٠ ـ هذا المعنى يصفع ذلك الإخاء البارد الذي لا ينفع حياً ولا يُرجى في موت ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

١١ ـ من لطيف الأدب أنه نسب بناء الجدار إلى إرادة الله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.





وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

التفسير

• ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ ويسألك أهل الكتاب والمشركون ممتحنين ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ عن قصة ذي القرنين (قل) لهم: ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ سأتلو عليكم خبره وقصته.

• ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مكَّنَّاه في الأرض ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ ممَّا يتعلَّق بمطلوبه ﴿سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ طريقاً يتوصل به إلى ما يريد.

• ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ أخذ بتلك الأسباب.

• ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من جهة المغرب ﴿وَجَدَهَا﴾ أي الشمس ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ رآها في نظره تغرب في طينة سوداء في البحر، وإلَّا هي لا تفارق فلكها الذي هي فيه ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند مغربها ﴿قَوْمًا﴾ أناساً كفاراً ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ مكَّنه الله تعالى من هؤلاء، وخيَّره بين تعذيبهم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ تحسن إليهم.

• ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ من هؤلاء ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ عذاباً عظيماً.

• ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أحسن الجزاء وأوفاه في الدارين ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ وسنحسن إليه بالقول الطيِّب اللين.

• ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ أخذ بتلك الأسباب بجد، فكان كلَّما مرَّ بقوم في طريقه، قهرهم وغلبهم، ودعاهم إلى الله تعالى؛ فإن أطاعوه، وإلَّا أذلهم واستباح كل شيء منهم.

- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض ﴿وَجَدَهَا﴾ أي الشمس ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ ليس لهم بناء، ولا أمكنة تسترهم من الشمس.

- ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ بما لدى ذي القرنين ﴿خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ علماً فنعلم كل ما يقوم به.

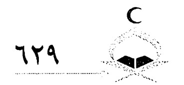
- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ أخذ بتلك الأسباب بجد.

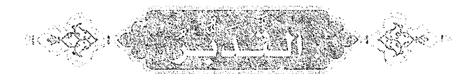
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ الحاجزين لما وراءهما ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ لا يفهمون كلام غيرهما، فمكَّن الله تعالى ذا القرنين من فهم قولهما وتكلم معهما ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بما يفعلون فيها من الفساد ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أجراً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ مقابل أن تبني بيننا وبينهم سداً مانعاً من خروجهم علينا.

- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ ما أعطاني الله تعالى خيرٌ ممَّا تمدونني به من المال ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ سدًّا حاجزاً.

- ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد العظيمة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ وضع الحديد حتى تساوت مع جانبي الجبل ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ أَشْعِلوا ناراً وانفُخُوا عليها، حتى تذيب الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ مشتعلة من شدَّة الحرارة ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ أعطوني نحاساً مذاباً أفرغه عليه، فلمَّا فعل كذلك وانتهى من بناء السد.

- ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾ يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يصعدوا فوق السد ويتجاوزوه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ وما استطاعوا أن يخرقوه.





١ ـ ضرورةُ تحصُّنِ الداعية وصاحب الرسالة بالعلم الذي يبين له الحقائق، ويواجه به تحديات الباطل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣)﴾.

٢ ـ العلم والمعرفة آلة الحرب الأولى، وقاعدتها في التحدي، وسهامها أصوب من كل سهم في المعركة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣)﴾.

٣ ـ إذا أرادت الأمة أن تبعث من يقوم لها بواجب، فعليها أن تختار من يحقق لها أملها في تحقيق ذلك الواجب، أو تحصِّن من ستبعثه لمهمَّتها ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)﴾.

٤ ـ إذا وهبك الله تعالى الأسباب الموصلة إلى غاياتك، فلا تفرِّط في بلوغ أحلامك وأمانيك ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)﴾.

٥ ـ الكبار لا تنتهي آمالهم عند حد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)﴾.

٦ ـ إذا أردت فكرة أو هدفاً أو مشروعاً، فكدَّ نفسك فيه، ولا تتوقف حتى تبلغ آمالك منه. ودعك من دعاوى البطالين والفارغين: لا أقدر، لم أستطع، صعب، حاولت، لم أتمكَّن، كلُّها أوهام ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)﴾.

٧ ـ الهمم باعث الشوق إلى عالم الأحلام ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ

سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

٨ ـ الحركة والفاعلية أصلٌ في كلِّ ملهم، أدرك واجبه وشعر بخطورة واقعه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

٩ ـ المبادرة، وصناعة القرار مسؤوليةٌ يضطلع بها الكبار ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

١٠ ـ صناعة التغيير في أي واقع أمرٌ ممكنٌ وواقعي، إذا وجد من يحمل هموم أمته، ويبادر إلى تلك الغايات ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

١١ ـ الأزمات والمشـكلات والظروف العارضة في طريق أحلام الأمة، لا تحتاج إلى قوى مادية أو مالية أو بشـرية، تحتاج إلى من يمسك راية المبادرة، ويأخذ على عاتقه مسؤولية الإصلاح ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾.

١٢ ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ رسالة في أَنَّ التغيير لا يتمُّ بمعزلٍ عن أفراد ذلك الواقع، وأنهم إذا أرادوا آمالهم؛ فعليهم أن يتحركوا في المشاركة في إحيائه.

١٣ ـ الكبار وصُنَّاع الحياة يحسنون فن العمل، ويكتبون للقدوة واقعاً في كل مساحة يعيشون فيها ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ والتاريخ طافح بنماذج القدوات في هذا الشأن.

١٤ ـ التغيير لا يأتي من خلال أحاديث التنظير والمواعظ التي يُلقى بها على مسامع الناس، بل يحتاج إلى من يشارك الناس، ويبدأ رحلة العمل معهم يداً بيد ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾.

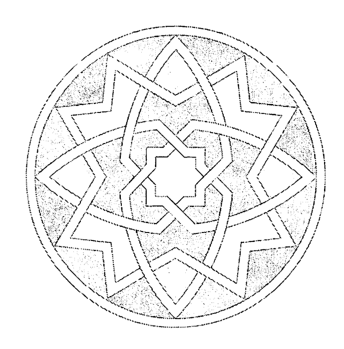
١٥ ـ لم يحدث في سيرة عظيم أن صار ثمَّة فاصلٌ بين حديثه وعمله، بل كل الذين صنعوا التاريخ وكتبوا ملامح فَجْرِهِ، كانوا في ساحة العمل يشاركون بأنفسهم في البناء ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾.

١٦ ـ من سمات الكبار أنهم لا يأخذون مقابلاً على جهودهم ومشاركتهم في البناء ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾.

١٧ ـ القيادة فن! عرضوا عليه المال فاستعلى على ذلك العرض، وسألهم أن يبدؤوا رحلة التغيير والمشاركة في البناء معه يداً بيد ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾.

١٨ ـ هموم القادة ليست متوجهة إلى مال يثري به حسابه الشخصي، وإنما إلى رجال يشاركون في بناء أمتهم، ويشعرون بضرورة المساهمة في التغيير ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾.





قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي

حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ

فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾

ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا

﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ

أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا

﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا

نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟

ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ

جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل

لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

التفسير

- ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ هذا البناء العظيم من فضل الله تعالى، وإعانته وتسديده ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ بخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ صار هذا البناء منهدماً مستوياً بالأرض ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾ ثابتاً لا يتخلَّف.

- ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم هدم السد ﴿يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ يختلطون ويضطربون لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النفخة الثانية ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ في مواقف القيامة.

- ﴿وَعَرَضۡنَا﴾ أبرزنا ﴿جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾ بروزاً واضحاً.

- ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ كأن على أعينهم أغطية تمنعهم عن رؤية الحق ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ لا يقدرون على سماع آيات الله تعالى وفهمها والاعتبار بها.

- ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي﴾ من الأنبياء والأولياء ﴿مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ شركاء لله تعالى يعبدونهم من دوني ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢﴾ مقراً ومنزلاً.

- ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم﴾ نخبركم ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣﴾ بأخسر الناس أعمالاً.

- ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بطل وضاع كل ما عملوه ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ وهم يعتقدون أنهم محسنون في فعلهم.

• ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ يوم القيامة ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ فلا اعتبار لها يوم القيامة ولا قدر.

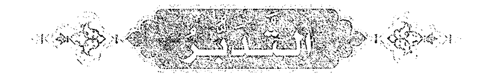
• ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ سخرية واستهزاءً.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ أعلى الجنان وأوسطها وأفضلها ﴿نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ مُعدَّةً لهم، ومهيَّأةً لنزولهم.

• ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ لا يريدون أن يتحولوا عنها لنعيمها.

• ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ هذه الأبحر كلها ﴿مِدَادًا﴾ حبراً ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ كله ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ وما نفدت كلمات الله تعالى الدالة على علمه وحكمته ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ بمثل البحر ﴿مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ حبراً لنفد كذلك قبل نفاد كلمات الله تعالى.

• ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا فرق ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ إلَّا فيما يوحى إليَّ من الله تعالى ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يوم القيامة ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يقرِّبه إلى الله تعالى ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ لا يجعل مع الله تعالى شريكاً في عبادته.



١ ـ ما أكثر حاجتنا إلى هذا الإخلاص والصدق الكبير الذي يفيض بمعاني الخضوع والتواضع في مشاريعنا ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ

وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ كل هذه الجهود والأعمال والمشاريع والإصلاح والتغيير ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾.

٢ ـ كل نصر أو نجاح تحقق لك؛ فأصله وقاعدته توفيق من ربك تعالى ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾.

٣ ـ الغرور والكبر أعظم موارد سوء التوفيق في حياة صاحبها ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾.

٤ ـ ما أكثر ما وعظوا! وما أقل ما انتفعوا! ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾.

٥ ـ أخسر الناس أولئك الذين يصحبهم الضلال في كل خطوة، ويظنون أنهم على الصراط لم يتخلَّفوا ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

٦ ـ أسوأ العقوبات أن تستمرئ الباطل، وترى بأنك لم تبرح الحقائق في شيء ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

٧ ـ الاعتداد بالنفس بوابة هذه النهايات ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

٨ ـ اختر صديقاً ناصحاً، وادفع بكل ما تعتقد أنه الحق بين يديه، حتى لا تقع في أســوأ الأخطاء، ولا تجد معيناً في الطريق ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)﴾.

٩ ـ هذا هو موعــد النهاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾.

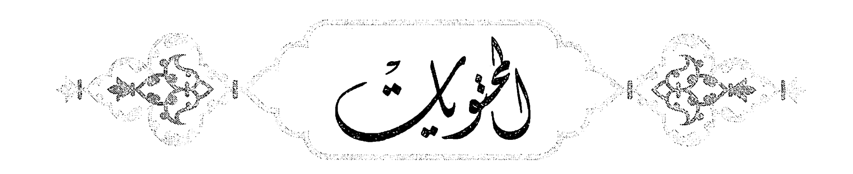
١٠ ـ الإيمان والعمــل الصالح هو الطريق إلى هــذه الآمال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾.

١١ ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)﴾ رسالة في الثناء على الله تعالى، وأنه موصوف بالكمال والجلال جلَّ في علاه.

١٢ ـ الرسل لا تملك من دون الله تعالى شيئاً. حسبها البلاغ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾.

١٣ ـ الفرق بين العمل الصالح والشــرك، أنَّ الأول: موردٌ بهيج لنهايات المجد والحياة، والثاني: مورد للظلام الذي لا ترى فيه النور ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾.

❀ ❀ ❀



سورة يونس.. ٥

سورة هود.. ٩٠

سورة يوسف ١٦٩

سورة الرعد..٢٦٥

سورة إبراهيم ٣٠٤

سورة الحجر ٣٤٨

سورة النحل ٣٨٤

سورة الإسراء..٤٨٠

سورة الكهف.. ٥٦٣

• المحتويات...٦٣٩